أدوار التاريخ الحضرمي

تأليف

محمد بن أحمد بن عمر الشاّطري

الجُزء الأوُل

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بهذا الكتاب

أدوار التاريخ الحضرمي

لم يكن يهدف هذا الكتاب فيما يهدف إليه نشر تاريخ هذا القطرالاجتماغي فحسب ، وإنما يهدف أيضا إلى التعريف بواجب المؤرخ العام وإلى وضع المؤرخ الحاضر في البلاد العربية وفي العالم اجمع في مقدمتي الجزء الأول والجزء الثاني منه كما أتى في الجزء الأول بخلاصة شاملة عن الأمة العربية تحت عنوان (أمتنا العربية) التي نحن جزء لا يتجزأ منها وإحصاء عام لدولها وبلادها وسكانها وتاريخ استقلالها ٠

وعن دولها القديمة من قحطانيين ومعينيين وسبأ يين وحمير يين وفتوحاتها وآثارها ، وعن دور الوحدة العربية في الماضي والمقارنة بين وضع ما قبل الإسلام وما بعده ، وحروب الردة في الجنوب اليمني ٠

وعن أول ثورة يمنية قامت في الإسلام في إسهاب وتفصيل فيها يتخلل ذلك تصوير للنواحي الاجتماعية في تلك العهود ، وعن الخوارج الاباضية ومذهبها والطريقة التي تقوم عليها حياتها الدولية والحزبية وحياة شعب المنطقة في جميع مجالاتها ٠

في تراجم وتحليل لحياة رجال برزوا في تاريخنا العربي كامريء القيس بن حجر الكندي وامريء القيس بن عانس الكندي الصحابي ووائل بن حجر الحضرمي الصحابي والمقنع الكندي وطُرف (بضم الطاء) من أشعارهم وأنبائهم ، ومن نساء برزن أيضا في ميادين الشعر والأدب والفروسية كام الصريخ الشهيرة وغير هؤلاء من شخصيات التاريخ .

كل هذا بأسلوب ممتع وتجنب للأخطاء اللغوية الشائعة وملاحظات عليها ، وقد طبع أول مرة ونفدت نسخه بسرعة وسيعاد طبعه ، أما الجزء الثاني فيحتوي – فيما يحتوي عليه– دراسة شاملة عن الدول الأخيرة في هذا القطر حتى عهد الثورة وعن حياة شعوبه الاجتماعية بإسهاب في عاداتها وتقاليدها وفنونها وعملاتها وهجراتها وألعابها وقنصها وحياة أسرها وإحصاء مضبوط لأفراد عشائرها وقبائلها وطرق معيشتها والحروب السائدة بينها إلى ما قبل ثلث فرن من اليوم ، وعن تشريعاتها وعاداتها ، إلى غير ذلك مما له علاقة بتاريخها الاجتماعي .

وعن الحياة الصوفية العامة ومتى نشأت طرق التصوف ، والتنافس بين الطريقتين الشرقية والغربية الصوفيتين .

وعن حروب الأوروبيين البرتغال في سواحل وبحار جنوب الجزيرة العربية والأسطول الذي قاتلهم والجهاد ضدهم في القرن السادس عشر الميلادي .

وعن تحليل لحياة بعض كبار الشعراء والعلماء والصوفية ودراسات عنهم في النواحي الاجتماعية والعلمية والأدبية كالداعية الكبير والشاعر عبدا لله بن علوي الحداد الكفيف الذي ذاعت شهرته في بلاد العرب والشرق الأوسط . وكشاعر اليمن الكبير العلامة ابن شهاب وخلاصة شاملة عن أخباره وأشعاره وطرفه ورحلاته إلى البلاد العربية والشرقين الأدنى والأقصى ومشاركته في المجالات الإصلاحية ، والضجة التي أثيرت في العالم الإسلامي حول معاوية ابن أبي سفيان.

وعن تاريخ الاستعمار في جنوب اليمن ونتائجه ، وعن واقع هذا القطر ، وعن واقعنا العربي العام بصراحة تامة في حدود الالتزام والاعتدال ، وإحصائيات مدرسية وزراعية وجداول فيهما وخريطة زراعية تبين رقعة الزراعة الخضراء ، إلى غير ذلك مما هو مفيد وممتع لكل قارئ وأديب بنفس ذلك الأسلوب الشيق الذي يحكي الوقائع والحوادث كما هي بأمانه وإخلاص ويقدم النقد البناء النزيه والدواء الذي يراه ناجعا حول الأخطاء السياسية والأمراض الاجتماعية في شفائها ، ويشبه إلى حد كبير في طريقته كتاب حياة الشرق لمحمد لطفي جمعه وتاريخ الأمة العربية للمقدادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على عطاياه وصلاته وسلامه على سيدنا محمد أكرم مصلح عرفه التاريخ في جميع نواحي الحياة وغلى آله الذين زينوا العروبة والإسلام بأفعالهم الحميدة وعلى أصحابه الذين ملأوا صفحات التاريخ بأعمالهم المجيدة وعلى من والاه ووالاهم من أبناء الأمم العديدة ٠

وبعد فاني أريد أن أتحدث إليك أيها القارئ – كما لو كنت حاضراً عندك – عن تاريخ حضرموت في أدواره المتعاقبة والمشتملة على عصور الدول التي حكمت حضرموت وما جرى فيها من أحداث وأعمال على مسرح الزمن إلى عرض لنماذج من أبطال حضرموت في تلك العهود من رجال العلم والاجتماع والسياسة والحكم ٠ ولم أشأ أن اجري في هذا كله على الطريقة التقليدية لبض المؤرخين من تغليب رجال السلطة والحكم وتدوير محور التاريخ على حياتهم ، بل عنيت أكثر بالنواحي الاجتماعية العامة وبتغليب رجال الفضل والعلم والإصلاح [1] الذين يجب أن يكونوا قدوة صالحة للجيل الجديد والذين خدموا مجتمعاتهم بقدر ما جنى عليها المستبدون من رجال السلطة والحكم وبذلت مجهوداً في أن يكون ذلك تاريخاً حضرمياً مركزاً مترابطاً في مراحله وعهوده وطبقات رجاله وملاحظاته وأبحاثه وتعليقاته حسب المستطاع وفي حدود المعلومات التي التقطتها من المصادر التي بين يدي[2] وأسميته – أدوار التاريخ الحضرمي

---

[1] لكثرة ما أنجبت حضرموت من الرجال المبرزين في مختلف النواحي الاجتماعية انتقيت منهم أولئك النماذج الذين توفرت لدي المراجع الوثيقة في تواريخهم المشرقة وكأني ببعض القراء يود أن لو أضفت إليهم آخرين أو أبدلت ببعضهم آخرين فأقول: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق٠

[2] لا تخلوا بعض المصادر التي يعتمدها المؤرخ الحضرمي من نقاط ضعف لا مساس لها بالتاريخ كركاكة التعبير وهذا لا يعم ما دمنا ننظر فقط إلى قيمتها التاريخية٠

أما أهم الأسباب التي دفعتني لهذا العمل فهو التماس بعض المسؤولين عن التعليم الأهلي بحضرموت [١] أن أضع كتاباً في تاريخ حضرموت يكون مرجعاً للمدرسين وكبار الطلبة، فوضعت له هذا الكتاب المشار إليه بشكله وروحه ٠

وارجوا أن أكون بهذا قد أديت شيئاً من واجب المشاركة في خدمة وتدوين جزء من تاريخنا العربي الإسلامي العام الذي يجب أن يتوزع بين بنيه، فيتناول أبناء كل قطر تاريخ بلادهم وشعوبهم الخاصة بالبحث والتحقيق وبروح عربية إسلامية ٠ وحينئذ سيسهل التعاون على إبراز عموم تاريخنا من بين تلك التواريخ الخاصة وعلى حصول ما يطلب منه في إطار الوحدة العربية والإسلامية الشاملة، على أن تاريخ حضرموت ليس ميسوراً كغيرة من تواريخ الشقيقات العربية ٠ وبالرغم من أن بعض العلماء والكتاب قد كتبوا عنه وفيه فإنهم إلى الآن – لم يظفروا بكل المعلومات الكافية والمصادر الشافية عنه، خصوصاً في تصوير الحياة الاجتماعية في أكثر العهود الغابرة من التاريخ الحضرمي القديم ومن تاريخ ما قبل الإسلام [٢] ٠ وفي التاريخ الحضرمي الإسلامي حلقات تكاد تكون مجهولة عبر القرون : الثالث والرابع والخامس الهجري ٠

إن هذا يتطلب جهوداً علمية جبارة للكشف والتنقيب عما جهل أو غمض من تاريخنا ، وذلك ما لا يقوم به فرد أو أفراد ، وإنما هو من واجب الحكومات الحضرمية أو دولة حضرموت المتحدة المنتظرة ٠ والتبعة(المسئولية) [٣] في نقص تاريخنا ملقاة على عاتقها أكثر من سواها [٤] ، فعليها تخصيص لجنة من رجال أكفاء ووضع اعتماد كاف تحت

---

[١] منهم رجال الهيئة الإدارية لمدارس جمعية الأخوة بتريم٠

[٢] سيأتي مثل هذا عند الكلام على الدور الحضرمي الأول٠

[٣] كلمة مسئولية مولدة وليس فصيحة وإنما استعملت أيام الحكم التركي العثماني على بلاد العرب ولا يزال يستعملها بعض الكتاب إلى اليوم وذكرنا لدولة حضرموت المتحدة إنما هو لما يتوقعه الناس من إبرازها قريباً ٠

[٤] ومنهم حكومات وشعوب العالم العربي والجامعة العربية ومما يوسف له أن يجهل كثيرون من إخواننا العرب الشيء الكثير عن الجنوب العربي بالرغم من انتشار الوعي العربي والقومية الصحيحة ٠

تصرفها وتشجيعها بكل الوسائل اللازمة لتحضير التاريخ التام المطلوب ٠ ومن أهم تلك الوسائل الآثار التي يمكن الاهتداء بواسطتها إلى ما جهل من المعلومات والتي قد يغني واحد منها في الوصف عن مئات الصفحات من الكتب ، وما ندري هل سيتم ذلك في القريب ؟ ومع ما قلنا ، وقبل أن يتم ما ندبنا إليه فان الميسور لا يسقط بالمعسور وما لا يدرك اليوم كله لا يترك كله فكل من كتب عن تاريخ حضرموت برمح تاريخية نزيهة فقد قدم صنعاً يشكر عليه ، كما أن من تعرض لهذه المهمة – مهمة التاريخ – ولم يؤد فيها حق الأمانة بالانسياق وراء الأغراض من دعاية [١] سياسية أو خدمة أجنبية أو نعرة حزبية أو عنصرية أو غير ذلك [٢] إن من تعرض لهذه المهمة ولم يؤد فيها حق الأمانة فقد عكس ما يراد من التاريخ وقد كذب على نفسه قبل أن يكذب على التاريخ الذي لن يصح منه غير الصحيح ، وسيكون نصيب هذا النوع من التواريخ الصفراء الاحتقار ثم الإهمال ٠[٣] والذي يريد أن – يزيف التاريخ فيروي أحداثه بخلاف الواقع كأنما يريد أن يحور قضاء الله وقدره وذلك مالا يمكن أن يكون ٠

فليحقق التاريخ إذاً وليقدم ويؤخذ على أن يعطينا العبر والعظات الكافية لمعرفة وسائل التقدم الاجتماعي والفردي ولتفهم الأسباب التي أدت إلى خراب البلاد وموت العباد ومن أهمها التحزبات والمنازعات التي بواسطتها دوماً يشهر الحضرمي سلاحه في وجه أخيه وكلاهما من الضعف والفقر والجهل بمكان فيتحطم الأخوان على صخرة هذه الانقسامات الشائنة ٠ فلماذا إذاً لا نجعل من تاريخنا الماضي – وما أكثر ما يعيد التاريخ نفسه – لماذا لا نجعل منه أداة تطبيقية لأن نكون شعباً متراص البنيان قوي الأركان كغيرنا من

---

[١] قال غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : الدعاية شيء والتاريخ شيء آخر٠

[٢] من المؤسف حقاً أن نقرأ في الصحف والكتب ونسمع من بعض المحطات كلاماً مأجوراً مغرقاً في شخصيات معروفة بالصورة الخاطئة الثقيلة التي يمجها الذوق السليم وينهى عنها الدين القويم ويبرأ منها الحق والحقيقة فهل لهذا الليل آخر ؟٠

[٣] من أمثلة ذلك الكتب التي كانت تكيل المديح جزافاً لفاروق وأفراد أسرته الذين لما قامت الثورة المصرية كشفت ذلك القناع الرقيق من على وجوههم ووجوه المتملقين لهم وظهرت الحقيقة بازغة وكأنها تسخر ممن حاول إخفاءها دون جدوى فهل يا ترى سيعيد التاريخ نفسه مع فواريق آخرين صغاراً وكباراً؟

الشعوب الحية التي بينها من الفروق في التقاليد والمذاهب – بل والأديان واللغات – مالا يوجد اقل منه بكثير عندنا ؟ واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ٠

أفلا يسعنا بعد ما وسعهم ونحن في هذا العصر الذي لا يسود فيه إلا من تسلح بسلاح العلم والاتحاد والخلق المتين ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم٠

معلومات عن جغرافية حضرموت

(الموقع والحدود)

تقع حضرموت في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب ، وهي : حضرموت الكبرى _ حضرموت الوسطى _ ما دونها ٠

لقد أختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في حدود حضرموت ويرجع ذلك إلى الناحية السياسية في الأكثر فإن أكثر المؤرخين يحددونها تبعاً للدولة أو الامارة أو العمالة التي في زمنه [١] ٠ فأقصى حدود حضرموت _ ويمكن أن نسميها حضرموت الكبرى _ من عدن غرباً إلى عمان شرقاً وما بين البحر الهندي جنوباً ورمال الاحقاف شمالاً ٠ وهذا التحديد يشمل بلاد الفضلي والضالع ويافع والعوالق سفلاهما وعلياهما والعواذل وبيحان وجميع الامارات الغربية التي تدعى بمحمية عدن الغربية ما عدا لحج والحواشب والعقربي وما تاخمها وتشمل الواحدي والقعيطي والكثيري ومهرة وظفار ٠
هكذا كانت حضرموت ولاية كبرى من ولايات اليمن الثلاث وهي الجند ومخاليفها وتدخل فيها لحج وعدن ، وصنعاء ومخاليفها ، وحضرموت ومخاليفها كما حددناها وذلك أيام الخليفة المأمون وغيره ممن تقدمه من الخلفاء إذ كانت البلاد العربية مملكة واحدة ٠ وبمقتضى هذا التحديد الواسع فستكون في الطول بين الدرجة ٤٥ إلى ٣٠ : ٥٦ شرقي جرنيتش وفي العرض لا تتجاوز مابين ١٣_ ١٩ ٠ [٢]

---

[١] إنك إذا تصفحت تاريخ الهمداني صفة جزيرة العرب وصبح الاعشى وتويم البلدان وأمثالها من كتب السابقين تجد فيها اختلافاً كبيراً ولا يمكن أيجاد مبرر لهذا الاختلاف إلا نما ذكرته ٠

[٢] أنظر الخريطة الفصلة بحضرموت الكبرى في صدر هذا الكتاب ومنها ستستدل على جميع الحدود الواسعة وما دونها مما ذكر هنا ٠ وقد أخذها من عدة خرائط مضبوطة أساتذة مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة بتريم ومؤلف هذا الكتاب بمساعدة السيد الباحث عبدالله بن حسن بلفقيه ٠

الحدود المتداولة اليوم

أما بالنسبة لتحديدها المتعارف عليه اليوم والذي يقرر لأبناء المدارس فما بين رمال الاحقاف شمالاً والبحر العربي جنوباً وما بين عين بامعبد غرباً وسيحوت شرقاً ٠ وهذا الساحل صخري وليس على خط مستقيم ويقدر طوله تقريباً بأربعة آلاف وخمسمائة كيلو متراً ٠

أما مساحة حضرموت هذه كلها بالميل المربع فتقدر بمائة وعشرة آلاف أو عشرين الفاً ، وتشمل سلطنات القعيطي والكثيري والواحدي وجزاءً من المهري وتبعد من خط الاستواء بخمسة عشر درجة تقريباً عرضاً شمال خط الاستواء و٤٩ درجة طولاً شرقي جرنيتش ٠ وهناك من حددها بحدود تتقارب مع هذه الحدود بمسافات أقل [١] لا نطيل بذكرها وأصغرها ما بين العقاد غرباً وشعب هود شرقاً ٠

[١] أنظر الشامل في موضوع جغرافية حضرموت للعلامة السيد علوي بن طاهر الحاد ٠

الجبال والأودية والمدن

إنك تشرف من الطائرة على حضرموت وحين تضع خريطتها بين يديك تجدها سلسلة جبال شاهقة ولكنها منبسطة ، ويتخلل هذه الجبال شقوق كثيرة تلك هي الأودية وأعظمها وادي حضرموت الرئيسي الذي تقع على حافتيه أهم مدن الداخل كتريم وسيئون وشبام والقطن .

هناك على طول الساحل وما يقرب إليه توجد الينابيع (المعايين) بكثرة حيث لا توجد في الداخل الا نادراً وتبدأ الينابيع في الساحل من ميفع حجر غرباً إلى ريدة آل عبد الودود شرقاً .

ومن أهم مدن الساحل اليوم المكلا عاصمة السلطنة القعيطية ، فالشحر ذات التاريخ المجيد فالديس فالحامي أما غيل باوزير فتبعد عن الساحل بما يقرب من ساعة ونصف بمسير السيارات .

ويوجد بميفع نهر صغير ينبع من جبالها ويصب في البحر العربي بالقرب من رأس الكلب عرضه من خمسة أمتار إلى عشرة تقريباً وطوله نحو مايتي كيلو متر وعمقه من خمسة سنتيمترات إلى خمسة وعشرين تقريباً .

وتنقسم جبال حضرموت مابين شمالية وجنوبية وتنحدر أمطار الشمالية جنوباً نحو الوادي وشمالاً نحو الرمال وأمطار الجنوبية شمالاً نحو الوادي وجنوباً نحو البحر . وسلاسل الجنوبية اعلى في الجملة من أخواتها الشمالية وأعلى نقطة فيها تبلغ حوالي ستة آلاف قدم أما الشمالية فأعلى نقطة فيها تقدر بثلاثة آلاف وخمسماية قدم .

كيف تستغل مياه الأمطار بحضرموت

من الطبيعي أن تنحدر الأمطار من الجبال والهضاب إلى الأودية والمنبسطات حيث توجد الزراعة والغراس وتخترق المياه بطون الأرض وتخطط الأرض بأشكال هندسية وسواقي وسدود على نظام معماري معروف يتوارثه الأبناء عن الآباء ٠

ويتقدم الفن المعماري ويتأخر تبعاً لتقدم الشعب وتأخره كما سياتي في أدوار تاريخ حضرموت القادمة ٠

ولكن الواقع اليوم إن كثيراً من مياه الأمطار والسيول تذهب هدراً وهي في نفس الوقت ذهب يمكن استغلاله لو أصلحت سدوده وترعه ومجاريه فأطيان حضرموت اطيان جيدة خصوصاً في المناطق المعروفة بخصبها كمنطقة ميفع في الساحل غرب حضرموت ومنطقة القطن غرب شبام ومتعلقاتها إلى الفرط بحضرموت الوسطى ، ومنطقة قسم شرقي حضرموت وتمتد إلىما بعد طبوقم [١] وتمناز هذه المنطقة بجودة التربة ونقاء الجو وقرب الماء من سطح الأرض ولكنها مع الأسف مهملة ٠

محاولات غير مجدية في هذين العقدين الأخيرين

وقد حاولت حكومة بريطانيا باسمها وباسم السلطنات المحلية أن تقوم بمشاريع عمرانية لاصلاح السدود وقرض الزراع وتسليفهم واسعافهم بالمكائن والحبوب والنقد ، ففشل المشروع وعاد بالخسران على كثير من المزارعين ولم يستطيعوا اداء المرجوعيات التي وزعت بشكل ضرائب على رؤوس النخيل ٠

[١] طبوقم مقاطعة بينها وبين شعب نبي الله هود نصف مرحلة تقريباً ٠

أسباب الفشل

١- من أهمها عدم كفاءة المديرين والخبراء الذين عينتهم الحكومـة البريطانيـة فوضـعوا تصاميم السدود على غير أساس علمي ناجح فخربتها السيول بشكل مريع [١] ٠

٢- أنواع المكائن _ رفاعات الماء التي جلبت لهم من أنواع رديئـة كمكـائن بـيتر وترنـر وكان نصيب الكثير منها التحطيم وعدم الاستمرار ٠

٣- عدم توفر المهندسين الاكفاء للمكائن الزراعية ٠

٤- آفات زراعية لم تعالج علمياً تماماً ومنها الجراد ، إلى غـير ذلـك مـن الأسـباب الـتي ملئـت بهـا عـشرات الملفـات والعـرائض والتقـارير في الموضـوع لـدى الحكومـة والأفـراد والهيئات الشعبية مما يمكن للبحـث المجـد الإطـلاع عليـه مـن مـضانه ولا تـزال ذيـول المشروع باقية٠

الطقس

الطقس فيها صحي وهو أكثر نقاء وجفافاً في السهول والأودية حار في الـصيف إلى درجـة أنه بلغ ١١٠درجات ٠٠٠٠ سـنة ١٩٦١م ٠ وأشـد أيـام الـسنة حـرارة الأربعينيـة وهـي

---

[١] منها سد النقرة حيث بني بطريقة واضحة الخطأ ففضه الماء وذهبت الأعمال والملايين التي أنفقت فيه هباء منثورا وسد المثور الذي وضع اكثره بشكل اكوام واسوام من التراب فجحشها السيل ودفن آلاف النخيل بها وكسر سدودها وهذا لأن حضرموت ابتليت كأمثالها من البلاد المحمية أو المستعمرة بضباب يجازفون بأعمال فيها على غير مهارة وبدون اعتبار لشعبها مما كانت نتيجته الخسارة الأدبية والمادية في نواح حيوية كما سياتي في مواضعه ٠

أربعون يوماً تبدأ من ٧ الغفر ، ٤مايو ٠ وأشد من هذه الأربعينية حرارة المثمنات وهـي ثمانية أيام : الأربعة الأخيرة من منزلة الشول والأربعة الأولى من النعائم ٠
والشتاء فيها معتدل البرودة غالباً

تقلبات الطقس[1]

والغريب ان الطقس فيها في هذه السنوات الأخيرة ذو تقلبات مختلفة سريعة خـصوصاً في فصلي الصيف والربيع ، فبينما تشتد الحرارة في صدر الليل بها تنعكس أثنـاءه أو آخـره إلى برودة لا تكاد تحتمل ٠ وقد تشتد الحرارة فجأة وتبرد فجـأة ثانيـة والعكـس وهكـذا دواليك ٠

الأمطار

تكثر الأمطـار في دواخـل حـضرموت في فـصلي الـصيف والخريـف وهـي أقـل وجـوداً في السواحل٠
والغريب أنهم يتقدمون في فصولهم بفصل فتجري عندهم هكذا :

[1] أنظر كتاب الخريت على المواقيت شرح الأستاذ أبن هاشم علي ، ارجوزة المصنف المسماة : اليواقيت وفيه ايضاً تقدم فصولهم بفصل كما سياتي٠

الربيع الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت صيفاً،

الصيف الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت خريفاً،

الخريف الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت شتاء،

الشتاء الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت ربيعاً،

والمطر في هذين الفصلين نادر جداً ، وقد يحصل الجفاف أحياناً لأسباب طبيعية منها: _ أن الرياح الموسمية تصطدم بالجبال القريبة من البحر فتوقع الأمطار عليها فقط دون أن تصل إلى الهضاب الداخلية فيحصل الجفاف في الأودية والأراضي التي تتلقى سيولها منها.

ثروات حضرموت

الثروة الحيوانية:

توجد بحضرموت في كثير من أدوار تاريخها : ثروة هائلة من الأنعام والخيول حتى لقد وصل نصيب احدى زوجات بعض أثريائها الأربع ثمانين رأس من الخيل [١] وعندما تقرأ عن فرسان حضرموت وعن الابل المهرية وبقية الحيوانات في الفصول الآتية في هذا الكتاب سيتبين لك غنى حضرموت بهذه الثروة وتصديرها إلى الخارج منها ٠

أما اليوم فتوجد من هذه الحيوانات ما عسى أن تقوم ببعض حاجة السكان الماسة إليها على أن الخيول بالذات أصبح من النادر أن توجد في أكثر المقاطعات ولا يعرفها الاطفال الا في الرسوم المدرسية ٠

وفيها الحيوانات الوحشية واكثرها الوعول والغزلان حيث يقصدها الصيدون إلى الجبال والوديان وحيث تقام المهرجانات وحفلات الصيد الشعبية بعد اقتناصها ٠

اما الاسماك فتوجد بكثرة هائلة وتزيد على ثمانين شكلاً ٠ وقد كانت فيما مضى تفيض جداً عن حاجة السكان ولكنها اليوم لا تكاد تفي بها حيث يزدادون زيادة مطردة [٢] ٠

نعم يصدر الوزيف وهو صغار السمك (العيد) بفتح العين بعد أن يجفف إلى الخارج كما يصدر زيته بكميات يسيرة ٠

ويستعمل في حضرموت سماداً لبعض المزروعات ومن أهمها التبغ٠

---

[١] أشير بهذا إلى الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم٠

[٢] مما يستغرب ما سمعناه عن طمح بعض الشركات الاجنبية في استغلاله ولكن واجب المسئولين ان يحولوا دون ذلك إذا أصبح هذا ، فهل هم فاعلون ؟

الثروة النباتية

تنتج حضرموت التمر وأنواعه كثيرة أوصلها بعضهم إلى ثلثمائة نوع [١] في بعض مراحل التاريخ ٠

وتمر حضرموت من أجود تمور العالم كما أن بُرّها وقطنها وزيتها كذلك بشهادة بعض الخبراء الأجانب ٠ والحضرمي فيما مضى من تاريخه وإلى وقت قريب جداً يتخذ التمر قوتاً في بعض وجباته بينما يتخذ الآخرون فاكهة ٠ وكانت تصدر منه إلى الخارج كميات وافرة إذ كانت السدود معمورة ومساحات الوديان الحضرمية مشغولة بالنخيل ، والغراس قائم على قدم وساق فتعاون الخراب ، والضرائب والمرجعيات ، وكسل السكان وخور عزائمهم ومضايقة المسئولين لهم كل هذه العوامل تظافرت على جدب البلاد من النخيل وقلعت السيول كثيراً مما كان موجوداً [٢] ولم يعوض ببديل عنه فكان المحصول ضئيلاً بالنسبة لما مضى ومع ذلك فالملاك يتبرمون من نخيلهم لأن تكاليفه أضعاف قيمته وواجب المسئولين ازالة الأسباب التي أشرنا أليها ليتم أنتاج النخيل بالصورة المرجوة حتى تنتفع منه البلاد أقتصادياً ٠

ويوجد بها أشجار السدر (العلوب) وتستعمل أخشابها في بناء البيوت وتضم إليها أخشاب أخرى جميلة كخشب العريط حيث ينبت شرقي حضرموت ٠

أما االمزروعات فأكثر الأنواع الشهيرة منها تزرع بقدر الحاجة تقريباً من بر وذرة وكزبرة وخضروات وغيرها وتزرع بعض أشجار الفاكهة في السواحل كالباباز والموز ٠

وقد أصبح اليوم الاعتماد في أكثر الوجبات على الأرز المنقول من الخارج كبرمه بينما في الامكان الاستغناء عنه بالاعتماد على أنتاج البلاد وزرع الأرز فيها وقد جرب زرعه في مقاطعة حجر فنجحت التجربة ولكنها لم تستمر لتقصير الحكومة والشعب ٠

---

[١] نظم الشاعر العلامة عبد الرحمن بن محمد بن شهاب قصيدة باللغة الدارجة في أنواع التمر وذكر صاحب المشرع الاحصاء الذي اشرنا إليه٠

[٢] في سنة ١٣٧٣جاء سيل كبير وقلع نخيل وادي دوعن وترك الأرض يبابا وفات على الأهلين ما يقدر قيمته بنحو ثلاثة ملايين شلن وقبلها بسنوات قلعت السيول نخيلاً كثيرا في مسيلة عدم وفي وادي بور ولأسباب الفشل التي ذكرناها دخل فيما جرت من خراب مستمر ٠

ويزرع التبغ (التنباك) في الساحل وتصدر منه كميات إلى عدن فمصر وغيرها ولا يزيد صادره سنوياً إذا صلح عن مليون شلن

(٠٠٠، ٢٠٠٠) ٠

وبالأودية والجبال توجد أشجار ونباتات تستخرج منها العقاقير وتعمل منها الوصفات البلدية والأودية البدوية وستأتي الاشارة إلى شيء منها في الفصول القادمة ٠

ومن منتجاتها العسل وهو أجود أو من أجود أنواع العسل في العالم في طعمه وخواصه ، وتصدر منه كميات يسيرة إلى الخارج٠

الثروة المعدنية

يوجد بحضرموت معادن كثيرة أوصلها بعض المستشرقين إلى خمسين نوعاً منها : النحاس ، والشب ، والحديد ، ومنها الملح الصخري حيث توجد هضاب منه في الصدارة وشبوة ٠ والواقع أن حضرموت لا تزال بكراً ولم يعلن عن اكتشاف شيء مما يظن وجوده فيها : كالاسمنت ، والكبريت ، والذهب والأورانيوم ٠

ويقال أن الحكومة البريطانية تحمل من مواقعها في الجبال الشمالية بمنطقة ثمود [١] كميات على السيارات والطائرات ٠

---

[١] نشرت جريدة الجنوب العربي في العدد العاشر من السنة الأولى الصادر يوم الجمعة ٧_٤_٧٤ وجود منابع البترول حيث تمتد عيونه من الظهران ثم تمر على ثمود ومنها يتجه إلى سيحوت وسلاله واها فرع يمر ما بين تريم والغرف إلى مريمة ثم يتجه إلى مسيل دوعن ثم شبوة واليمن ، ووجود الأسمنت بتريم والذهب بمنطقة سيون ٠ وقد عثر مراسلها على خريطة سرية بهذا كما نشرت غيرها من الصحف التحميل الذي أشرنا إليه ٠

أما البترول فقد وجد فعلاً في شمال شرقي حضرموت وبمنطقة ثمود وتبادل المسئولين في الحكومتين الخطابات والمحادثات حول استخراجه مع بعض الشركات الأجنبية ، واخيراً أبرمت بينهم وبين شركة زيت بان أمريكان الدولية المنبثقة عن شركة أستاندر انديانا الأمريكية [١] اتفاقية يقال انها طبق الاتفاقية المبرمة مع الجمهورية العربية المتحدة وإذا كانت كذلك وأبرمها أولئك المسئولون فهل يفوز الشعب بكل ما يرجوه منها ؟

السكان

وسكان حضرموت عرب جلهم قحطانيون ومنهم عدنانيون وسيأتي ذكر كثير من قبائلهم في مواضعه ، وتغلب عليهم السمرة مابين خفيفة وشديدة وقد اختلطت دماء بعضهم بدماء اندونيسية وصينية وملايوية خصوصاً في الداخل وبدماء افريقية خصوصاً في الساحل ولهذا يبدو في المختلطين منهم بهذه الأجناس ملامحها وطباعها وأمزجتها ٠ وقد نشأ هذا من هجرة الحضارمة إلى البلاد الأخرى العجمية بدون عائلات فيضطرون إلى التزاوج معهم وبالتالي أنجاب أطفال لا يعرفون شيئاً عن عروبتهم ولغتهم الا إذا تعلموا ذلك فيما بعد أو زاروا وطنهم الأصيل ٠ وهؤلاء قليلون إذ أكثرهم مندمجون في شعوب أمهاتهم ويوجد بينهم أفراد من الهنود البانيان ومن الموظفين الأوربيين في مدينتي المكلا وسيئون ومماليك السلطنتين الذين هم من أصل افريقي ٠

وبسبب ما ذكرته توجد الفاظ دخيلة _ هندية وملايوية وغيرهما _ على اللغة الحضرمية الدارجة التي أقرب اللغات العربية الدارجة إلى الفصحة _ مادة ومعنى

---

[١] هكذا أسميت في صحيفة الرائد عدد (٤٠) السنة الأولى ٠

وأمثالاً وأشعاراً _ ويوجد فيها ألفاظ خاصة بها تتصرف تصرف الألفاظ العربية وتشتق منها مشتقاتها طبق الموازين العربية ٠ ويظهر انها بقية من اللغة الحميرية القديمة وقد أفردها بعضهم بقواميس خاصة لا تقل موادها عن ثلاثمائة مادة كما ألفت تآليف خاصة بالأمثال الحضرمية الدارجة وبالشعر الحضرمي الذي نبغ فيه فحول لهم دواوين كثيرة موجودة ٠

المذهب والعقيدة والعدد

ومذهبهم كلهم شافعي في الفروع وقد يخالفون مذهب الشافعي في بعض الأعمال والأحكام كالعهدة والمزارعة والمغارسة وغير ذلك مما يضطرون إليه ٠

وعقيدتهم سنية أشعرية وقد يخالفون الأشعري في نقاط معروفة كالقول بايمان المقلد الذي لا يقول به ٠

أما عددهم فيتراوح بين نصف مليون وأربعمائة ألف حيث لا يوجد احصاء رسمي لهم ولكن المدن الكبرى حيث يوجد السكان بها أكثر يعتقد انها كما يلي تقريباً [١] :

	نسمة
المكلا	٥٣ ٠٠٠
الشحر	١٢ ٠٠٠
الغيل	٠٥ ٠٠٠
سيئون	١٢ ٠٠٠
تريم	١١ ٠٠
شبام	٠٥ ٠٠٠

٨٠٠٠٠ المجموع ثمانون ألفاً

[١] ظهر لنا أن المجالس البلدية إلى اليوم لم تستطع القيام باحصاء مضبوط للسكان ٠

وقد أحصي بعض العشائر المتسلحة على وجه التقريب فكان مجموعهم وعائلاتهم حوالي خمسين ألفاً وذلك منذ أكثر من ثلاثين سنة ٠

ومعنى هذا انهم قد تضاعفوا أضعافاً كثيرة تتقارب مع ما ذكرناه وفي التقرير السنوي لحكومة عدن لسنة ١٩٥٨ م ان سكان المحمية الشرقية للسنة نفسها ثلاثمائة ألف نسمة ويعتقد أنه دون الواقع٠

أمتنا العربية التي نحن جزء لايتجزأ منها

بما أن حضرموت جزء لايتجزأ من الوطن العربي الكبير، فالحضارمة شعب من صميم الشعوب العربية الكثيرة التي تتكون منها الأمة العربية المنتسبة إلى سام بن نوح وموطنها بلاد العرب ذات الموقع الإستراتيجي العالمي ، والغنية بثرواتها العظيمة ، وتمتد حدودها من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي .

ولا شك أن الأمة العربية من أذكى وأنبل الأمم وأكثرها إستعداداً لقيادة العالم ، وتوجيهه إلى حياة السعادة والمدنية والعلم والحضارة والنور كما وقع ذلك فعلاً بعد ما ظهر سيدنا محمد النبي العربي العظيم يحمل رسالة الإسلام ويبشر به كدين ذي مبادئ إنسانية فطرية منقطعة النظير .

وهكذا تلاقت الميزتان ميزة الإسلام ، وميزة العرب ونتج عن ذلك عهد الخير والسعادة والرفاهية والتقدم البشري مدة قرون عديدة تمسك العرب فيها بالميزتان المشار إليهما . ولما نسو مباديهم الإسلامية والقومية ولم يجدوا التوجيه المطلوب انهارت حضارتهم ، وضاعت مثلهم العليا وأصبحوا مقسمين الى أن إستولى عليهم الأجانب ومزقوهم كل ممزق كما هو معروف في التاريخ . وهم في هذا العصر الحديث قد تنبهوا من غفلتهم وبدأوا يسعون بجد في إستعادة مجدهم العربي الإسلامي ولاشك أنهم سيفوزون في النهاية وسيتغلبون على أعداء العروبة والإسلام في الداخل والخارج ، وأن جندنا لهم الغالبون ،

وقد ذكرنا هذه التوطئة لأن التاريخ الحضرمي في كثير من أدواره وعهوده مندمج في التاريخ العربي العام ، وسنتكلم عن أدوار التاريخ الحضرمي المشار إليه سواء المستقلة لنفسها ، والمندمجة مع التاريخ العام العربي والإسلامي .

فالعرب من حين عرفوا ووجدوا في بلادهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام نذكرها بإختصار :

العرب البائدة .

العرب العاربة أوالقحطانية .

العرب المستعربة أوالعدنانية .

العرب البائدة

أما العرب البائدة فهم أقدم قبائل العرب ، ولا يقل قدم الأولى منهم عن أربعة آلاف سنة . وقد بادت تلك القبائل بعد ما كان لها شيء من الملك والحضارة بقيت آثاره وهي كما يلي :

القبيلة أوالشعب	أشهر مواطنها	تاريخ ظهورها بالتقريب
العمالقة	الحجاز ومصر والعراق	٢٥٠٠ ق.م[١]
عاد (وسيأتي الكلام عنها)	الأحقاف بين عمان وحضرموت	٢٠٠٠ق.م
ثمود	جنوب الجزيرة وشمال الحجاز	١٥٠٠ق.م
طسم جديس	اليمامة بنجد	٣٠٠ بعد الميلاد
مدين	العقبة بالأردن	١٥٠٠ قبل الميلاد

[١] وقد لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ مصر ويسمون في الكتب الأجنبية الهكسوس والشابوي الرعاة ولهم في العراق دول كبيرة منها : الدولة البابلية الأولى – أنظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان وتاريخ الأمة العربية للمقدادي .

وعد بعض المؤرخين قبائل أخرى بادت منها أميم وجرهم وحضرموت . وإذا صح هذا فلا شك أنهم يعنون حضرموت الأولى لاحضرموت الأخيرة التي سيأتي الكلام عنها وعن بعض رجالها وقد جاء الإسلام وليس للعرب البائدة نسب معروف .

العرب العاربة

هؤلاء هم القحطانيون أو (اليمنيون) نسبة إلى موطنهم في اليمن . ثم تفرقوا ولهم دول في اليمن كالمعينين والسبأيين والحميريين وسيأتي الكلام عنهم في ما بعد . ولهم دول أخرى من بلاد العرب غير اليمن أشهرها دولة الغساسنة في الشام عاصمتهم البصرى ، ودولة اللخميين في العراق وعاصمتهم الحيرة .

وهناك قبائل يمنية شهيرة نذكر منها : همدان ، والازد ، وحمير ، ومذحج ، وكندة ، وقضاعة [1] ، وطيء ، وحضرموت .

ولكل من الدول القحطانية ملوك لهم قسط من الحضارة كما هو مدون في كتب التاريخ إلا أن تلك الدول متعادية متباعدة ليس لها رابطة تربطها لا جامعة تجمعها وليس لها دين صحيح يرشدها إلى طريق السعادة ، ولم تبلغ في حضارتها وتمدنها المبلغ الذي يرفع مستواها إلى حياة إجتماعية عالية تؤمن مستقبلها وتحفظها من غوائل الفساد والإنحلال والتدهور . جاء الإسلام وهي بحاجة إلى ما أشرنا إليه فسد تلك الحاجة بما يحمله من مباديء إجتماعية سامية وقيم روحية عالية فنظمها كلها تحت لوائه دولة إسلامية عربية شاملة خدمت العالم ووجهته إلى ما فيه الخير والفلاح ، ونرجوا أن يعيد التاريخ نفسه إذا صمم العرب والمسلمون على إستعادة مجدهم ، وإن جندنا لهم الغالبون .

[1] على من يقول أنها يمنية ، ومنهم من عدها عدنانية .

العرب المستعربة

أما العرب المستعربة فهم نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ويقال لهم العدنانيون وهم قبائل كثيرة معروفة فمنهم تميم وغطفان وكنانة ومنها قريش . ومنهم بنو هاشم أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن قبائل عدنان ربيعة ومنها تغلب وبكر ونها بنوا شيبان . وأنساب العرب شعوباً وقبائل مدونة مفصلة في كتب الأنساب المختصة [١] . والعرب من الأمم التي تعتني بحفظ أنسابها وتعتز بأحسابها وتقتفي آثار أجدادها في الفضائل والمحاسن والمناقب والتقاليد والعادات كما يشهد بذلك واقعها وتاريخها .

الشعوب العربية وبلادها في العصر الحاضر

سيتضح لك من الجدول البياني التالي والخريطة التي تليه عدد إخوانك العرب وبلادهم وشعوبهم وأنهم يمثلون بمجموعهم قوة عالمية هائلة في جميع نواحي الحياة ، وأنهم كانوا في أيام عزهم السابق شعباً واحداً وبلاداً واحدة فجاء الإستعمار وشتت شملهم واستولى عليهم وإستعان على ذلك بعملائه من أبناء جلدتهم الذين خانوا دينهم ووطنهم وأمتهم . ولكنهم كافحوا وجاهدوا من أجل الإستقلال وبذلوا دماءهم وأرواحهم حتى ناله أكثرهم والبقية يسعون إليه هم وإخوانهم بخطى واسعة سريعة ووثبات بعيدة بما فيهم أهل حضرموت التي نحن بصدد تاريخها .

والشعوب العربية اليوم تعي وتدرك كل شيء يراد لها وتنتظر اليوم الذي تتحد فيه وتكون دولة كبيرة واحدة مؤلفة من ولايات متحدة كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي ويرى كل فرد واع من أبناء العرب أعظم عيد له في أن تتحقق تلك الأمنية . وإذا كانت تقف في طريقها العقبات والصعوبات من الداخل أو الخارج فمن

---

[١] أنظر جمهرة العرب لابن دريد والعقد الفريد لابن عبد ربه .

المحقق أن العرب سيزيحونها في النهاية . ولعل مما يهيء لهم ذلك وجود الجامعة العربية التي يرجوا لها كل عربي أداء رسالتها بصورة أقوى وأسمى مما هي عليه الآن .

اسم البلاد	تقدير عدد السكان	تاريخ الإستقلال التام
الجمهورية العربية المتحدة	٢٣٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٢ بثورة الجيش ضد فاروق وبريطانيا
الجمهورية العراقية	٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٨بثورة الجيش ضد الملكية وبريطانيا
الجمهورية السورية	٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٤٦ بطرد فرنسا
الجمهوية اللبنانية	١٥٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٤٦ بطرد فرنسا
المملكة الأردنية الهاشمية	١٢٥٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٦ بطرد غلوب باشا
المملكة اليمنية	٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩١٧ بسقوط الدولة العثمانية
المملكة السعودية	٧٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٣٢ أسسها عبدالعزيز آل سعود
المملكة المغربية	١٠٠٠٠٠٠٠نسمة	عام ١٩٥٦ بطرد فرنسا
الجمهورية التونسية	٤٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٧ بطرد فرنسا
الجمهورية السودانية	١٠٠٠٠٠٠٠نسمة	عام ١٩٥٥ بطرد الانجليز
المملكة الليبية	١٥٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥١ بطرد إيطاليا وبريطانيا
دولة الكويت	٢٥٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٦١ بإعلان الإستقلال
المجموع	٧٣٥٠٠٠٠٠ نسمة	

البلاد التي في طريقها إلى الاستقلال

اسم البلاد	تقدير عدد السكان
الجزائر[1]	١٠٠٠٠٠٠٠ نسمة
إمارات الخليج العربي	٥٠٠٠٠٠ نسمة
سلطنات الجنوب العربي وخليج عدن	١٠٠٠٠٠٠ نسمة
فلسطين المحتلة	١٥٠٠٠٠٠ نسمة
مجموع الكل	٨٦٥٠٠٠٠٠ نسمة

[1] نالت إستقلالها عام ١٩٥٨ بطرد فرنسا أثناء تأليف هذا الكتاب

الدور الحضرمي الأول

دور حضرموت القديمة

كانت حضرموت في الأزمان السحيقة التي تسبق التاريخ أرضاً بكراً غير مأهولة ، كالكثير من قطاعات الكرة الأرضية إذ ذاك ويحتمل أن يكون[١] قد عرفها الإنسان القديم كما عرفها بعده جيل متمدن من البشر .

ومن المعلوم أن لحضرموت كغيرها من البلاد دولاً قديمة جداً منذ آلاف السنين ، ولم يدون عنها إلا التاريخ المجمل لا التاريخ المفصل المسلسل بأيامه المحدودة ورجاله وجميع دقايقه شان التواريخ المدونة الموجودة بين أيدينا فيما بعد تدوين التاريخ في العصور الإسلامية عن الدول العربية والإسلامية .

ومع ذلك فأن ما قلنا عنه أنه تاريخ مجمل عن دول حضرموت السابقة على الإسلام لموقع اضطراب وخلافات بين المؤرخين ، خصوصاً المستشرقين . الذين كتبوا عن دول حضرموت ومشيخاتها من امارات اليمن ومخاليفها ، حتى بلغ بهم الأمر إلى تقديم دول بأكملها على دولة كالدولة المعينية وهي الشهيرة بأنها أقدم دولة بعد عاد في اليمن . فبعضهم يؤخرها عن دولة سبأ ويقدم سبأ عليها . وحتى عاد نفسها فقد بلغ ببعضهم التسرع والجرأة إلى حد إنكارها[٢] فضلاً عن تأخير زمانها ولهم بصدد ذلك نظريات بعيدة شاذة .

والغريب أن بعض من كتب عن تاريخ حضرموت نقلاً عنهم يقلدهم تقليداً أعمى إلى درجة تحريف كثير من أسماء بلادنا ورجالنا وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

---

[١] المراد بالإنسان القديم الإنسان الفطري الذي لم يأخذ بأسباب الحضارة فيما بعد التاريخ

[٢] أنظر تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي

ويجد القارئ عن هذه الدول خلافات أيضا في أسماء رجالها وملوكها ومواقعها وحروبها وازمانها مما لا يكاد يجمع على تفصيله في شيء . وهذا هو المعتاد غالبا في مثل هذه الأحوال ،فكلما بعد العهد عن شيء كلما أهمل ونسي وكلما قرب العهد به كلما بقي في الذهن وأمكن ضبطه وتقييده ،ولكن علم الآثار قد يدلنا في المستقبل على كثير من المعلومات التي نحن متلهفون على الاطلاع عليها ، خصوصا عما يتعلق بالنواحي الاجتماعية على اختلافها وسير الرجال الذين برزوا في خدمة المجتمع اقتصاديا أو ثقافيا آو عسكريا آو خلقيا أو دينيا ليكونوا قدوة لمن بعدهم فتعداد الملوك والسلاطين والأمراء وقوائم أسمائهم مثلا لاتهمنا بقدر ما تهمنا التفصيلات الكافية عن أعمالهم الشعبية وتضحياتهم الاجتماعية ومن هو بخلاف ذلك ، والى أي حد يستغل المستغل منهم سلطته ومن هو الذي يقيم عرشه ويعني برحته على حساب شعبه ؟ فالميزان عندنا بقدر الشعبية والعدالة الاجتماعية وحسن السلوك ليستطيع التاريخ أن يحاسب كلا بما يستحق ويسجل له ما كسبت يداه وهذا هو غايتنا من تأليف الكتاب .

من أجل السبب المتقدم وهو الاضطراب في تاريخ حضرموت القدم اكتفينا بما يمكن أن يطمئن أليه البال مما يعطينا ولو صورة عامة عن النواحي الهامة من تاريخ حضرموت القديم وما يتصل به .

أما فيما بعد تلك العهود القديمة ، قد لانجد في بعض مراحل التاريخ الحضرمي بعدها ما يشفي فنقع في الإجمال الذي لا نحبه أو يصاحبه غموض لانجد ما يكشفه لنا كما في المرحلة التي بين القرنين الثالث والسادس الهجريين [1] ، وقد تبرز لنا أسماء آو أشخاص لانعرف عنها إلا النزر اليسير من الخير والشر ، وقد يكون حظها في واقع التاريخ اكمل آو أقل مما ذكرت به . إننا على أي حال سنراعي دائما مبدأنا التاريخي الذي أشرنا إليه هنا وفي خطبة الكتاب ، وسنقرب إلى الإفهام من تاريخ حضرموت ماكان بعيدا عنها إن شاء الله حسب المستطاع .

[1] . ومع ذلك فقد استطعنا أن نربطها ونصل حوادثها ورجالها بما قبل وبعد .

عـــــــاد

من ٢٠٠٠ سنة ق.م إلى ١٠٠٠سنة تقريبا ١

لم يذكر المؤرخون شعبا سكن حضرموت قبل عاد فشعب هو أول من سكنها بعد الطوفان وهو شعب سامي يعده المؤرخون من العرب البائدة التي تتكون منها الطبقة الأولى من العرب ، ومما لاشك فيه أن له مدينته وحصنه وقلاعه ومبانيه العظيمة ومزارعه الواسعة وعيون مائة و أنعامه . وأبناء عاد قوم أقوياء البنية عمالقة الأجساد شديدو البطش كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم ، وكانوا يسكنون الأحقاف ما بين اليمن وعمان وكانوا قبائل متعددة وقد أرسل الله إليهم أخاهم هود ليرشدهم إلى طريق الهدى ولكنهم أبوا وتمادوا في عبادة الأصنام والظلم والانحلال الخلقي حتى روى بعض المؤرخين انهم أول من أتخذ النساء للإغراء بواسطة الغناء . وأخيرا كان عاقبة أمر العصاة والمنحلين منهم ــ وهم الأكثر ــ الهلاك . وسلم الذين أتبعوا تعليمات هود ونصائحه وإرشاداته وهم الثانية كما يقول بعض المؤرخين بمعنى أنهم الطبقة الثانية من الشعب العادي والتي جرت بينها وبين ثمود حروب من ناحية وبينها وبين يعرب بن قحطان حروب أخرى ، ونسبها بعضهم إلى قحطان .

وليس لعمر شعب عاد مدة معلومة بالضبط ولكن بعضهم يقدرها بألفي سنة [١] ويقال سبعمائة سنة .

[٢] . هذا بمراعاة الأقوال كما سيأتي وتقريبي كما قلنا .

وقد مات هود بحضرموت فيما يروي كثير من المؤرخين وخاصة من كتب حضرموت ، وأصبح وجود القبر متواترا بمحله المعروف [٣] وكانت تقام سوق سنوية في الجاهلية في شعبان [٤] في المنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت قرب بيربرهوت الشهيرة ، وهي كما وصفها بعض المستشرقين كهف [١] عظيم عميق مظلم ذو تعاريج وتقاطيع يبلغ طوله ١٢٠قدما وعرضه أربعمائة وخمسون ٤٥٠قدما وعمقه ٦٠٠قدما .

وفيما بعد الإسلام الحضارمة إلى الموضع الذي أشتهر بوجود قبر نبي الله فيه وأصبح متواترا وجوده به كلما عن لهم ذلك لزيارته .

ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان كل سنة وأصبحت موسما من المواسم العامة بحضرموت ، وتحدد موضع القبر هناك وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر ولكنها لاتسكن سوى عدة أيام في السنة وفي أيام الزيارة [٢] أما بقية العام فتبقى بيوتها الكثيرة خاويه خاليه فهي تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية .

---

[٣]. يقول بعض أخر من المؤرخين أنه قبر ببيت المقدس تبعا لما أثر ان قبور الأنبياء به ، ولكن هذا التعميم منقوض بوجود قبور الأنبياء في أماكن أخرى كثيرة . أن هناك حججا قوية ، ومنها التواتر والاستصحاب تعضد وجوده بحضرموت ويعد أثرا من أثارها .

[٤] . انظر صفة جزيرة العرب للهمداني .

[٥] .وأول من دخلها من كتاب الحضارم فيما بلغنا السيد العلامة محمد بن عقيل بن يحيى ولم نظفر حال تدوين هذا لما كتبه عنها في مجلة المقتطف ولكن لخصه صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين في حاشيته عليه ص٤٨ج١ بقوله :بيربرهوت مغارة واسعة في ثلث الجبل بها صخور غير ثابتة وفيها منافذ أدى بعضها إلى متسع به حفر كثيرة ممتلئة رماد كبريت بمسافة خمسين خطوة إلى جهة الغرب في تعاريج وزحف على البطن في بعضها سطعت رائحة الكبريت ولأسباب خاصة لم يتقدم سوى ١٥٠خطوة على الرماد الناعم الكبريتي ولم تزل المغارة متسعة أمامه إلى حيث لا يعلم على أنه شاهد سقف المغارة المسود يترشح بالمومياء الجبلية السوداء

[١] . تعقد في يومين من أيام الزيارة مجالس عامة القبر في القبة وضاحيتها وتحتها المحل المسمى بالناقة تشتمل دعوات وتسليمات ومواعظ وقراءة قرأن في الصباح وفي الليل كما تعقد بعد الظهر وبعد الشروق هذه المجالس . ويتصدرها جميعا شيوخ بعض الأسر العلوية وتقام أفراح ومهرجانات شعبية لأهل كل مدينة أو قرية عند دخولهم شعب هود وعند عودتهم ألى أوطانهم وفي أثناء الطريف ويلاحظ أنا هذه الأفراح قلة في هذا العصر الحديث .

ومما تمتاز به عدم الاختلاط الناشئ بين الجنسين مما يقع في كثير من الزيارات العامة بحضرموت وغيرها من البلاد الإسلامية بل تتألف زيارة هود من جموع الرجال الغفيرة المعتنقة مذهب الإمام الشافعي .

الحالة الاجتماعية في عهد عاد

غاية ما يمكن أن يقال الآن عن حالة عاد الأجتماعيه بمقتض المعلومات القليلة التي وصلتن عنهم إنها حالة قوة ومنعة ونعمة وزراعة وغناء وبذخ وعناية بالفن المعماري إذ ذاك ، وبيوتهم بيوت حجرية ولهم أصنام يعبدونها .

بل زاد بعض المؤرخين أنا عاد أمة ذات مدنية عظيمة أمتد ملكها إلى بابل أشور وإلى مصر والهند ومبدأ ذلك قبل الميلاد بأكثر من أثنين وعشرين قرنا [٢] .

ولعلهم بالقياس إلى حضارات الرومان واليونان أغل مستوى في كثير من أمورهم فلم تعرف لهم كتب ولا تواريخ ولا طب ولا غير ذلك من مقومات المدنية الرومانية واليونانية .

وحين طغت عاد انحلت أخلاقها ولم تستمع إلى نصيحة نبي الله هود وأتباعه كان عاقبة أمرهم الهلاك ، وأما ما يذكر عن شداد بن عاد وكثرة نسائه اللاتي جاوزن الألف وبنيه الذين قدروا بالآلاف وعن أوصاف مدينة ارم ذات العماد التي يقال أنه بناها [٣] وعن طول قامات العاديين مما أطال فيه بعض المفسرين والمؤرخين فليس له إلى الآن أصل يمكن أن

---

[٢] . أنظر دائرة المعارف للبستاني.

[٣] . وبفرض وجودها فقد اختلفوا في مكانها والأشهر أنها في اليمن ، وقد بنى شداد قصورها من ذهب وفضة وحيطانها مفصصة بالحجارة الكريمة من در وياقوت وغيرهما وترابها من المسك وأجرى فيها الأنهار وخط فيها الطرق وغرس فيها أشجارا من الذهب وأثمارها من اليواقيت والجواهر وزينها بأحسن أنواع الزينة وجعلها اجمل وأفخم شيء وجد في الدنيا تشبيها لها بالجنة إلى أخر ما قالوه عنها مما يصعب معه التصديق وممن أنكره ابن خلدون .

يعتمد عليه ، وربما يكشف لن المستقبل بواسطة تقدم علم الحفريات أو محققي المؤرخين الاختصاصيين عن معلومات واسعة يعتمد عليها في تاريخ عاد.

القحطانيون

لماذا سميت بلاد حضرموت حضرموت؟

القحطانيون مدتهم ما بين ١٠ و ١٨ قرنا تقريبا ق.م وهم أول من ملك حضرموت بعد عاد ، وينتسب القحطانيون إلى قحطان الذي تنتسب إليه العرب القحطانية ، ويذكر المؤرخون نسبة قحطان نسبة قحطان فيقولون : هو قحطان ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وأحد أبنائه يسمى حضرموت ولهذا سميت البلاد باسمه . وضبطها بسكون الضاد وفتح الميم ويجوز ضمها ، أو بأسم حضرموت الأدنى ابن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر إلى أخر النسب المنتهي إلى قحطان ، أو بأسم القبيلة المنتسبة اليه لنزوله هو ونسله فيها كما تسمى كثير من الأقاليم والبلاد باسم النازل بها من فرد أو قبيلة أو شعب . وقد ذكرت في التوراة بما يتضمن هذا الاسم وهو هدرا موت . وذكروا في سبب تسمية حضرموت الأول بحضرموت أنه إذا حضر موقعة كثر فيها الموت أي القتل في أعدائه لشجاعته وعد غير هذا من أسباب تسميتها [٤] .

---

[٤] . أنظر الشامل في تاريخ حضرموت للحداد ويقول فيه أنه يجوز ان يكون أسما مهريا كديموت وسيحوت ومن أسمائها القديمة عبدل بزيادة اللام في عبد .

ولقحطان بنون أخرون منهم يعرب بن قحطان الشهير في التاريخ والذي ولى أخاه حضرموت على حضرموت المسماة باسمه أو باسم من هو أدنى منه وهو حضرموت المعز والي قبيلة سبأ .

و للقحطانيون ملوك قدماء مشهورون في التاريخ [٥] وأسماؤهم عربية إلا أنها محرفة قليلا في لهجتها لأن أولم نطق بالعربية هو يعرب بن قحطان الأخ الأكبر لحضرموت .

ومن المعلوم أن الحضرميين كإخوانهم اليمنيين والعمانيين كانوا منذ ذاك الوقت يتكلمون بالعربية على العموم في الجملة .

وللعربية لهجات مختلفة باختلاف قبائلها وأماكنها سميت فيما بعد بلغات كما هو الحال اليوم في اللغة العربية الدارجة ، وقد هذبت فيما بعد بفضل الأسواق العامة التي كانت تقام في بلاد العرب ، وبالاختلاط بين اليمانيين أي القحطانيين والعدنانيين ، وبفضل الإسلام و القرآن الكريم فيما بعد .

واستمر ملك القحطانيين في حضرموت قرونا عديدة تبدي قبل ميلاد عيسى بأكثر من ألف سنة . وبعضهم يذكر أن دولتهم قبل الميلاد بثمانية عشر قرنا ، كما أن دولة عاد قبل الميلاد بأكثر من اثنين وعشرين قرنا [١] . وأغلبهم يتفقون على أن دولة القحطانيين وترتيبهم أسرهم ومدة بقاء كل منهم على العرش .

وسجل المستشرقين قائمة بأسمائهم ، وعد ما يقرب من عشرين ملكا منهم المستقل بتاج حضرموت وحدها أو مع غيرها من جاراتها ، ومنهم منه تحت التاج المعيني أو السبأي ، لأن هذه الدول الثلاث تبادلت ملك حضرموت حتى انقرضت . آخرها الدولة السبأية وتلتها الدولة الحميرية ثم الدولة الكندية التي ظلت إلى ما بعد ظهور الإسلام . وسجل المؤرخون العرب أيضا عددا من ملوكهم [٢] وبيت التسجيلين اختلاف ظاهر كما أن كلا من

---

[٥] . أنظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي .

[١] . يمكن الجمع بينهم بأن البعض يقصد الظهور وبعضهم يقصد النشوء في دولة دون أخرى فأن تعارضتا فالأماكن مختلفة أو مع ضعف واحد وقوة أخرى وهكذا يقال في مثل هذا .

[٢] . انظر كلام البستاني في دائرة المعارف .

الفريقين مختلف أيضا فيما بينه ، ومن حكام حضرموت القدماء ـ كحكام اليمن ـ نوع يقال لهم المكربون أي المقربون إلى الأصنام .

ولعل من مبالغة بعض المؤرخون العرب ما ذكره عنهم من الفتوحات العظيمة التي دوخت بعض الأمم الشرقية والغربية كما سيأتي .

حضرموت في عهود الأقيال والمعينيين والسبأيين

كانت حضرموت كبقية مخا ليف اليمن حين نزلتها القبائل العربية القحطانية مقسمة بينهم واصبح كل فريق منهم يقيم في منطقة تحت سلطنته تسمى إذ ذاك مخلافا وبلغت عدة المخاليف في اليمن وحضرموت أكثر من ثمانين مخلافا ويسمى رئيس المخالف قيلا ويسمى أحيانا أميرا أو عبهلا بالباء الموحدة [٣] .

قال نشوان الحميري [٤] في حاشيته :

وعبا هل من حضرموت من بني أجماد والاسباء وأل صباح المحا فد

ويقسم المخلاف الواحد إلى عدة مقاطعات تسمى الواحدة محفدا كما يقسم اللواء اليوم مثلا إلى عدة مناطق آو مديريات ، ويشمل هذا المحفد على قصور أبنية ومزارع وغيرها من الأراضي التابعة له ، وعلى المحفد شيخ يقال له ذو بمعنى صاحب ويجمع على إذواء ، كما يقال ذو ريدان وذو رعين .

وكثيرا ما نسمع هذا اللقب في ملوك اليمن وحضرموت كما نسمع اليوم بدلا من ذو بكلمة مولى مضافة إلى الأرض أو البلاد التي تضاف إلى صاحبها كما يقال مولى مطر ومولى عيديد .

---

[٣]. سيأتي تفسيره أيضا في ترجمه وائل بن حجر .
[٤] . ستأتي تعليقة عنه في موضوع العهد الراشدي .

وأستمر نظام الأذواء عبر التاريخ حتى بدأ يتلاشى أيام الدولـة الأمويـة إلى أن أضـمحل . وممن أشتهر من ملوك اليمن أو أذوائه الملوك الثامنة وقد نظمهم نشوان في حائيته بقولـه :

أين الثامنة الملوك بملكهم
ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو
شجر وذو جدن وذو صرواح
آو ذو مغار بعد آو ذو جرفز
ولقد محا ذا عثكلان صاحـي

قال شارحها [٥] لا يصح الملك لملك من ملوك حمير حتى يقيموا هـؤلاء فـأن اجتمعـوا علـى عزلة عزلوه . ومعنى هذا أن اليمن قد عرفت نظام الأباطرة [٦] في ذلك العهـد وفـيهم أنـشد علقمة ذو جدن : كانت لحمـير أمـلاك ثمانيـة كـانوا ملوكـا وكانوا خير أقوال [٧] أما نشوء هـذه التجزئـة فهـو بـدافع العـصبية القبليـة في الـسكان ، وللوعورة . وكثرة الجبال الشاهقة و الشعاب الواسعة في البلاد ولكنهم رغم ذلك تكـاثروا وتحضروا وانتشروا . وكل من هذه الدول والإمارات قد تتـسع وقـد تـنكمش وقـد تنـدمج الاماره في غيرها وقد تتعاصر عدة دول كل في ناحية فتتغلب القوية على الضعيفة .

[٥]. هو عبيد بن شرنبة .
[٦] . جمع إمبراطور .
[٧] . كذا في أصل شرح حائية نشوان ولعلها أقيال لأنها المستعملة أكثر ومفردها قيل .

ولهذا نرى في سلسلة ملوك حضرموت من هو نفسه ملك معين . وفي دور الدولة السبأية نرى أيضا من ملوك سبأ من هم ملوك حضرموت أحيانا من القحطانيين الذين أشرنا إليهم ، وكذلك بالنسبة لملوك حمير كما سيأتي ، ومعنا هذا أن حضرموت في تلك العهود قد تستقل بنفسها وقد تندمج أحيانا وفي أقوى هذه الدول كما أشرنا إلى ذلك . ومرجع جميع هذه الأسر المالكة على قحطان الأول كما هو معلوم .

الدولة المعينية من سنة ١٥٠٠ إلى سنة ٨٥٠ ق.م تقريبا

بهذه الصورة في بادئ الأمر كانت اليمن بما فيها حضرموت مجزاة بين أقيالها وأذوائها وكل منهم مستقل بملكه الى أن ظهر بينهم قيل قوي تغلب على زملاءه وجيرانه ، ألف من مخاليفهم الكثيرة أول دولة يمنية كبرى هي الدولة المعينية [١] نسبة إلى عاصمتها معين بالجوف [٢] . وكان تأسيسها في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد [٣] ، وأكثر ما إشتهرت به التجارة وقد إمتدت سلطتها إلى خارج اليمن في الحجاز وما حواليه .

---

[١]. أنظر تاريخ الأمة العربية .

[٢]. منطقة بين نجران وحضرموت .

[٣]. ينسبهم بعض المؤرخين إلى عمالقة العراق ويجعلهم بهذا أقدم عهدا مما ذكرنا ، أنظر كتاب العرب قبل الإسلام لزيدان .

الدولة السبأية من سنة ٨٥٠إلى سنة ١١٥ ق.م تقريبا

ظهرت هذه الدولة في سبا وعاصمتها مأرب ، وذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ، وتغلبت على الدولة المعينية . وهي دولة شهيرة في التاريخ ذات مدنية وحضارة ،و اشتهرت ببناء السدود وإنعاش التجارة داخل البلاد وخارجها .

وهي التي بنت سد مأرب الشهير ، ولما ضعفت هذه الدولة أهملت السد فانهدام كعادة كل دولة تهمل واجباتها ، وتقصر في حقوق شعبها وبلادها .

ونتج عن ذلك خراب المزارع وزيادة هجرة السكان وتفرقهم أيدي سبأ كما ضرب بهم المثل العربي في التشتت والتفرقة ويقال :تفرقوا أيدي سبأ . وقد أشار القرآن الكريم إلى سبأ في سورة سبأ وما جرى لملكتها مع سليمان إلى ما هناك مما يخرج عن الموضوع وإنما ذكرنا هاتين الدولتين بمناسبة جلوس كثيرين من ملوكها على عرش حضرموت في أيام قوتها .

وقد عاشت الدولة السبأية إلى عام ١١٥ قبل الميلاد حين قامت مقامها الدولة الحميرية كما سيأتي بعد .

بعض المشهورين من ملوك القحطانيين وآثارهم

من أشهر ملوكهم صديق أيل (إيل) بمعنى الله ولعله مأخوذ من العبرية كجبرائيل ، وبعض ملوك حضرموت تختم أسماؤهم بهذه الكلمة كشراح ايل ، وحي ايل ، ويدع ايل الذي بنى مدينة شبوة وحصنها وجعلها من أزهر وأعمر المدن في ذلك العهد [٤] .

---

[٤]. وذكر مرة أخرى كملك لسبأ ولعله تولاها

وصديق ايل ذكره أكثر الكتاب العصريين عن حضرموت وقد حكم قبل الألف السابقة للميلاد وهو ملك معين أيضا ، وكذلك اليفع ديام تولاهما ولا يعرف هل هو معيني أم حضرمي .

ومهما يكن فهو عربي وهذا هو المهم .

ومنهم شهر علن بن صديق ايل وابن أخيه معدي كرب بن اليفع تبع وملك معين ابن صديق ايل .

بعد معدي كرب هذا اندمجت حضرموت اندماجا كليا في مملكة معين مدة من الزمن يقدرها بعضهم بثلاثة قرون تقريبا تنتهي بعام ٦٥٠ ق.م وهذه الأسرة صاحبة عرش البلدين في ذلك العهد ولها آثار كليهما .

وهناك ملك حضرمي سجله بعضهم أيضا وجعله الملك الأول بعد هذه الفترة واسمه السمع ذبيان بن ملك بن كرب وملك أخر اسمه يدع أل بين بن سمه يفع . وبعده اندمجت مملكة حضرموت في إحدى جاراتها وبالتالي أصبحت جزءا من مملكة سبا بما يزيد على قرن من السنين ثم استقلت بها أسرة حضرمية مالكة [٥] . وهناك من يقول غير ذلك ويهمنا من هذا أن نعرف أن بعض ملوك حضرموت هم ملوك معين ومرة أخرى هم ملوك سبأ . ولها ملوك آخرون مختصون بها . إلى الآن لم يتم البحث العلمي على تاريخ جاهز منظم لحضرموت ففي تلك العهود الغابرة رغم محاولة بعض المستشرقين شيئا من ذلك .

وممن أشار إليه التاريخ من ملوك حضرموت يدع اب غيلان حليف ملك همدان والعزيلط الأول ابن عم ذخر ، والعزيلط الثاني بن الهان بن العزيلط الأول فهو حفيد الأول وبين علهان نهفان ملك الهمدانيين [١] حرب عظيمة حشد فيها الملك الحضرمي جيشا مؤلفا من الجند المرتزقة والقبائل ضد خصومه ، والتقوا بذات غراب [٢] ولكن النصر كان حليف الهمدانيين . وفد كان هذا الملك الهمداني نفسه عقد حلفا مع ملك حضرموت السابق يدع

---

[٥]. انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد العلي .

[١] . سمي مرة أخرى كملك السبأ أيضا ولعله تولاها .

[٢] . موضع معروف إلى جانب ساحلي قريب من عدن وقد صوره في كتاب العرب قبل الإسلام .

اب غيلان سلف العذليط ضد جيرانه من الحميريـن فأنتـصر علـيهم بفـضل هـذا الحلـف ولكنه بعد ذلك حارب الحضرميين كما ذكرنا فما عدا مما بدا .

حالة الجنوب السياسية في ذلك العهد

وكثيرا ماكانت الحالة في ذلك العهد الغابر إلى أن جاء الإسلام بين ملوك وقبائل الجنـوب العربي من الحضرميين وقتبانيين وحميريين وريدانيين وسـبائيين أنهـم لا ينفكـون عـن الحروب والمناوشات والغارات والاحلاف فيمـا بينبعـضهم ضـد الـبعض الأخـر ولا تكـاد تستقر الأحوال في مابين حدودهم إستقرار كامل . وقد تندمج أحدى هذه الممالك الأخـرى إلى حين ثم تنهض مرة أخرى ـوتستعيد إستقلالها كما هـو الـشأن في أكثـر أطـوار تـاريخ الجنوب العربي حيث لم تزل تلعب به عوامل التحزبة والتفرقة والنعرات الـتي ليـست في صالحه والتي أوقفت من تقدمه وقوته فالاتحاد قوة والتفرقة ضعف ، وبالتالي وفي هذا العصر أصبحت في صالح الأجنبي الذي يغذيها طبقا لهذا المثل : فـرق تـسد ، ولا يرضـى باتحاد ليست له فيه ناقة ولا جمل .

الحالة الاجتماعية أيام قحطان

بلغت حضرموت مبلغ كبيرا ـ أيام القحطانيين الذين أشرنا إليهم ـ في التقدم العمراني والعسكري و الاقتصادي ، وكانت وكانت تصدر العطور والبخور ولهذا يسميها بعض المؤرخين أرض اللبان [٣] . وكانت قوافلها تحمل اللبان وغيره من أنواع الطيب والبهارات على بلاد الشمال حيث لها سوق رابحة هناك وتعود محملة بالذهب والفضة والأطعمة الفاخرة .

وترد إليها أصناف الضائع من الهند والصين في طريقها إلى البلاد العربية الأخرى واليونان وبعض شواطئ البحر الأبيض المتوسط فهي عامرة بالتجارة القوية وسوقها مزدهر يصل المناطق الشرقية بالغربية المجاورة لها.

كيف تسير قوافلها برا وبحرا

كان في البلاد العربية طريقان للتجارة بين الشام والمحيط الندي وكلاهما يبداء من حضرموت : إحدهما يتجه شمال إلى البحرين على الخليج الفارسي ثم إلى صور ، والثاني يتجه إلى الجنوب العربي محاذيا البحر الأحمر متجنبا صحراء نجد وهجيرها وهضاب الشاطئ ووعورتها وعلى هذا الطريق مكة [٤] .

ومن أشهر صناعتهم تركيب العطورات وصياغة الحلي وصنا عة الأدوات المنزلية كما أنهم قد برزوا في النسيج وحياكة الأقمشة والملابس والفرش . وإلى جانب ذلك فهم مهتمون بالزراعة وبناء السدود وغراسة الأشجار المثمرة ومنها أشجار اللبان حيث ينبت في الجنوب العربي بكثرة فيربحون منه .

[٣] . انظر خريطة الطرق الأتية فيما بعد واللبان يحرق في معابد الأصنام بها وبغيرها حيث يشترى بكثرة .
[٤]. انظر كتاب العرب ج ١ لعمر أبي النصر .

ويستعملون الكتابة بالحرف المسند الشهير الذي يقال انه يتألف من ٢٩ حرفا تكتب غالبا من اليمين إلى الشمال ، ولهم نقود خاصة يستعملونها مكتوب على بعضها أسماء ملوكهم .

أما ديانتهم فهي عبادة الأصنام ، ومما اشتهر منها أو لعله أشهرها الصنم (سين) معبودهم إذ ذاك . وقد وضعوه يقال معبد (سين ذو مذاب) تمييزا له من غيره من الأصنام والتماثيل الأخرى [٥] . ومذاب أسم مدينة عظيمة خربت وعلى أنقاضها أو قريب منها حريضة المعروفة اليوم ومعا ذلك ففيهم ومن ملوكهم وحكامهم من يؤمن بخالق السماوات والأرض [٦] .

ومن أهم مدنهم العاصمة الأولى ميفعه ولعل في موضعها أو قريبا ، منه ميفعة عاصمة السلطنة الواحديه اليوم . وكانت إذذاك وكما تدل الأثار ذات أسوار عاليه وقصور ومعابد وهياكل ولا تزال أطلال نقب الهجر ما بثين ميفعة وعزان بكتاباتها المسندية تنطق بذلك .

وهناك العاصمة الإخيرة شبوه وتدل الآثار على أنها أعظم من العاصمة السابقه والعمران فيها أوسع ولها أسوار عالية وقصور شامخة . ومقاطعتها تشتمل على سدود ومزارع وفيها الحصن الذي يدعى حصن أنود وله شأن في تاريخهم حيث تقام في مجتمعاتهم وحفلاتهم ، وحيث الحياة في تلك الناحية تدب إذذاك أكثر من النواحي الأخرى . الحضرميين في ذلك العهد أسر معروفة بينهم بالوجاهة والنبل ومن أشهرها رشم ومن عشائرهم عشيرة شكيم ولكن لاندري كيف تستعمل تلك الأسر والعشائر وجاهتها ونفوذها كما ل اندري لبعد العهد ، إلى أي حد يبلغ عدل وديمقراطية ملوكها وأمرائها ومكربيها .

---

٥ . مما يلاحظ أن بعض الصحف الحلية نشرت عن قول العامة (ياسين عليك) وقولها (ياحول ياحول) إن القصد بهما صنمان والواقع أنها تقصد سورة ياسين وتقصد الحول عند المطر بأن يمطر ويخصب الزرع فيه .

٦ . تاريخ العرب قبل الإسلام .

وفي الناحيه العسكرية تدل الاثار على أن لهم خبرة عظيمة بالقيادة الفروسية وبناؤء الحصون والاستحكامات ، وصنع الأسلحة من سيوف ودروع وغيرها .

ومن المعلوم أن مدينتهم هذه تستدعي وجود لوازمها من تشريعات ومواقيت إحتفالات وغيرها ، وإذا نظرنا إلى جيرانهم القتبانيين [1] ـ والسبأيين وما ذكر عنهم من المدنية والنظم فالأقرب أن الحضرميين لايقلون عنهم في هذه الناحية . ومن المحتمل أن يتوسع علم الحفريات ويعثر على كتابات وأثار تدل على تفصيلات أكثر مما عرف حتى الأن عن مدنية القحطانيين وجيرانهم من ممالك الجنوب العربي في تلك العهود وما ذلك ببعيد .

ويحدثنا بعض المؤرخين أن اليمن كلها بما فيها حضرموت كانت قبل خراب سد مأرب ممتلئة بالسكان متصلة العمران ومواصلاتهم سريعة الانتظام قراهم وتعاونهم على الأصلاح المدني ، وقد ولد لبعض ملوك سبأولد فوصلت التهاني به إلى حضرموت من سبأ في ليلة واحدة بواسطة النيران التي تشتعل في القرى فترى من واحدة لأخرى ونستفيد منها مثل هذا الخبر والمسافة إذذاك مابين سبأ وحضرموت ثمانية أيام [2] .

---

[1] . القتابانيون منسوبون إلى قتبان هي دولة معروفة في الجنوب العربي .
[2] . انظر النور المسافر .

حضرموت في عهد الحمير ين

نشأت دولتهم باليمن من سنة ١٦٥ ق.م إلى سنة ٥٢٥ م تقريبا .

والحميروين بطن من سبأ ويسحب بعض المؤرخين اسم سبأ عليهم أيضا . ولعل ذلك لأنهم من سلالتهم وخلفائهم ويلقب ملكهم بتبع [٣] كما يلقب ملك الفرس بكسرى وملك الروم بقيصر . وقد قامت الدولة الحميرية باليمن على أنقاض الدولة السبأية في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد حوالي سنة ١٦٥ ق.م . وعاصمتها ظفار اليمن الشهيرة لا ظفار مهرة . وبعض الكتب تسمي وتضع كلا من الدولتين بأسم و موضع الأخرى حيث تخلط بين أسماء ملوكها .وعاشت الدولة الحميرية ما بين مد وجزر باليمن إلى أواخر القرن الرابع إذ أخضعها الأحباش و استعمروها ثم خرجت من سلطتهم فترة عادوا بعدها فاستولوا سنة ٥٢٥ م عليها أيام الملك الحميري يوسف ذو نواس الذي ذكرته كتب السيرة النبوية وانه أعتنق الديانة اليهودية وأجبر الناس عليها وأضطهد النصارى ومنهم نصارى نجران وحرقهم في الأخاديد [٤] مما أثار البيزنطيين والأحباش الذين أشار عليهم الأولون بالاستيلاء على اليمن ومحاربة الملك ذي نواس ورموا بذلك عصفورين بحجر وهما : الاستيلاء على اليمن لتأمين حركتهم التجارية ، ولصد هجوم الفرس عليها والانتقام للديانة المسيحية ونشرها ، ولما تغلبوا على جيشه ركب جواده وألقى بنفسه في البحر قائلا :

(الموت في البحر أحسن من الأسر) . ثم طرد الأحباش من اليمن البطل العربي الشهير سيف بن ذي يزن الحميري بمساعدة الدولة الفارسية التي أستمر نفوذها في اليمن

---

[٣]. هكذا يطلقه أرباب التواريخ العامة أما بعض التواريخ المختصة بالجنوب فتقول لايلقب ملك حمير بتبع إلا إذا إتسعت رقعة مملكته فشملت حضرموت .

[٤] . أنظر ما أشار إليه القرآن في سورة البروج وما قاله المفسرون حول ذلك .

وحضرموت والعراق والبحرين إلى ظهور الإسلام [5] فهل استولى كل من هذه الدول الثلاثة على حضرموت هذا ما سنتكلم عنه فيما يلي :-

حضرموت في هذه العهود الثلاثة

أما الأحباش فقد حصل منهم هجوم على الشواطئ الجنوبية الشرقية لحضرموت (مهره) بعد سقوطا لدولة السبأية ووجود الدولة الحميرية في القرن الأول قبل الميلاد وهدد الداخل الذي لم تصلنا معلومات عن امتداده اليه ولم يدم طويلا . ومرة أخرى مل تخل حضرموت من نفوذهم لهجومهم العام على اليمن كلها واستيلائهم عليها فبي القرن الرابع الميلادي ولا يبعد أن يكونوا دق سيطروا عليها فعلا بدليل وجودهم في سبا ونجران وأبين [1] وذكر بعض مؤرخي العرب السابقين أن الحبش تغلبوا على اليمن في عهد الملك الحضرمي ساجن بن نمر بن يشرح بن جذيمة بن منعم بن ذي الملك ولم يحدد بالضبط [2] .
وأما الدولة الحميرية فاستيلاؤها عليها لم يكن إلا في أواخر القرن الثالث الميلادي ، وفيما قبل ذلك يظهر أنه كان استقلالها الكامل أو نوع منه بملك أو حاكم آو مكرب كما يستقل غيرها من المقاطعات اليمنية أحيانا اذ ذاك ويبقى بينهما ما تمليه المصالح من تعاون وحسن جوار في وقت السلم . وقد تشتبك فيما بينهما . وتتصادم بحسب الظروف ، وهكذا كان الحال فيما بين الحميريين والحضرميين قبل أن تنضم حضرموت إلى حكم الحميريين نهائيا كما قدمنا . وقال بعض المستشرقين أن الوضع بحضرموت فيما بين سنة ١٢٥ م وسنة ٢٩٠ م غامض .

---

[5] . انظر تاريخ الأمة العربية للمقدادي .
[1] . أنظر سيرة إبن هشام وتاريخ العرب قبل الإسلام .
[2] . انظر دائرة معارف البستاني .

بعض الذين اشتهروا من ملوك حمير

نظرا لأنه لا يمكن إيجاد قائمة مرتبة ومضبوطة يطمأن إليها لملوك واسر الحمير ين فقد اكتفينا بذر بغض الشهيرين منهم و بوصفهم ملوك حضرموت أيضا .

فأشهر ملك حميري استولى على حضرموت فيما استولى عليه هو شمر يـرعش حتـى أنـه لقب فيما بعد بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت [٣] ومن أشهرهم شـرحبيل يغفـر بـن أبـي كرب اسعد ملك سبأ وذي ريـدان وحـضرموت ويمنـات أي الـيمن واعرابهـا في الجبـال و السواحل ، وهو باني السد في منتصف القرن الخامس الميلادي .

هل امتد ملك الحميريين إلى أجزاء من الصين شرقا وإلى القسطنطينية غربا ؟

هكذا يسجل بعض من كتب في هذا العصر عن التاريخ الحضرمي السياسي نقلا عن بعـض الأقاصيص القديمة التي تقول أن أسعد أبي كرب قد استولى على هذه الرقعة الممتدة أثنـاء الصين إلى القسطنطينية بما فيها فارس أذربيجان وغيرها من بـلاد الـترك والـروم ، وإن هناك جالية حميرية بقيت بالصين اندمجت في أهله ، كما أن ملكا أخر اسمه – شمر أبو كرب – قد استولى على شمال الجزيرة العربية والعراق وفارس واحتل مدينة السغد وراء نهر جيحون وهناك بنى مدينة سمرقنـد [٤]، ونحـن إن كنـا نعتـز بأمجـاد آبائنـا العـرب وفتوحاتهم إلا أن التحقيق

العلمي يوجب علينا أن لا نجزم إلا بكل ما نطمئن إلى صحته وبعض المؤرخين نفـى هـذه الفتوحات [٥] بدليل علمي .

---

[٣]. العرب قبل الإسلام .
[٤] . ممن قلدهم البكري في تاريخ حضرموت السياسي .
[٥] . انظر تاريخ الأمة العربية للمقدادي .

الفرس

وأما الفرس فقد وقعت حضرموت تحت نفوذهم وسيطرتهم بعد أن طرد الأحباش عن اليمن سيف ذو يزن سنة ٥٧٣ ميلادية تقريبا .

وكان نزولهم بساحل حضرموت [٦] ولعل راس المرزبان قرب المكلا سمي باسم أحد قادتهم

.

وبلغ جباة فارسفي الجنوب العربي أو شبه الجزيرة العربية بضعة عشر جابيا ، وكانوا يظهرون في الأسواق الحولية [٧] .

صورة عامة عن حالة حضرموت الاجتماعية في عهد الحميريين

ألتف جميع اليمنيين ومنهم الحضارمة حول الدولة الحميرية في شبابها فازدهرت البلاد بالصناعة والعمارة والتجارة والزراعة ، وتدل على ذلك الآثار التي لا تزال موجودة إلى اليوم ، وكان النسيج الحضرمي مشهورا ويضرب به المثل في الجودة . قال جرير :-

وطوى الطرد بطونها بظهورها

طي التجار بحضرموت برودا

والبرد اليماني والسيف اليماني هما أجود ما عرفه العرب في ذلك الوقت في نوعه .

---

[٦] . تاريخ العرب قبل الإسلام .
[٧] . الشامل وتاريخ العرب قبل الإسلام .

وكانو يقومون بأعمال التجارة في البلاد المجاورة واحتكوا بشعوبها من فرس و رومان وغيرهم وتأثر كلل منهم بالآخر ، بل ذهب بعض المؤرخين إلى أبعد من هذا فقال إنهم قاموا بفتوحات واسعة حتى استولوا على بلاد العجم ووصلوا حدود الصين كما مر . وللحميريين لغتهم الخاصة المنتشرة في اليمن وحضرموت [١] ومهرة فخلفتها اللغة المضرية بفضل اختلاط القبائل العربية مع بعضها خصوصا كندة .

تقدم الخط المسند في عهدهم

ولهم كتابتهم بالخط المسند الذي انتشر في عهدهم انتشارا أكثر وأدخلوا عليه تحسينات تنتسب إليهم رغما عن أنه قديم حتى قيل أنه من عهد عاد [٢] . وعلل مؤرخو العرب والإسلام تسميته بالمسند لأن حروفه ترسم بشكل خطوط تستند إلى أعمدة ، وقد كان فيهم من يحسنها ويستخرج منها الحوادث ، كالهمداني صاحب الإكليل ولكن مع الأسف ضاع عليهم هذا الفن وأصبح المستشرقون مهتمون به ، وفيهم من نبغ فيه . والمسند يعني العربية الجنوبية القديمة الكتابة أو الخط [٣] .

وقد فاقوا أسلافهم السبأيين في صنع الحلي والأثاث وضرب النقود الرسمية ، ومواقيتهم بالأهلة و النجوم يرصدون طلوعها وغروبها وسيرها ولهم تقويم حكومي للضرائب وتقويم آخر شمسي مضبوط يبنون عليه مواسمهم الزراعية ومواعيد الغرس والزرع والحصاد والجني وغير ذلك من متطلبات الزراعة وضبط الحوادث . وللعرب قبل الإسلام أسماء أخر للأيام وللشهور ، وقد سميت بها لمناسبات كما سميت فيما بعد بهذه الأسماء المستعملة اليوم لمناسبات أخر [٤] .

---

[١] . قد مر عند ذكر جغرافية حضرموت الكلام عن ألفاظ لا تزال تستعمل وتنسب إلى تلك اللغة .
[٢] . دائرة معارف البستاني .
[٣] . انظر تاريخ العرب قبل الإسلام .
[٤] . تاريخ العرب قبل الإسلام وصبح الأعشى وغيره من كتب المحاضرات ومروج الذهب للمسعودي وبلوغ الأرب .

آثارهم القديمة

ولهم بنايات موجودة في اليمن وحضرموت على بعضها كتابات حميرية بالخط المسند ومن تلك قصر غمدان الشهير بصنعاء .

ومن أطلال بنايتهم الأطلال الموجودة اليوم بقرية أم عادية [5] ببلاد العوازل في الظاهر قرب مكي راس .

ومنها حصن الغراب ، بعين وراء مهملتين ، في شرق حضرموت قرب قرية السوم التي تبتعد عن شعب هود بنحو مرحلة .

ومنها حصن [6] الرناد بتريم الذي بني على أنقاضه قصر سلطاني وفيه اليوم إدارة نائب لواء تر يم للحكومة الحالية . وفي بعض سفوح دوعن أيضا توجد بنايات عليها كتابات بالمسند .

ومنذ خمس وثلاثين سنة عثر على مقبرة في شعاب الهادي في الجانب الشمالي من تر يم ، وآثار حميرية قديمة منها مباخر رخامية قديمة . كما عثر في قرية السويري على آثار مباني ولبن منوع الأشكال من الرخام ، وفي قرية الريضه اكتشفت مقبرة نبشها السيل وبها بعض الأموات ومنهم من وجد كاملا بوفرته وجسده وأثوابه كالهيكل الصلب .

وهذا نورده كنموذج للآثار التي لا تزال ماثلة ببلادنا وفيها ما هو أقدم وأدق فهناك ديار عاد قرب قرية العرسمة بوادي ليسر التي يقال أنها أطلال عاد وحفائر ريبون أمام قرية المشهد بالجبل الغربي . وأحجارها مليئة بخط المسند ووادي فرعون قرب وادي عقرون بسيبان وغير ذلك مما هو كثير . واكثر مظانها تريم و الردود و دوعن و شبوة وثمود .

---

[5] . أم عادية بمعنى العادية بإبدال اللام ميما بلغة حمير ومعناها القديمة نسبة إلى عاد والعرب تسمى ماهو قديم عاديا وليست من آثار عاد كما شاهدتها بنفسي .

[6] . ويقال أنهم عثروا فيه على رأس حيوان من الرخام الأبيض الجميل ويجد عليه بعض الكتابات المسندية .

فبلادنا غنية بمآثرها العظيمة لآثارها القديمة ولكن مع الأسف لم نجد من الأهالي حكومة وشعبا من يقوم بإحصائها ويعتني بحفظها والبحث عنها و الاستفادة منها ، وبذلك سيسهل على المؤرخ بواسطتها أداء مهمته على أحسن وجه ممكن بينما نرى الغزو الأجنبي ابتداء يتجه نحوها ويريد أن يستفيد منها قبل من هم أحق [٧] بها وأهلها ، وقد بلغ التقصي بالأوربيين إلى أن بعض منهم تخصصوا في لغة حمير وألفوا فيها قواميس ، ولمعرفتهم بها وبالخط المسند استطاعوا أن يفسروا الكتابات على الآثار العربية القديمة التي تعد بالآلاف وواجبنا أن نعتمد على أنفسنا ونقوم بذلك فنحن أحق بها وأهلها ، حتى لقد جاء إلى جامعة القاهرة مستشرق إيطالي للمحاضرة عنها [١] قبل نصف قرن .

وتطورت الحضارة في عهد الحميريين عن الحضارات الموروثة عن العاديين السبأيين إلى درجة أعلى إلى أن انمحت هذه الدولة ، ولم يبق إلا آثارها ومآثرها .

تلك آثارهم تدل عليهم

فانظروا بعدهم إلى الآثار

وسيأتي اليوم الذي تستخرج فيه تلك الآثار فتفصح عما كان لأهلها من مدينة غابرة ومجد تليد .

والحاصل أن العرب بحضرموت واليمن كانوا أصحاب دولة قوية ومنظمة ولها ملوكها وقواد وحكام يتمتعون بالسلطة ويجمعون الرجال لتشييد المدن والقصور وإنشاء السدود ، ولهم أيضا نقودهم الرسمية المزينة بالكتابة والصور وحكوماتهم في يد ملوكهم ، وهم مطلقوا السلطة وملكهم وراثي والشعب في تلك العهود طبقات منهم الجنود والصناع والزراع والتجار والكهنة . ومع ذلك ففيهم ومن ملوكهم و زعمائهم موحدون يؤمنون

---

[٧]. انظر رحلة إدوارد جلا ذر ، ورحلة فلبي إلى حضرموت سنة ١٩٣٥م وسنة ١٩٣٦ ، ولبعثة الجامعة المصرية العلمية إلى حضرموت سنة ١٩٣٦م فوائد جمة لنا وللعالم العربي من آثار حضرموت .

[١]. لغة حمير .

بوجود خالق السموات والأرضين [2] ، وقد أفسحت لهم المجال إمكانيات البلاد فقام كل من هذه الطبقات بعمله وأجاد وعاش الشعب في مدنية ورخاء . ولا تزال ثرواتها المعدنية مدفونة فيها تنتظر اليوم السعيد الذي يقوم الأهالي باكتشافها والاستفادة منها فيه .

وما كتبه بعض المعاصرين نقلا عن بعض القصاص الأجانب عن دول وشعوب الجنوب التي رم ذكرها بما يشبه الأساطير ، عن ثرواتهم الذهبية الكثيرة وأحجارها الكريمة إلى درجة صنع اسطواناتهم وأبوابهم وبيوتهم بالذهب ، وعن وجود أنهار كثيرة بها ، وعن الخصب الهائل والمياه الكثيرة التي لا تتفق وطبيعة حضرموت [3] ـ كل هذا لا يستطيع المؤرخ المحقق إلا أن يضعه موضع الشك لا اقل ولا أكثر .

---

[2]. تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ومن الغريب أن يقول البكري في تاريخ حضرموت السياسي : لم يثبت لنا التاريخ أن الحضارم عبدوا الأصنام قبل الإسلام الخ مع أن من البديهيات عند من له إلمام بتاريخ حضرموت أنهم عبدوها كما جاء هنا وكما سيأتي .

[3] . لعل منهم الأستاذ صلاح البكري في كتابه تاريخ حضرموت السياسي جزء واحد حين أثبت ما لاحظناه .

اتصال الحضرميين بالأمم الأخرى

لقد كان للحضريين كغيرهم من أبناء الجنوب العربي وبقية العرب اتصالات وعلاقات تجارية وغيرها بالأمم الأخرى من يونان ورومان وفرس وصين وهنود وكانت بحضرموت مدن بمنزلة محطات للقوافل ومراكز للتجار ولها موانئ للمراكب القادمة من الهند والصين وقد شحنت بأصناف البضائع المثمنة التي تصدرها تلك البلاد فتفرغ شحنها بحضرموت حيث تحملها القوافل إلى سبأ والشام والعراق ـ كما تحمل أيضا البخور الذي هو أعظم مصدر لثروة حضرموت . ولعل الشحر (الأسعاء) [٤] هي اشهر مدينة لهذين الغرضين فتستلم وتسلم وهناك مدن أخرى كمحطات للقوافل مثل شبام وشبوة [٥] .

فالشحر و شبام كان لهما الحظ يف عالم التجارة العربية أكبر مما هو الآن بكثير ، بل لا مناسبة بين حالهما اليوم و حالهما إذذاك ولكن من يدري فقد يعيد التاريخ نفسه [٦] وبعض المؤرخين ينفي اتصال عرب الجنوب بالأمم الغربية في ذلك العهد اتصالا مباشرا .

---

[٤]. كان الشحر يطلق على الساحل الممتد من موقع الشحر الآن إلى مهرة أما مدينة الشحر الآن فكانت تسمى بالأسعاء .

[٥]. انظر الشامل .

[٦] . تجد عن يسارك فيما يلي خريطة مترجمة ومكبرة عن كتاب فريا ستارك باللغة الإنكليزية المسمى ـ الأبواب الجنوبية لباد العرب ـ أثبتناها للتعرف على طرق القوافل التي سلكت قديما في حضرموت وجاراتها ويلاحظ أن بعضها لم يعد مسلوكا فيما بعد .

الدور الجاهلي [7]

مشيخات ود ويلات حضرموت

وكندة [8] بحضرموت

من سنة ٥٢٥ م إلى سنة ٦٣٠ م تقريبا

تنتهي سنة ١٠ هجرية

أو إمارات القبيلتين : حضرموت وكندة .

بعد ضعف الدولة الحميرية واستيلاء الأحباش على اليمن وفي الفترة التي تسبق الإسلام مباشرة كان حكم إقليم حضرموت الذاتي في يد قبيلتي حضرموت و كندة ، وإن كان للفرس نفوذهم في اليمن وحضرموت حتى أن فارس كانت تجبي من حضرموت بعض الضرائب . ولكل من القبيلتين ملوك وأمراء ، والواقع أن تسميتهم بملوك وكثيرا ما سمت العرب مشايخها الأقوياء بالملوك ويقال لمالك القرية مثلا ملكها ، وقبيلة كندة يقال لها كندة الملوك ، لولعها بالملك وقد جاء الإسلام وبحضرموت ملوك عديدون من كندة وحضرموت ومنهم الملوك الأربعة ، جمدا , ومشرحا ، ومخوصا وأبضعة وأختهم الملكة العمردة . وإنما سموا ملوكا لأن كل واحد منهم يملك واديا بأكمله وهؤلاء ملوك بني عمر بن معاوية بن كندة والأشعث بن قيس أمير بني الحارث بن معاوية من كندة بعد أبيه الملك قيس بن معد يكرب ، ووائل بن حجر الحضرمي من قبيلة حضرموت الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وفد عليه بقية أبناء الملوك سيد الأقيال (جمع قيل) أي الملوك وقالوا : انه اجتمع بهينن سبعة عشر متوجا من كندة أي أميرا من هذا النوع والتتويج إما بعمامة ممتازة أو بما يشبه العقال كما تصنع بعض العشائر اليوم

---

[7]. سميته الدور الجاهلي على الاصطلاح الذي يسمى فترة ما قبل الإسلام مباشرة جاهلية .
[8] . انظر تاريخ الأمة العربية للمقدادي .

ومنها الحموم فأنه إذا مات مقدمهم أي رئيسهم ألبسوا من يخلفه عمامة التتويج بدلا عنه .

منازلهم أو محافدهم

وتنتمي كندة إلى قحطان ، وقد جاءت في الأصل من عمان [١] على حضرموت استوطنتها ، ووجدت فيه قبيلة حضرموت القحطانية التي لها ذووها وأمراؤها إذ ذاك كشرا حيل بن مرة وسلامة بن حجر وغيرهما ممن كانوا قد تملكوا بعض المدن الحضرمية كتريم فاشتبكت معها بحرب سجال وكانت الغلبة في الأكثر لكندة وقد تتحدان ضد الغزو الخارجي .

وقسمت أكثر حضرموت إلى قطاعات أو مناطق تسمى إذ ذاك محافدا يختص بالمنطقة بطن أو بطون منها كشبام و جردان و دوعن وشبوة . ومن بطون كندة السكون وينزلون حضرموت الوسطى و السكاسك وينزلون غرب حضرموت ، وتجيب منازلهم في عندل وهدون وقشاقش ودمون (الهجرين) وريدة الديّن وغيرها [٢] . وأما قبيلة حضرموت [٣] فلها بعض القطاعات الساحلية وتشترك مع كندة في بعض القطاعات كقطاع الكسر [٤] وشبوة .

وأما الجعفيون [٥] فمنازلهم جردان. وتوجد قبائل أخرى ببلاد حضرموت غير هاتين القبيلتين من أشهرها قبيلة حمير [٦] ولكن قد مضى عهد ملكها أو نفوذها وكانت الدولة

---

[١]. انظر دائرة معارف البستاني أو من البحرين والمشقر انظر العرب قبل الإسلام .
[٢]. ومن بطون كندة الصدف بن سهل وينتسب إليهم الصعير .
[٣]. من قبيلة حضرموت الحموم المعروفون .
[٤]. الكسر يطلق على المحلات بين الهجرين والقطن تقريبا وتنزل الآن في أواسطه قبيلة النهر
[٥]. الجعفيون قبيلة شهيرة من مذحج .
[٦]. أما نهد فجاءت بعد وأما بنو هلال فالتحقيق أنهم ليسوا من قبائل حضرموت وأن روى بعضهم أنهم هاجروا منها إلى برقة وطرابلس يقدمهم الفارس الشهير أبو زيد الهلالي الذي تروي الروايات والحكايات عن بطولته ويقال أنه لما أعتزم على الهجرة من حضرموت لجدبها قال لقومه انتظروا حتى تخصب فعار علينا أن نغادرها وهي جدباء فلما أخصبت أرتحل هو وقومه ومر على مزرعة كبيرة له أي جرب كما يسميه أهل حضرموت وكان مخصبا بالزرع فأخترقه بحصانه فعلق برجل الحصان محجن من قصب الذرة

في هذا العهد للقبيلتين المشار إليهما . وهناك في الزاوية الجنوبية الشرقية قبيلة مهرة واسمها كاسم هذا المحل ولها لغة خاصة يظهر أنها فرع من فروع اللغة الحميرية القديمة ويكثر اللبان فيها والإبل المهرية الشهيرة.

كندة في شمال الجزيرة العربية

بين الحميريين في اليمن والكنديين روابط مصاهرة والجوار وكان الحميريون في أواخر عهدهم يستعينون بالكنديون في أعمالهم .

وبسبب هذه الروابط أنه لما أفقت بعض قبائل معد بن عدنان في نجد في نجد والحجاز ومنهم بكر بن وائل على أن يولوا عليهم ملكا من قبيلة أخرى . إذ بلغ التنافس والشحناء فيما بينهم حدا جعلهم لا يطيعون إلا رجلا من غير قبيلتهم ، وقصد عقلائهم بعض ملوك حمير لهذا الغرض لما اتفقوا ولي عليهم الملك الحميري حجر بن عمرو آكل المرار الكندي ، وإنما سمي آكل المرار تشبيها له بالجمل الهائج الثائر ، الذي يقود حملة لإنقاذها والأخذ بالثأر ممن أسرها . وقال بعض المؤرخين ان سبب نزوح كندة عن حضرموت وقوع حروب بينها وبين الحميريين [٧] ولعله أراد بعض قبائل كندة إذ لا يستقيم كلامه إلا بهذا لعدم خلو حضرموت من الكنديين منذ نزولهم بها . استطاع حجر الأول أن يؤلف بين القبائل المعدية التي ولي عليها وأن يجمع شتاتها ويسوسها وكان ذلك أثناء القرن الخامس الميلادي . وتوارث الملك بعده عقبه ، ومنهم الحارث بن عمرو جد الشاعر الشهير امرئ القيس ابن حجر بن الحارث ولم تنفصم العلائق بين هؤلاء وبين بني عمهم الكنديين بحضرموت و استمروا في التردد أليها والإقامة بها أحيانا .

فتوقف الحصان فساقه أبو زيد قائلا غر غيري ياقهول ثم أستمر في هجرته فضربها مثلا لمن أراد أن يغر غيره بالتظاهر بغير عادته وكان يسمي ذلك الجرب بذلك الاسم .

[٧]. دائرة معارف البستاني .

قسم الحارث ملكه بين بنيه الأربعة وأحدهم حجر الثاني والد امرئ القيس الذي ولاه على قبيلة بني أسد [1] بنجد كما ولى الآخرين على قبائل أخرى من العدنانيين بنجد والحجاز وأطراف العراق . ولم يدم ذلك الملك طويلا بسبب هذه التجزئة التي لا تؤدي إلا إلى ضعف الأمم والشعوب وبالتالي اضمحلالها .

وحجر لم يحسن السياسة في بني أسد وعاملهم بشدة ، وبالغ في أخذ الضرائب منهم فقتلوه ، وكثيرا ما تقتل العرب ملوكها المستبدين دفعا للضيم ، وإباء من الظلم ، قال عمروا بن كلثوم التغلبي الشهير في معلقته لما قتل الملك عمروا بن هند [2] :

إذا الملك رام الناس خسفا

أبينا أن نقر الظلم فينا

بلغ الخبر امرئ القيس وهو بدّمون قرية قرب الهجرين وليست دمون التي هي سابقا أحد ضواحي تر يم [3] ولما بلغه الخبر قرر الأخذ بثأر أبيه وجد في ذلك ، ولكن لم يساعده الحظ ، انقرضت الدولة الكندية هناك بموت امرئ القيس في حدود سنة ٥٦٠ ميلادي وسيأتي الكلام عنه بوصفه من أعظم الشخصيات الحضرمية البارزة في ذلك العهد .

أما إمارات ومشيخات كندة بحضرموت فقد أستمرت حتى جاء الإسلام .

الحياة الاجتماعية في عهد ملوك العشائر قبيل الإسلام

كان قوام معيشتهم بحضرموت في ذلك العهد الزراعة التي عمت الكثير من أراضي حضرموت ، ففيها النخل الكثير وأوديتها مليئة به وبالزروع والكروم والفقوس والبطيخ وأمثالها ، وبالأعشاب لهم ولبهائمهم الكثيرة التي هي مصدر ثرواتهم ومن أشهرها

---

[1]. وقيل ولي حنظلة علي بني أسد. انظر الأغاني ولعل الأصح أن حنظلة إنما ولاه أبوه على تغلب كما يفيده الأغاني نفسه .

[2]. هند هذه أخت جذيمة الأبرش أحد ملوك العرب بالعراق ونسب إليها عمرو لشهرتها وهو عمرو بن عدي اللخمي.

[3]. أخطاء بعض المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ حضرموت حيث ظنها الأخيرة ولم يذكر إلا دمون واحدة بحضرموت .

الإبل المهرية الجيدة . وكانو يعتمدون في زراعتهم على العيون ، وعلى الأبار بواسطة النواضح [٤] وغيرها وعلى السيول أيضا في المواسم التي تجود فيها بالأمطار وعند ئذ يكون الخصب ولانعمة شان غيرها غيرها من البلاد العربية والمشابهة لها وقد تبخل السماء ويحصل الجفاف فيضيق بهم العيش .

أنهم يعتمدون على ما ذكرنا وعلى النهيرات الصغيرة التي هي العيون الكبار (المعاييين) ، ففي حجر يوجد نهر صغير يسحب الصبي بتياره ، وفي شرق حضرموت قرب قبر النبي هود نهير صغير يزداد سيلانه بهطول الأمطار ولكن لم يبق اليوم إلى أثر مجراه وماء قليل به [٥] . ويذكر بعض المؤرخين أن بحضرموت عيونا كثيرة سدها معن بن زائدة الشيباني وسنتكلم عن ذلك فيما بعد .

ويجد بشرق حضرموت ايضا على بعد نحو ست ساعات من قبر هود أثار السد الذي يقال أن مياه وادي حضرموت كلها سابقا كانت تتجمع دونه ثم تستعمل في الري ، وقد تخرب فيما بعد مما يدل على أنهم ظلوا يعملون سدودا كآبائهم وإخوانهم من السبأيين لحبس الماء كما يعملون بركا كبرا في المقاطعات الجبلية ، وتسمى اليوم الكروف جمع كريف لخزنه فيها والاستفادة منه .

ولهم عناية ومهارة في النسيج وحياكة الأقمشة الملونة كالبرود والحبرة وهي أثواب مخططة زاهية تلبسها الطبقة الراقية فيهم ، وقد توارث الحضارمة هذه الصنعة على أوائل هذا القرن وكانوا قبله ينشؤن المعامل للنسيج ويغرسون القطن ويصدرون أنواعا من الأقمشة على الخارج ففقدوا هذا المورد اليوم وأصبحوا فيه عالة على الخارج ، كما أنهم في زراعتهم اليوم اعتمدوا على الآلات الحديثة من الخارج ، فضاع كثير من ثروتهم فيها . ولو بقيت زراعتهم على الآلات الوطنية لكان أوفق لنا اقتصاديا ووطنيا ولا مكننا المحافظة على استقلالنا حتى تكون لنا آلات حديثة من صنع بلادنا العربية . ولا يتضح

---

[٤]. جمع ناضح وهز البعير الذي يسنى عليه .

[٥]. العوام عندنا ينادون هودا بقولهم يا مولى النهر يعنون هذا النهير والزوا ر يغتسلون فيه فبل الزيارة ويركعون على حجر كبير يطل عليه يدعونه حصاة عمر نسبة لعمر المحضار ابن السقاف .

هذا غلا بالمقارنة الدقيقة بين الحالين [٦] ويقومون ببقية الحرف والصناعات الضرورية لمجتمعهم رغما عن أنهم كلهم حملة سلاح .

ولم ينسوا أيضا صناعة البخور التي ورثوها عن آبائهم حيث تزاول في الشحر ويطلقونها على بلاد مهرة وسواحلها حتى الشحر الحالية وأنشد قائلهم :

اذهب إلى الشحر ودع عمانا

إن لم تجد تمرا تجد لبان

وطبهم البدوي يزاوله المجربون والحكماء منهم ويعتمدون فيه على بعض الحشائش والأشجار التي تنبت ببلادهم [١] وعلى الكي في الغدد والعضلات وعروق ومفاصل معروفة عندهم ، ويقومون بإسعافات أولية .

ومن لأشهرها الكمودات عندما يصاب أحدهم بجروح أو رضوخ آو أورام .أما موائدهم فتتألف من البر واللحم والمرق واللبن بأنواعه والبيض والفواكه التي توجد عندهم ، وأشهرها الرطب والعنب والبطيخ والخضراوات كالفقوس . وفي الساحل يتناولون مع هذه الأسماك الطرية لهذا نشأوا أشداء أقوياء البنية وفيهم نشاط ومناعة ضد الأمراض .

ثقافتهم

ثقافتهم ثقافة عربية تنبي على البلاغة والفصاحة والخطابة والشعر فرضا وإنشادا وحفظا وهو أعظم ظاهرة ثقافية بين العرب وتعني به عناية كبرى ، وله فضل كبير في حفظ أنسابهم ووقائع هم واحسابهم وذكر مواطنهم وحروبهم وربوعهم وديارهم إلى آخر ما هنالك .

---

[٦]. مما نستفيده تشغيل الايدي الوطنية العاملة وأستعمال الغذية الوطنية كالتمر والبر والذرة بين طبقة العمال بدلا من الارز الذي نجلبه من الخارج ونفضله وهو الأدنى على الذي هو خير .

[١] . من تلك الأشجار الشجرة المسماهة ضرع الكلبة ولها مفعول غريب في برء الجروح والبثور ومنها السناء

وفيهم من يحسنون القراءة والكتابة بـالخط النبطـي [٢] وإن كـانوا قلـيلين لانتـشار الأميـة بينهم ، وفيهم بقية تقـرأ وتكتـب الحميريـة ومـن علـومهم الزجـر والكهانـة والقيافـة وسيأتي الكلام عنها في ترجمـة وائـل بـن حجـر الحـضرمي . ولـهــــم مـدنهم وقـراهم وحصونـهم كمدن شبوة وتر يم وشـبام والاسـعاء وهـي الـشحر الحاليـة ، ومـدن دوعـن [٣] والرابية بوادي العين وعكرمة بريدة الـدين وقـرى بـور ودمـون والهجـرين والعجلانيـة وعندل وتنعة على الطريق قبر النبي هود ، وكحصون الرناد ، والنجير ، والعر .

هذه هي مراكز مدينتهم وحضارتهم و فيها وفي أمثالها ومـا بينهـا مـن صـحاري وأوديـة وسفوح وحقول وجبال كانت تعقد مسامرهم وأنديتهم ــوأسواقهم ومـشاوراتهم وميـادين سباقهم وفروسيتهم وتقام فيها أسواق عامة سنوية هي مواسمهم التجارية والثقافية ترد إليها قبائل العرب من محلات بعيدة أشهرها سوق الأسعاء وهي الشحر ، وسوق الرابية بوادي العين ، ولهم أصنامهم التي يعبدونها كصنم وائل بن حجر الشهير ، ومـنهم مـن هو معتنق النصرانية [٤] ، كالمضرب الكندي وبنيه وندر من أعتنق اليهودية .

ومع ما تقدم كله فأن حالة البداوة تغلب علـى أكثـريتهم ، ويجـري دوامـا بيـنهم وبـين إخوانهم من قبائل العرب ومع بعضهم بعضا الاشتباكات والغزوات والنهب والسلب كمـا ان تناول الخمور معروف بينهم وغيره مما لا يخلو منه كل مجتمع من هذا القبيل حتـى جاء الإسلام فهداهم إلى الصراط المستقيم ورفع مستواهم .

ومن أخلاقهم النبيلة الصراحة والشجاعة والكرم ، وحماية الجـار والوفـاء والحريـة إلا أنها قد تجمح بهم إلى الخروج على النظام والوحدة إلى حد التضحية بكل شـيء في سـبيل القبيلة فقط وفقط في سبيل القبيلة . وهذه الشنشنة هي التي كثيرا مـا أضـرت بـالعرب في الجنوب العربي وغيره وفي جميع أدوار التاريخ الآن ، وبالقضاء عليها سيتمكن العرب في

[٢]. الخط النبطي هو الذي أنتشر في البلاد العربية الشمالية إذ ذاك قالوا : وأول من نشره حرب بن أمية .
[٣] . منها الحربية وأن زعم بعض السواح الأجانب أنها سميت بعد بهذ الأسم إذ كانت عاصمة الأباضية فخربت. انظر الشامل . ومنها ذو صبح وشزن ولا يعرفان اليوم وهي غير ذي صبح بحضرموت الوسطى المعروفة اليوم .
[٤]. في البرد النعيم للخطيب ما يصرح بوجود عيسويين بتر يم قبيل ومع دخول الإسلام إلى حضرموت .

كل جزء من بلادهم من الوحدة فيه ، وبالتالي من الوحدة العربية الكبرى في الوطن العربي الكبير من الخليج إلى المحيط .

وتشاركهم في كل تقدم نساؤهم ويختلطن بهم مع غلبة الصون والحشمة والعفاف كما سيأتي ذكر نماذج منهم ومنهن .

وبالجملة فهم طليعة الشعوب العربية في هذا العهد وحالتهم لا تختلف كثيرا عم حالة إخوانهم في المقاطعات اليمنية ومدن الحجاز ونجد وأطراف العراق ومشارف الشام كما ستسمع وتقرأ عنهم وعن نوابغهم المعدودين .

نماذج من نوابغهم

أمرؤ القيس بن حجر :

هو أمرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر الناثر الشهير وقد مر ذكر أبيه الملك حجر ولم يهمه كونه ابن ملك بل كان ديمقراطي النزعة لفم يلتفت إلى أبيه الملك . وفخفخته وأرستقراطيته بل كان التفافه وهوايته إلى الأدب وقرض الشعر والقنص والغزل واللهو حتى أفرط في ذلك فسمته العرب الملك الضليل .

من المحتمل ان يكون أمرؤ القيس أكبر شخصية أدبية في العالم العربي في هذا العهد ، وأدباء العربية مجمعون على أنه هو وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى هم أشعر شعراء العرب في الجاهلية . ولكن بعضهم يفضل امرئ القيس على الجميع . وقال آخر أشعرهم زهير أذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب ، وامرئ القيس إذا غضب .

وقد قال شعرا كثيرا في ضروب الشعر من حماس ورثاء وغزل ووصف ومدح وهجاء . وأجود شعره قصيدته المعلقة التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي إحدى المعلقات السبع آو العشر التي علقتها العرب في الكعبة لشدة اعتنائها بالبلاغة والشعر وكثيرون منهم يستظهرونها ، ومن هذه المعلقة في وصف الليل الذي وصف نفسه في قوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بـأنـواع الهموم ليبتلي

فقلت لــه لــمــا تمطى بـصلبه

أردف أعجازا وناء بكلكـل

ألا أيها الليل البهيم أنـجــلـــــــي

بـصبح وما الإصباح منك بأمثل

مولده بنجد حوالي سنة ٥٢٠ ميلادية تقريبا عند أخواله بني تغلب وأمه فاطمـة شـقيقة مهلهل وكليب وابني وائل الزعيمين العربيين الشهيرين ، ومـن أبطـال حـرب البـسوس التي أفنت جيلا من شباب العرب بعد ما دامـت عـشرات الـسنين . ولكـن امـرئ القـيس عاش كثيرا من أيامه أو أكثرها بحضرموت وأقام فيهـا كمثوى وموطن له ولآبائـه وكـثيرا ما يذكر أيام عيشه الهني في ربوعها كقوله :

كأني لم أسمع بدمون ليلة

ولم أشهد الغارات يوما بعندل

ولما بلغه مقتل أبيه وهو بدمون [1] أنشد :

تطاول الليل علينا دمون

دمون أنا معشر يمانون

وأننا لقومنا محبون

اليوم خمرا وغدا أمر على ىخر كلامه . ومولده بنجد لا يخرجه عن حضر ميته كالكثير من مواليد الحضارمة بالمهاجر حين يولـدون بهـا يعيـشون ويتمـسكون بـوطنهم الأصـيل العربي حضرموت ، ومهما يكن فأمرؤ القيس عربي قبل كل شيء .

[1]. دمون هي دمون الهجرين كما قدمنا .

جهوده للأخذ بثأر أبيه

وقد تجلت شجاعته إقدامه لما قتل أبوه فقرر الأخذ بثأره مهما كلف الأمر .

فقاد الجيوش وجمع الجموع وطارد بني أسد قتلة أبيه نتيجة لسوء معاملته لهم ، وقد بذلوا لامرئ القيس مقترحات مقابل دم أبيه لتسكين الفتنة فرفضها وهاجمهم ليلا فلم يجدهم في أماكنهم وأوقع نفسه وجيشه في قبيلة أخرى بريئة فتفرق عنه جمعه .

وأخيرا توجه إلى القسطنطينية لمقابلة ملك الروم بعد ما اودع دروعه وسلاحه وأهله عند السمو أل [٢] ، الذي يضرب به المثل في الوفاء لأنه لم يرض أن يعطي هذه الأسلحة لغير ورثة امرئ القيس بعد ما مات رغما عن أن الملك المنذر اسر أبنه ولم يرض بتسليمه إلا إذا دفع الدروع إليه فذبح المنذر أبنه ضحية وهو ينظر من حصنه ولكنه حفظ حق الأمانة فضرب به المثل في الوفاء منذ ذلك اليوم وإلى الأبد .

وصل أمرؤ القيس القسطنطينية ، قالوا دخلها حاملا علما أحمر شعار ملك آبائه وإشارة إلى الدم المسفوك ، فقوبل مقابلة حسنة من قبل قيصر الروم ووعده بالمدد ولكنه توفي وهو بأنقرة توفي وهو بأنقرة حوالي سنة ٥٦٦ م .

وكان قد تحمل كثيرا من المشاق في رحلته على درجة أن صديقه ومستشاره في السفر عمرو الضبعي رثى لحالته فقطرت منه قطرت دمع فأنشد من قصيدة تدل على العزم والتصميم

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه

وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لاتبك عينك إنما [١]

نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

---

[٢]. السمو أل بن عدياء أحد العرب القلائل الذين يدينون باليهودية قبل الغسلام وله القصيدة الفخرية الهيرة في كتب الأدب :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه == فكل رداء يرتديه جميل

[١] . عل الدافع إلى استرداد الملك الذي يحاوله وهو التمكن من الأخذ بثار أبيه الذي أصبح شغله الشاغل وقلب حياته الناعمة راسا على عقب بعد ما كان غير ملتفت غليه في حياة أبيه .

ربما أخطأ أمرؤ القيس في عدم قبوله الحلول لتسكين الفتنة التي سببها استبداد أبيه القتيل كما أخطأ أبوه في سوء معاملته لشعبه ففشل كلاهما في هذه الناحية ولكن أمرؤ القيس نجح نجاحا كبيرا في الثقافة العربية كما ذكرنا .

قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي السكسكي

أحد أقيال حضرموت الشهيرين ، والنواحي المهمة في حياته هي الفروسية النادرة والكرم والمهارة في القيادة والإصابة في الرأي ، وقد طبقت شهرته بذلك جزيرة العرب وما قاربها فكان فكان يقود الجيوش الجرارة للغزو ويكون له المر باع كعادة العرب في ذلك العهد . والمر باع هو ربع الغنيمة للرئيس القائد الأعلى للقبيلة تجعله من امتيازاته قال شاعر هم:

لك المر باع منا والصفا يا

وحكمك والنشيطة والفضول [٢]

وقد ولد في العقد الثالث من القرن الخامس الميلادي ، وقيل في أوائل القرن السادس الميلادي ، وله غزوات كثيرة أنتصر فيها ولكنها ــ ويا للأسف ضد إخوانه من أبناء القبائل العربية ، وترى في وجهه شجة أصابته في موقعة ضد قبيلة مذحج التي أستمر بينها وبينه القتال .

[٢]. الصفا يا : ما يصطفيه الرئيس لنفسه .النشيطة : ما أصابه من الغنائم قبل جمعها .

أضخم فدية عرفتها العرب

ومرة أسرت [٣] أبنه الأشعث بن قيس الشهير الآتـي ذكـره ففـداه بثلاثـة آلاف بعـير ولم يعرف أن أحدا أفتدى بهذا الفداء من العرب حتى ملوكها الذين بلغ منتهى فدية الأسير منهم ألف بعير فقط .

أعماله المجيدة

عرف قيس بما عرف به من وجهاء العرب وزعماؤها من قرى الـضيف وإجـازة الـشعراء وحمي الجار والإصلاح بين أفراد القبيلة وقيادة الجيش و ارتجال الخطب وإنشاد الـشعر .

الملك الحكيم المسالم

هذا هو الملك معدي كرب بن الحارث الكندي عم امرئ القيس الشاعر المتقدم ذكره ، وهو من مواليد حضرموت والناشئين بها ، توج في حياة أبيه ملكا على قيس بجهـة الموصـل أو الجزيرة فكان هو الوحيد من بين إخوانه في حسن السياسة وإدارة دفة الحكـم بمهـارة ، والعطف على شعبه وتدبير أمـور دولتـه ، وإيثـار الـسلم لا الاستـسلام ، ولهـذا عمـرت البلاد واستراح العباد في مملكته ، بينما كانـت سياسـة كـل مـن إخوانـه الملـوك الثلاثـة خرقاء ، فحجر قتلته بنو أسد كما سبق في ترجمتـه ابنـه امـرئ القـيس لأنـه لم يحـسن سياسته وأثقلها بالضرائب حتى ثارت عليه ففتكت به ، وشرحبيل وسلمة تنازعـا علـى ملك أبيهما بعد وفاته يريد كل منهما ضمه علـى مملكتـه ، وجمـع كلاهمـا جموعـا مـن

[٣] . أي قبيلة مذحج .

العشائر العربية ضد الآخر فكانت النتيجة الاصطدام والحرب والفناء بموضع يقال له الكلاب بالعراق وسميت الموقعة موقعة يوم الكلاب [٤] .

وقد حمل لنا التاريخ مآسي متكررة من هذا النوع أدت إلى القتال بين الأخوة بل بين الأبناء والآباء من أجل التغلب على السلطة والملك والجلوس على كراسي الحكم، وسيأتي في تاريخنا الحضرمي أيضا أمثال هذه القصة. ونشير هنا إلى حكمة معدي كرب الذي أنفرد من بين إخوانه بالصفات النبيلة التي أشرنا إليها ولم يرض أن يعمل آو يشترك فيما عمله أخوته فكان الملك المحبوب عند شعبه إلى أن توفي إثناء القرن السادس الميلادي والذي لا يزال يذكر التاريخ له هذا الصنيع الجميل إلى اليوم.

أم الصريخ الشاعرة المجيدة

هذه امرأة حضرمية من كندة اشتهرت بين العرب بجودة الشعر على درجة تفوق فيها كثيرا من الشعراء المجيدين كما اشتهرت الخنساء بعدها. وبين السيدتين تشابه كثير في قوة الشخصية ونبل العاطفة وفي حسن الديباجة وجودة الأسلوب والإكثار من الرثاء في الشعر للتخفيف من آلامها و كروبهما من فقد الأحبة الأقربين.

ومن الغريب أن يكون لكلتيهما أبناء قتلوا معا في وقعة واحدة : فالحضرمية الكندية قتل أبناؤها في موقعة جيشان [١] والخنساء السلمية قتل أبناؤها في موقعة القادسية . إلا أن أكثر مراثي الحضرمية في بنيها وأكثر مراثي السلمية في أخويها صخر ومعاوية وقالت أنها لم ترث بنيها الأربعة لأنهم قتلوا شهداء مسلمين فهنيئا لهم الجنة والشرف .

---

[٤] . أنظر التفصيل في الأغاني وغيره .
[١] . موضع معروف في الجزيرة العربية .

من شعر أم الصريخ في بنيها قولها:

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم

وأن يرتقوا من خشية الموت سلما

فلو أنهم فروا لكانوا أعزة

ولكن رأوا صبرا على الموت إكراما [٢]

وإنما قالت لكانوا أعزة مع أن الفرار مذموم لأن عدوهم تضاعف عليهم بحيث أصبح القتال لا يجديهم شيئا والانسحاب يتحتم عليهم كما عليهم تقتضيه الخطط الحربية [٣] ولكن رأوا صبرا على الموت إكراما.

خويلة القضاعية

هي سيدة قضاعية حضرمية اشتهرت في الأوساط الحضرمية والعربية بقوة الشخصية والتأثير في النفوس ببلاغتها في النثر والنظم ولها مكانة مرموقة في قومها بني ريام وهم بطن من قضاعة لا يعدوا أكثرهم عن كونه من محارمها الأقربين ، وقد استطاعت بمفردها أن تثار لعشرات منهم قتلوا في موقعة حربية بينهم وبين إخوانهم من قبيلتي ناعب وداهن من قضاعة أيضا ، استطاعت ذلك بتأثيرها في قبيلة مهرة بنظمها وشعرها حتى غزت قضاعة بقيادة سيدها مرضاوي بن سعوة ابن أختها وأخذت بثأر من قتلوا [٤] .

من شعرها القصصي المزدوج بالرثاء والحماس في هذه القصة قولها:

---

[٢] . ديوان الحماسة.

[٣] . في الحرب العالمية الأخيرة اشتهرت موقعة دنكيرك بفرنسا لما هاجمها الألمان وعلى شواطئها كثير من البواخر الحربية والجيوش والعتاد فأنسحب الحلفاء بنظام كما يقولون وعدوا انسحابهم مفخرة .

[٤] . أقرأ القصة في أمالي القالي بأطول مما هنا وفي التاريخ شعراء الحضرميين ج ١.

قسمت رجال بني أبيهم بينهم

جرع الردى بمخارص وقواضب

فأبرد غليل خويلة الثكلى التي

رميت بأثقل من صخور الصاقب

وتلاف قبل الفوت ثأري إنه

علق بثوبي داهن مع نــــــــاعب

أبعد العرب غارة

بهذا تلقب العرب شراحيل بـن الأصـهب الجعفـي الحـضرمي بـل بعـضهم يلقبـه بأبعـد الناس غارة لأنه شجاع مغوار ذو جلد ومقدام يصل بهم على أبعد ما يمكن الوصـول إليـه من البلاد عن موطنه حضرموت فيغير على أهلها بجيشه ويحمل معه الغنائم ويعود بهـا ظافرا .

وقد بلغ شراحيل الرقم القياسي في هذه الناحية دون بقية غزاة العرب الكثيرين وإن كـان التاريخ لم يحدد أقصى ما وصل إليه من المسافات والأزمان .

ومن مغامراته انه قطع مئات الأميال من حضرموت إلى البلقاء غازيـا في مائـة فـارس مـن قومه [١] والعرب تهابه هيبة شديدة إلى درجة أن الشاعر الشهير النابغة الجعدي عده من أعظم مفاخر قومه إنهم قتلوا شراحيل هذا الذي تقترن الرهبـة باسمـه إذا ذكـر فـأراحوا بني معد منه، فقال في رائيته الشهيرة:

[١] . انظر العقد الفريد جزء (٢) .

أرحنا معدا من شراحيل بعدما

أراها مع الصبح الكواكب مظهرا

وعلقمة الحراب أدرك ركضنا

بذي الرمث إذ صام النهار وهجرا

ونحن إذ نسجل اسم هذا المغوار الحضرمي فإنما نعجب لمجرد إقدامه وفتوته وجرأته وجلده فقط ونأسف له كبطل عاش في وسط لم يصل إلى حياة حضارية منظمة، ولم تكن بيئته متعلمة فتستغل هذه الصفات التي وجدت فيه وفي أكثر من أمثاله فيما يعود على الأمة العربية بخير النتائج وأحسن المثل بدلا من أن تستعمل ضد البعض منها.

دور الوحدة

حضرموت تنضم تحت راية الإسلام
والتوحيد وتلحق بالوحدة العربية الإسلامية

لقد مر ذلك الدور البغيض (دور الجاهلية [٢]) الذي تـشتت فيـه قبائـل العـرب وتفرقـت كلمتـها ، وكانت كما وصفها الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب لملك الحبشة لما هـاجر إليها مع جملة من الصحابة والصحابيات فرارا من ظلم قريش واستبدادها حـين يقـول : (كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتـة ونـأتي الفـواحش ونقطـع الأرحـام ونـسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسـل مـن قبلنـا وذلـك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله تعـالى لنعبـده ونوحـده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه مـن الأحجـار والأوثـان ، وأمرنـا أن نعبـد الله وحـده وأمرنا بالصلاة بالزكاة والصيام وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والـدم ونهانـا عـن الفـواحش وقـول الـزور أكـل مـال اليتـيم وقـذف المحصنة فصدقناه و آمنا بـه واتبعناه) وهو دور كانت العرب فيه وأمـم العـالم إذ ذاك في انحطاط خلقي واجتماعي وهي بأشد الحاجة الإسـلام بوصـفه الـدين الكفيـل لهـا بإقامـة أسس دستورية متينة ومبادئ إصلاحية وقيم روحية فهو الدين المدني الذي يحفظ كرامة الإنسان وحقوقه ويكفل له سعادة الـدارين والعـيش في سـلام وطمأنينـة ورخـاء وتعـاون وعزة ، ويسعى جهده للوحدة البشرية ولتمكين الإنسان من استعمال فكره وطاقته وعقله حتى يصل بها إلى أبعد ما يمكن من تقدم ورقـي في هـذه الحيـاة مـن جميـع نواحيهـا وفي

---

[٢]. للجاهلي إطلاقات منها ما قبل الإسلام إلى عهد عيسى عليه السلام .

جميع أدوارها [٣] ، ولكن ويا للأسف أن المنتمين إليه لم يطبقوا تعاليمه ولم يقدروه حق قدره .

ثم انه كغيره من الأديان السماوية يغرس في الإنسان الإيمان بالله تعالى وبالحياة الأخرى التي هي دار الجزاء الأبدي ويوضح له البراهين الكافية أن هذه الحياة الدنيوية ليست هي المقصودة وأنها لا قصر وأنقص من أن يحياها فقط ثم ينتهي إلى غير رجعة و الإنسان أجل وأعلى من أن يخلق ليعيش عيشة الفناء فقط بل عن حياته الحقيقية إنما هي فيما بعد كما ثبت ذلك ليس دينيا وعقيدة فحسب بل وعلميا [٤] ، ودواما ما يثبت العلم الحديث للإنسانية صحة ما جاء به الإسلام وكشف عن أسرار ومغيبات [٥] .

ذلك مما تضمنه القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الشريعة الإسلامية الغراء .

ولقد كان لبلاغة القرآن الكريم الأثر البالغ في نفوس العرب ، ولشخصية سيدنا محمد المزودة من قبل الله بالأخلاق السامية وبالطاقة المشحونة بالتأثير والجاذبية والكمال والمثالية فقلب حياتهم الفردية و الجماعية رأسا على عقب وأصبح البدوي الجلف الذي لا تأمنه على عقال بعير متدينا مخلصا لدينه وأمته وللوحدة الإسلامية في غاية النزاهة والإنسانية والنبل لا يعرف النفعية ولا الأخلاق المنحطة كما كانت تعرف في وسطه قبل اعتناقه

---

[٣]. أقرأ الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وهي كثيرة لا تكاد تحصر مثل الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا ، وكتابي رسالة التوحيد والإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ، وتفاسير شيوخ الأزهر وكتب (الأخوان المسلمون) ، ومثل العدالة الاجتماعية للسيد قطب وغيرها من كتبهم المؤلفة في المواضيع الإسلامية الهامة .

[٤]. انظر كتاب العلم يدعو إلى الإيمان .

[٥]. الكتاب نفسه .

الإسلام ، واستطاع سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بتطبيق مبادئ الإسلام [1] أن يخلق في بضع سنوات من لأمة ضعيفة متفرقة تعبد الأصنام أمة متحدة ذات دستور هو القرآن ودولة مالية منظمة وحياة مدنية ديمقراطية وذلك ما لا يكون إلا بمعجزة خارقة .

[1]. نحن حين نتكلم عن الإسلام إنما نعني به الإسلام الحقيقي بمبدئه المثالية السمحة وروحه وتعاليمه العامة الواسعة الدر الذي لا ينقصه إلا قيادة حكيمة واعية وجهة قوية تدافع عنه وتمشي بواسطته إلى الأمام . ومع الأسف أن بعض الكتاب وأكثرهم من الغربيين لا يفهمونه بهذا المعنى فيهرفون بما لا يعرفون ويفرقون بين العبادات والأحكام الدنيوية في الإسلام ويتخذون من أعمال بعض رؤساء الحكومات الإسلامية أو وزرائها حجة على الإسلام وهم في الواقع ليسوا من الإسلام في شيء فإذا غضب شعب عربي مسلم مثلا على أحد من هذا النوع قالوا أنه فضل شعبيته على الإسلام فالشعوب العربية و الإسلامية اليوم تعرف كيف تستغل باسم الإسلام بما لا يأمر به الإسلام وهل افسد الدين غلا الملوك و أحبار سوء ورهبانها .

مقارنة بين العرب قبل الإسلام وبعده

وإظهار الفرق الهائل بين التاريخيين

أن للعرب استعداد فطريا وأخلاقا يمتازون بها عن كثير من الأمم، كالذكاء والشجاعة والجلد والتضحية في سبيل المبدأ، ولهم حضارات قديمة مشهورة كما أشرنا إليها ولكن كل ذلك ليس شيئا يذكر بالنسبة لحضارتهم الإسلامية. ولم يستطيعوا أن يقيموا حضارة نفعت العالم وقادوا بها الأمم إلى الإصلاح والنهوض والحياة الكريمة إلا بالمبادئ والتعاليم التي سنها لهم الإسلام ولم تنتشر لغتهم آدابهم وعلومهم ويبنوا تاريخ مشرفا تمجدهم به أمم العالم إلا بعد اعتناقهم الإسلام وتطبيقهم مبادئه الصحيحة وبواسطة العقيدة الإسلامية الراسخة في قلوبهم بسطوا سلطانهم على أكثر المعمور في العالم وحين ضعفت عقائدهم وتساهلوا في مبادئهم الإسلامية تقلص ظل سلطانهم وبقدر ما يبعدون عن مبادئهم الإسلامية الكريمة بقدر ما يعتريهم الذل والهون، وتسطوا الأمم الأجنبية عليهم. ولقد أخطأ حقا من تجرأ وأدعى أن للطبيعة العربية وحدها أكبر الأثر في انتشار الإسلام ومجده ولو كان ذلك حقا لما أعتز بالإسلام أمم كثيرة أخرى كما أعتز به العرب إلا أن العرب هم السابقون الأولون على مجد الإسلامي وهم القادة والزعماء وهم خير أمة أخرجت للناس. وللطبيعة العربية أثر لا ينكر في تطبيق مبادئ الإسلام ونشره في العالم، ولذا اختار الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم ونبغ بفضل الإسلام فيهم القادة العظماء والزعماء المثاليون أمثال الخلفاء الأربعة وأبي عبيده بن الجراح وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وغيرهم ممن أتيحت له القيادة ــ آو الإمارة أو الزعامة. والواقع أن المدرسة العربية الإسلامية التي ليس لها منهج سوى القرآن ، وليس لها مدير سوى سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام قد أخصبت بكثرة وافرة من هذا النوع الممتاز ، ولو تقلد كل أفرادها شيئا مما ذكرناه لقام بالواجب كما قام به أولئك .

وقد أنجبت حضرموت أبطالا من خيرة الصحابة والقادة المبرزين في الفتوحات الإسلامية أمثال امرئ القيس بن عانس الكندي، وقيس بن سلمة الجعفي وقيسبة بن كلثوم ألسكوني.

الوفود الحضرمية إلى سيد العرب صلى اللّه عليه وسلم بالمدينة

وفدت إلى الرسول بالمدينة وفود حضرمية جماعية فردية ، وذلك لما انتشر الإسلام بـبلاد العرب وعرف أهلها عن محاسنه الشيء الكثير ، كما سمعوا عن أخـلاق نبيـه وأصـحابه وما يقومون بـه نحو الإنسانية من خدمة وإصلاح وما أتاهم الله من نصر باهر على أعدائهم من أهل الكفر والإلحـاد . وكـان الغـرض مـن إرسـال هـذه الوفـود الـتي تمثـل المـواطنين الحضارمة هو إعلان الانضمام إلى حظيرة الإسـلام وتقـديم فـروض الطاعـة والـولاء وأخـذ صورة مباشرة عن سيد المرسلين وأصحابه وتعاليمه وتوجيهاته، من الوفود الجماعية وفد كندة.

وفد كندة

ترأس هذا الوفد الأشعث بن قيس الكندي، وقد مر ذكـره أثنـاء ترجمـة أبيـه، وقـد مـر ذكره أثناء ترجمة أبيه، وقد كان هذا الوفد مثالا للروعة وحسن الهيئة، وقد تـألف مـن بضعة عشر رجلا ، وعده بعض أهـل الـسير نحـوا مـن ثمـانين [٢] عـضوا متأنقـا في لباسـه وهيئته ، قدموا إلى المدينة في السنة العاشرة للـهجرة فقابلـهم رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم أحسن مقابلة كما يقابل أمثـالهم مـن وفـود القبائـل العربيـة ، ولاحـظ علـيهم ملاحظتين إحداها :

استعمال الحرير، والثانية: الافتخار بعظمة جدهم آكل المرار حين قالوا له علـى سـبيل الفخر والاعتزاز الجاهليين: نحن بنوا آكل المرار وأنت ابن آكل المرار [٣] ، فبادروا بـترك

[٢]. من جملة ما يترتب على العدد كثرة الصحابة وقتلهم بحضرموت .
[٣]. كأنهم يشيرون إلى أن له صلة نسب بهم من جهة الأمهات .

ما نهاهم عنه فمزقوا الحرير الذي في جببهم ووبخهم سيدهم الأصغر الأشعث بن قيس عن إعادة القول بما نهاهم عنه سيدهم الأكبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم [1] .

مصاهرة بين القبيلتين

بمناسبة وجود الوفد الكندي بالمدينة استحسن عقد مصاهرة بين قبيلتي قريش بالمدينة وكندة بحضرموت وذلك كما يقول بعض أهل السير ، زواج الأشعث من أم فروة بنت أبي قحافة أخت الصديق ، وسواء تم العقد وقتئذ أم بعده ، فأن الرغبة في التقارب والمصاهرة قد حصلت بين القبيلتين ، وإذا صح ما يقال أن رسول الله خطب قتيلة بنت قيس أخت الأشعث وتوفي قبل لأن تقدم عليه من حضرموت فهو يؤكد تلك الرغبة من الجانبين في التقارب بين القبيلتين كما أشرنا . وهكذا كان نصيب كندة بوصفها من أعظم العشائر الحضرمية من نبل الأخلاق النبوية المعروفة عن رسول الله وأصحابه حين يتألفونها كما يتألفون غيرها من قبائل العرب لدعم الصلات والروابط الإسلامية فيما بينهم وبينها ، ولولا قرب عهد هذه القبيلة بالإسلام و أصحابه حين توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لربما لم يرتد أحد منها ، ومع هذا فأن كثيرا من رجالها ، ومن رجال حضرموت الآخرين ثبت على إسلامه كما سيأتي .

وفود حضرمية أخرى

تعددت الوفود الحضرمية في هذه السنة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وقد سطر التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء الزعماء وهم : وائل ابن حجر يفد من

---

[1]. انظر السير النبوية ومنها سيرة ابن هشام .

شبوة يقال أنه أول أشهر وافد حضرمي إلى رسول ، وقد قوبل مقابلة ممتازة من الرسول وأعطاه عدة كتب وأقره على ما ورثه عن آبائه من إمارة وستأتي ترجمته مبسوطة .

وفد الجعفيين من جردان

قيس بن سلمة الجعفي:

وفد على الرسول هو ورهط من أصحابه، وقد أكرمهم الرسول وقدم لهم القلب بصفة خاصة ، وكان الدافع له على هذا هو ما بلغه عن الجعفيين من عدم أكلهم القلب ولعل ذلك لتوهمهم أنه يضر أو لأنهم يعافونه كما يعاف بعض الأعضاء الأخرى كالرئة والأمعاء والكرش . وعلى كل فأن الرسول ــ كما هي عادته ـــ أراد أن ينزع من قلوبهم علميا كراهية أكل القلب فقدمه إليهم مشويا فأكله بعضهم وعادوا بعد إلى حضرموت مسلمين مخلصين . ووفد أيضا : الأسود الكندي من عرمة وجردان بمفرده وكليب البقلي التنعي من وادي تنعة . وربيعه بن مرحب الحضرمي, وغير هؤلاء كثيرون من بلاد الجنوب العربي وهم مذكورون في ثنايا كتب السير المطولة.

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يثني على الحضارمة

لقد أورد العلماء و المحدثون والمؤرخون أحاديث كثيرة في فضل الحضارم تدل على ما يمتازون به من أمانة وطاعة ورقة ، وقد ذكرت بعض قبائل من كندة : كالسكون وتجيب بالثناء والمديح وقبيلة حضرموت كذلك ، وكندة مدحت بأنها في السنام من الجسم العربي ، كما أثنى على اليمن وشعبه في أحاديثه كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : الإيمان يمان والحكمة يمانية .

ومن الآيات التي فسرت إذ ذاك بأهل اليمن، ومنهم الحضارمة طبعا سورة النصر : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ...) الآية، فسر بعض التابعين كعكرمة الناس بأنهم أهل اليمن ولا يستغرب هذا ، فقد أسلم أكثرهم طواعية ، ولم تفتح بلادهم عنوة .

والمناقب القرآنية السنية في فضل الحضارمة خصوصا وأهل اليمن عموما كثيرة [٢] ومنها القوي ومنها الضعيف

كالمناقب التي وردت في غيرهما من البلاد والعباد، المهم من هذا هو ما يلي:

أن ندرك اندماج القبائل العربية مع بعضها بعضا وسرعة المواصلات بواسطة النجب والجياد والحيوية والنشاط في السكان ولم تعد خافية أخلاق كل قبيلة ومناخ كل مقاطعة عربية ، وأن ندرك إطّلاع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على بلاده وأخلاق قومه ومن تلك حضرموت والحضارمة واندماجه مع قبائل العرب في مواسم الحج وغيرها ، ومع الوفود العربية الكثيرة التي تفد عليه . لهذا فهو أنما يثني عليهم ـــ بمقتضى الواقع ــ طبعا [١] ولتشجيعهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل .

---

[٢]. انظر الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها للحداد في الموضوع .
[١]. لأن رسول الله (ص) معصوم عن الكذب .

ولا شك أنه يعطي كل موقف ما يستحقه تماما كما وأن بعض القبائل قد يكون لها موقفان، أحدهما: تشكر عليه والآخر تشكي منه، فلا تعارض ، وإذا ذكرت قبيلة فأن المراد بها المجموعة في عمومها وتخاطب بالثناء وعكسه كمجموعة لا كأفراد .

ومن هنا لما وصف الرسول الحضارمة بالأمانة [٢] في بعض الأحاديث فأنه وصف منطبق على الحضارمة امتازوا به أكثر من غيرهم من إخوانهم العرب اشتهروا به في مها جرهم منذ عشرات القرون وإلى اليوم .

ونحن حين نسجل هذا الموضوع في هذا التاريخ فإنما نقصد به ما أشرنا إليه ، وليكون الشعب الحضرمي في الطليعة من بين الشعوب العربية في هذا العصر الحديث كما كان في العصر الإسلامي الأول وفي بعض مراحل التاريخ الأخرى مما سيأتي بعد .

أول عامل إسلامي على حضرموت

كانت نتيجة هذه الوفود الحضرمية بعد أن عادت إلى بلادها هو انتشار الإسلام بحضرموت كلها من أقصاها إلى أقصاها وداخلها وبقية المخاليف اليمنية كذلك .

وكان أول عامل أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها هو زياد ابن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي احد شجعان الصحابة وفضلائها وذوي الرأي فيها كما يعلم من أعماله .

أما اختصاصاته ـ كأمثاله من عمال الأقطار الإسلامية الأخرى فمنها :

(أ) جمع الصدقة (الزكاة) بصفتها أعظم مورد للدولة الإسلامية تأخذه من شعوبها ويمشون في صرفه على نظام مركزي ، حيث يصرف على مستحقي القطر الذي يقدم

---

[٢]. ورد في بعض الأحاديث: (الأمانة في الأزد وحضرموت فاستعينوا بهم) وهذا الحديث في كتاب أنساب العرب لسلمة بن سالم العوني الصحاري ـ مسند إلى أبي قلابة.

زكاته وما فضل يصرف إلى العاصمة (المركز) وفيه بيت المال وأمام المسلمين من الرسول أو خليفته .

(ب) إصدار الأحكام الإسلامية وتنفيذها .

(ج) نشر تعاليم الإسلام .

(د) تعيين مساعدين له في مهمته ووظائفه ، وقد مكث بحضرموت آخر سني الرسول وخلافة سيدنا إبي بكر ، وصدرا من خلافة عمر ، وأكثر مقامه بتريم و شبام [٣] ثم غيرهما من المواقع الرئيسية وتوفي في العقد الخامس من الهجرة أول خلافة معاوية .

أول مرشد إسلامي من الصحابة أشتهر بحضرموت

سيدنا معاذ بن جبل الأمام المقرئ والصحابي الجليل وقد ورد حضرموت واليمن لتعليم الأهالي الأحكام الإسلامية وللقضاء بينهم أيضا . وقد أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقضي بما في كتاب الله فأن لم يجد شيئا فبما في حديث رسول الله فان لم يجد فليجتهد رأيه [٤] .

كان نزول معاذ (ض) بحضرموت بين قبيلة السكون الكندية وأمتزج بهم وصاهرهم وله طلبة من حضرموت رووا عنه و اقتبسوا من علمه و تقاه [٥] .

وهناك أبو موسى الأشعري أيضا نزل حضرموت كمعاذ وارشد أهلها كذلك إلى تعاليم الإسلام.

وفد عاد كلا الاثنين منها فيما بعد إلى الجهاد ، وقد توفي معاذ (ض) بالشام في طاعون عمواس سنة ١٨ وتوفي أبو موسى في خلافة معاوية وأختلف في طريق وفاته على أقوال نهايتها سنة ٥٢ هجرية [٦] .

---

[٣]. يقول الخطيب في البرد النعيم مخطوط، أنه مقيم في تر يم.

[٤]. أنظر هذا الحديث الشهير في كتب الحديث.

[٥]. يروي بعضهم حديثا بأن الرسول أمر معاذ بأن ينزل بين السكاسك والسكون وهما قبيلتان شهيرتان من كندة أنظر الشامل .

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة على المشهور حدث اضطراب ووقع ارتباك في أبناء الجزيرة العربية وأرتد عن الإسلام بعض من لم يعه حق الوعي ولم يتمكن من فهم مبادئه من العرب وبعضهم لم يرتد عن جميع المبادئ الإسلامية ، وإنما أمتنع من دفع الزكاة كبني يربوع التميميين الذين قتل بعضهم خطأ وهم أصحاب مالك ابن نويرة الشهير .

وبعضهم ظن أن لا طاعة لخليفة رسول الله بعده وأن على كل أن يقوم بواجبه الإسلامي بدون أن يلتزم بالخضوع للسلطة بالمدينة المنورة ــ كل هذا يعرف بدرس أحوال العصاة المسمين بالمرتدين .

والفرقة الرابعة هي التي ثبتت على المبدأ الإسلامي ووعته حق وعيه وانضموا إلى صف الخليفة ، وهم كثيرون كما سيأتي .

وأما في القطر الحضرمي فقد ظهرت هذه الفرق الأربع ، فالملوك الأربعة وأختهم العمردة كانوا ممن ارتدوا وشربوا الخمر وخلعوا ربقة الإسلام عن أعناقهم وقتلهم أصحاب رسول الله كما سيأتي :

وهؤلاء اتبعوا وأتباعهم الأسود العنسي ، ثم لما مات رسول الله بلغ بهم الأمر إلى درجة أن بعض نسائهم اظهرن الشماتة بموته وخضبن أيديهم فوجه بعض الكنديين شعرا إلى الخليفة يقول فيه :

لأبلغ أبابكر إذا ما جئته

* * * * * * * * * * * أن الباغيا رمن أي مرام

أظهرن من موت النبي شماتة

* * * * * * * * * * *وخضبن أيديهن بالعلام [١]

فأقطع هديت أكفهن بصارم

* * * * * * * * * * * كالبرق أومض من متون غمام

---

[٦]. أن كلا معاذ وأبي موسى شهيد وله مواقف معروفة وأبو موسى هو احد الحكمين لفصل النزاع بين الأمام علي ومعاوية ولكن أبو موسى مع الأسف خدع . والقضية شهيرة في كتب التاريخ .

[١]. العلام بضم العين وتشديد اللام هو الحنا أو ما يشبهه .

فكتب أبو بكر إلى عامله بحضرموت بقطع أيديهن ففعل .

ويتهم الأشعث بن قيس بالردة عن الإسلام بتاتا بمقتضى كلام بعض المؤرخين [١] ولكن بعضهم يعده من الفريق الثاني الذي منع الزكاة فقط وشح بماله كما يقول هو لسيدنا أبي بكر الصديق لما أرسل إليه فاستنطقه بالمدينة [٣] .

وهناك حارثة بن سراقة الكندي الذي يعد من الفريق الثالث [٤] . وعلى كل حال فالواجب الإسلامي الإجتماعي هو الذي دفع أبا بكر إلى القتال الفرق الثلاث الأوليات وإخضاعها للسلطة الإسلامية العليا ، وتأدية جميع الواجبات المادية والأدبية إليها ، فما عتم أن أمر زياد بقتالها أرسل إليه النجدات ، حتى تم إخضاع العصاة بواسطة المنضمين إلى صف الخليفة من الحضارم في الداخل ، ومن أتى للنجدة من الأقطار المجاورة كصنعاء ومهرة .

كيف بلغ أهل حضرموت موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف تمت بيعة أبى بكر بينهم

لما تولى الصديق أبو بكر كان من جملة من كتب لهم من العمال زياد بن لبيد بحضرموت وأرسل لهو كتابا يخبره فيه بوفاة الرسول ويقره على عمله ، ولما تناول زياد الكتاب وقرأه خرج متقلدا سيفه وصلى الظهر إماما بالناس ثم خطب فيهم بعد أن قرأ كتاب

---

[٢]. انظر كتاب قلادة النحر لطيب بامخرمه مخطوط .
[٣]. انظر المشرع والبرد النعيم : أما صاحب الاستيعاب فقد قال جريرا يعني البجلي والأشعث أراد الصلاة على جنازة فقدم الأخير الأول قائلا إني ارتددت ولم ترتد .
٤. مما رواه أهل السير عنه هذان البيتان الشهيران :

أطعنا رسول الله ما دام بيننا ... فياقوم ما شأني وشأن إبي بكر
أيورثها بكرا إذا كان بعده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهل ترى بلغت به الغفلة إلى حد أنه لا يعرف أنه ليس لإبي بكر ابن موجود اسمه بكر أم هو على سبيل التمثيل ومراعاة القافية وغرضه أن يتقل كل إقليم بأمرائه وتعود الانفصالية والفوضى كما كانت في بلاد العرب ويتهدم بناء المركزية والحكومة العامة التي شادها الإسلام بالجزيرة العربية : وبعضهم يروي البيتين لغيره .

الخليفة ، وأمرهم بالمبايعة له وأداء الزكاة فأجابته الأكثرية ومنهم سكان تر يم وأشياعهم من المقاطعات الأخرى وبايعوه من بعد صلاة الظهر إلى العصر [٥] .

العصاة والمرتدون

هؤلاء كما ذكرنا ثلاث فرق ، وقد إعتزل الأشعث بن قيس مع طائفة من كندة ، ولكن زياد بدأ يناوشهم ويضايقهم بمن معه من الحضارمة كنديين وغير كنديين [٦] حتى اصطدموا به وكتب إلى الخليفة بالمدينة يخبره بالواقع

ويطلب منه المدد [١] .

ناقة الشيطان

شيطان هذا أحد شباب بني عمرو بن معاوية وهم أعز قبائل كندة ومنهم الملوك الأربعة وأختهم العمردة المشار إليهم سابقا ، ويقابلهم بنو الحارث بن معاوية وهم عشيرة الأشعث بن قيس ، وقد صدق أهله حين سموه شيطانا فهو اسم على مسمى وبسبب عناده وتحيله بدأ الصدام المسلح والقتال بين زياد و العصاة من قبيلة الشيطان هذا . وقد أخذ زياد من شيطان ناقة كريمة ووسمها بميسم الصدقة واسمها في ما يقال شذرة فوافقه

٥. انظر البرد النعيم للخطيب المطولة .
[٦]. ممن معه شرحبيل بن السمط وابنه كما في الاصابة وله كلام بليغ في ذلك الوقف .
[١]. أطبق مؤرخو الحضارمة القدامى ومنهم صاحب المشرع والبرد النعيم على انه لما ورد الكتاب إلى الصديق دعا لأهل تر يم بثلاث دعوات أن يكثر فيها الصالحون ويبارك في ماءها ولا يطفأ لها نار . والغاية من هذه الدعوات أن لا تخرب وأن تبقى مدينة عامرة حية ، قالوا وقد أستجيب دعاؤه ولعل رسول زياد تريمي طلب لمدينته الدعاء من الخليفة .

ولكنه فيما بعد قال لزياد أنها لأخي العدا وطلبها وليست على أخيه صدقة ، وطفق النزاع بين الأخوين وبين زياد يشتد فتدخل أحد زعماء القبيلة حارثة بن سراقة ولم يزالوا بشذرة حتى انتزعوها من بين ابل الصدقة . فلم يسع زياد إلا أن أمر بإعادة الناقة إلى ابل الصدقة التي قال أنها حق الله وقد دخلت فيها وأمر بتكثيف الثلاثة الكنديين المعاندين له وهم شيطان و أخوه وحارثة و أخذهم جيشه إلى حيث الكنديين يريد ، ثم هاجم القبيلة وقتل ملوكها [١] بمقتضى التفصيل الآتي :

بدء القتال

كان من الطبيعي أن تغضب قبيلة الأسارى وتقرر حرب زياد وكان زياد يخشى أن يتفرق عنه جيشه وتمتد الثورة في البلاد ، فباغت القبيلة في محاجرها ليلا وهي حول نيرانها ، ونظم خطة للهجوم عليها فقتل من رجالها مقتلة عظيمة ، وأسر من نسائها وصبيانها . ومن القتلى ملوكها الأربعة وأختهم قالوا أنه ظفر بهم وهم سكارى بدون حراس من شدة لعب الخمر برؤوسهم .

الأشعث تغلبه الحمية

لما مرت السبايا بالأشعث وهو زعيم عشيرته نادته النسوة والصبيان مستغيثين به ومثيرين عصبيته وحميته لينقذهم من الأسر فلم يتمالك نفسه وأشعل حربا ضد زياد وأصحابه فقتل منهم من قتل وأنهزم من أنهزم . وكانت النتيجة إنتزاع الأسرى وإطلاقهم .

---

[٢]. يقول الطبري في تاريخه وغيره أنه جعل يذبحهم وينشد :

نحن قتلنا الملوك الأربعة   مخوصا ومشرحا وجمدا وابضعة

والشطر الأخير غير متزن تماما مع سابقه الذي قطعت همزة الملوك منه .

فعظم هذا على الأمير وجيشه وشق عليهم ، وبقي الأمير صابرا ومداريا حتى قدم عليه مدد أبي بكر [١] وجاء المدد مقسما في ثلاث حملات حملة يقودها المهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي (ض) وهي الكبرى والسابقة ، جاءت من اليمن عن طريق نجران حيث كانت تخضع العصاة هناك . ولحقت بها حملة ثانية يقودها الصحابي البطل عكرمة بن أبي جهل المخزومي شهيد اليرموك وقدر بعضهم فرسانها ــ وكل جيشها فرسان ــ بخمسمائة وبعضهم بسبعمائة [٢] . ويقال أنها وصلت بعد انتهاء حدة القتال [٣] .

والحملة الثالثة وصلت من الشرق من بلاد مهرة بعد أن وطدت الامن فيها وكانت مضطربة أثر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

حصن النجير وأين يقع ؟

المشهور عن النجير أنه موضع معروف لدينا ويبعد عن تر يم إلى الشرق بنحو أربعة أميال ، وكان بعض الباحثين في تاريخ حضرموت يميل إلى انه النجير الذي في غرب حضرموت قرب العبر حيث تكثر كندة

وتتضاعف قوتها وشوكتها وأنها إنما تحصنت هناك ووقع بينها وبين الصحابة الاشتباك فيه . وعلى كل حال من الحالين ففي المكان المسمى بالنجير حصن عظيم ــ تحصنت فيه كندة وحاصرها الصحابة فيه بقطع طريق المواصلات إليها . هذا بالنسبة لمن

[٣]. أختلف المؤرخون في طلب المدد فمنهم من قال أنه طلبه من بدء الفتنة ومنهم من قال أنه طلبه بعد الاصطدام مع الأشعث .

[٤]. انظر البرد النعيم مخطوط للخطيب .

[٥]. نفس المصدر يقول أن عكرمة جاء بعد انتهاء القتال بأربعة أيام وحل نزاع بينه وبين المهاجر في الغنائم لأن المهاجر وصحبه لا يريدون لهم شيئا منها لعدم حضورهم الموقعة ولكن زياد أحاالهم على الخليفة فأمر لأصحاب عكرمة بنصيبهم ، وهذا مخالف لما يقوله محققو التاريخ من أن عكرمة حضر قتال النجير ــ ويمكن حمل السابق على أول القتال ــ وشاع في الأوساط التريمية أن عكرمة جاء مسرعا من اليمن ودخل بريم من طريق جبلية بشعب خيلة غرب تر يم ، وفي مناخ ابلهم ومرابط خيولهم بني مسجد الرباط الموجود اليوم والمنسوب إلى الشيخ سالم بافضل .

في الحصن من كندة أما مـن هـم خارجـه فقـد أرسـلت إلـيهم الـسرايا مـن الجـيش حتـى استسلموا و أسلموا .

كيف سقط حصن النجير في أيدي الصحابة ؟

بعد أن ألتحم الصحابة مع المرتدين و العصاة من كندة في موضع يقال له محجر الزرقـان [1] انهزمت كندة وتجمعت بعـد في حـصن الـنجير ، فـأحكم الجـيش الحـصار وضـيق علـى الحصن ومن فيه طبقا لخطة حربية وضعها قواده وكانت هنـاك ثـلاث طـرق تـؤدي إليـه فسدها الجيش ولم يكن بعد هذا بد لمن في الحصن من القتال أو التسليم ، فتعاقـدت كنـدة وشجع بعضهم بعضا على أن لا يفروا وباتوا به في حالـة اسـتعداد وبـات راجـزهم يرفـع عقيرته قائلا :

صباح سوء لبني قتيرة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وللأمير من بني المغيرة [2]

وخرجت كندة تقاتل ببسالة ، ولم يشر المؤرخون إلى وجود مفاوضات قبل القتال لإيجـاد تسوية آو توبة من العصاة الكنديين الذين شقوا عصى الطاعة وأرتد بعضهم عن الإسلام .

وكادت تدور الدائرة في المعركة الأولى على كندة ولكنها ما لبثت أن دخلت الحصن قتلاها وجرحاها .

و أخيرا وقد قطع المدد والأقوات وكثر فيها القتل فاوض الأشعث ابن قـيس اشـهر زعمـاء هذه الفتنة . ويقول بعض المؤرخين أنه نادى عكرمـة وطلـب منـه الأمـان فأمنـه مبـدئيا وأوصله إلى المهاجر بعد أن تم الأمر بينه وبينهم على ما يأتي :-

١. أن يفتح لهم باب الحصن ليستولوا عليه وعلى من فيه .
٢. عليهم أن يؤمنوا له عشرة نفر .

---

[1]. نسبة إلى رجل أسمه الزرقان يتحدث فيه مع قومه .

[2]. يعنون ببني قتيرة الصحابة ومن معهم . وقتيرة كلمة ذم كقترة وهي اسم حية خبيثة أو كنية لإبليس أو غيرهما ، والأمير من بني المغيرة هو المهاجر لا عكرمة وأن كان هو مغيريا من بني مخزوم القرشيين .

٣. يكتب لهو وثيقة بهذا .

لما كتب الكتاب وبدء تسجيل الأسماء وكانت كلها أسماء أقاربه ، لم يبق إلا العاشر وكان هواذا بمعدان ، ابن الأسود الكندي يهم بالبطش به وقد أخذ بحقوه وأشهر عليه شفرته ليقتله أو يسجل أسمه في تمام العشرة فسجله وترك نفسه .

وهكذا فتح الأشعث باب الحصن للجيش فدخله وقتل من فيه من المقاتلة ضربا أو صبرا وأسر النساء والأطفال ، وتقدر النساء بألف والأسرى ــ بهن ــ ستة آلاف .

ماذا كان مصير الأشعث في هذه الحرب

لقد كان الأشعث بن قيس ذا تقلبات وتلونات فقد عد أصحابه عمله هذا وتسليمه الحصن شريطة حصر الأمان في أقاربه غدرا وخيانة [١] ، وسواء صح غدره في هذه الواقعة أم لم يصح فأن التاريخ يحفظ له معايب عدة كعزمه اللحاق بمعاوية وعصيان الأمام علي بعد أن كتب له كتابا وهو عامل للخليفة عثمان على أذربيجان يقره فيه عمله، فهم بالمخالفة والعصيان لكن بعض العقلاء نصحه بأتباع الحق وترك الهوى وطاعة الأمام حتى أرعوى [٢] . ومرة أخرى هم بعناد الأمام علي وهو يخطب على منبر الكوفة فزجره الأمام وأنشد :

أصبحت قنا لراعي الضان يلعب بي

ماذا يريبك مني راعي الضان

وقد أتهم بأنه من الخوارج بل عده بعض المؤرخين منهم [٣] مع أنه أحد الذين يريدون الحكمين بين الأمام علي ومعاوية [٤] ولكنه فيما بعد لم يخرج من الخوارج ، فأن أسر رأيهم في نفسه فهو أول خارجي كندي .

---

[٣]. المؤرخون لم يفصلوا لنا الأسباب الداعية للأشعث بالتسليم ؟ وما الذي يعذره في عدم خطاب قومه ودعوتهم قبل المفاوضة وبعدها إلى ما ذكرنا ، حتى يسلموا وتسلم عائلاتهم لأن الإسلام لا يأسر إلا الكفار ومن بقي على كفره من المرتدين .

[٤]. تجد القضية مطولة في بعض كتب التاريخ ومنها : شرح النهج لابن أبي الحديد .

[٥]. انظر تاريخ الخميس في الموضوع .

[٦]. القضية مفصلة في كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير .

وإلى جانـب هـذا فللأشـعث مواقـف أخـرى مـشرفة كاشـتراكه في الفتوحـات الإسـلامية وكهجومه على جيش معاوية بصفين حتى أزاحهم عن موضـع المـاء الـذي اسـتولوا عليـه ومنعوا أصحاب الإمام من الشرب ، أزاحـهم عنـه و تولى عليه وبقي في قبضة جيش الإمـام علي الذي أباح الشرب منه لأعدائهم .

أما مصير الأشعث في هذه الحرب فقد هـم بقتلـه المهـاجر حـين لم يجـد أسمـه في قائمـة المؤمنين ولكن عكرمة طلب منه أن لا يتعجل بقتله وان يرسله مـع الـسبي إلى الخليفـة ، وكان عكرمة صهرا للأشعث فقد تزوج قتيلة بنت قيس بعد هذه الموقعة [1] . وبـالرغم مـن أن أمر الأشعث بين المهاجر كما يقول هو بمعنى أنه يستحق القتل فأنه رأى الأخذ بقول عكرمة القائد الآخر .

وفعلا أرسله مع السبايا يحرسهم الجيش العائد من حضرموت إلى المدينة .

مقابلته للخليفة

تربط الأشعث بالخليفة رابطة المصاهرة فقد تـزوج أخـت الخليفـة أم فـروة لمـا وفـد علـى رسول كما تقدم . ولهذا لما قابل الخليفة أخبره لأنه لم يرتد وطلب منـه زوجتـه وإطـلاق سراحه فأجابه الخليفة إلى هذا .

وهنا يستغرب موقف الأشعث حين يقول أنه شـح بمالـه ولم يرتـد مـع أن القائـد الآخـر المهاجر أستحل دمه ودم أمثاله وقتلهم فعلا . ولعل الأشعث تقلب وتلـون ، ومهمـا يكـن فقد تقدمت الإشارة إلى الخلاف في ردته .

---

[1]. انظر البرد النعيم للخطيب مخطوط .

وليمة الأشعث بالمدينة

لما عفا عنه الخليفة ورد عليه أهله وحقن دمه خرج إلى سوق الإبل بالمدينة وجعل يعرقبها [١] فذهل الناس وصاحوا : أرتد الأشعث ، فلم يلتفت إليهم وأستمر في عمله حتى عرقب جميع الإبل الموجودة ، ثم ألتفت الناس قائلا لهم :

(أني والله لم أرتد ولكن هذه وليمتي فيا أهل المدينة كلوا ويا أصحاب الإبل استلموا أثمانها . ولو كنا في بلادنا لكانت وليمة غير هذه) يريد أنها ستكون افخر وأعطم ، وقد صدق فيما يقول .

وعاشت أخت الخليفة مع قرينها الأشعث وولدت له عدة أولاد منهم محمد وأسحق .

من شهداء معركة النجير

أنك حين تدخل مقبرة تر يم وتقصد المنطقة الجنوبية الوسطى منها وتسمى زنبل تجد شرقيها حائطا صغيرا فيه عدد من القبور ، هذه هي قبور بعض الجرحى الذين حضروا موقعة النجير وجيء بهم إلى تر يم [٢] للعلاج فعاجلتهم المنية وكان دفنهم في الموضع الذي أشرنا إليه . وأوصل بعض مؤرخي الحضارم عدة البدريين بتريم إلى سبعين وعامة الصحابة الذين دخلوا حضرموت إلى ثلاثمائة .

وهناك صحابة آخرون فيما يشاع بحضرموت ، وهذا لا يستبعد ما دام هناك قتال قد حصل في كثير من أنحائها ، ومن الصحابة رضي الله عنهم شهداء في المعركة . بل أن من يقول بأن النجير هو النجير الغربي وليس هذا يحتمل أن يكون شهداء الصحابة بزنبل تر يم ــ إذا وافقناه على قوله ــ قد نقلوا إليها من معركة أخرى والله أعلم .

---

[٢]. يعرقبها أي يقطع عراقيبها حتى يمكن نحرها بسهولة .
[٣]. انظر المشرع وأمثاله .

عباد بن بشر الأنصاري

اصبح من المتواتر بين الأوساط الحضرمية وصول الصحابي الجليل عباد بن بشر الأوسي الخزرجي ووفاته شهيدا فيها على يد مانعي الزكاة الذين ضربوه بهراواتهم على رأسه حتى مات في قرية اللسك (القرية) أو قريبا منها دفن بأعلى الجبل المسمى جبل الغراب . وهناك بحضرموت الشرقية يقام له حفل سنوي (زيارة) تقرأ فيها مناقبه ويهتم بها في الأكثر خطباء تر يم الذين ينسبون إليه [١] .

وفي الصحابة رضي الله عنهم رجلان جليلان كلاهما يسمى عباد بن بشر وكلا هما أنصاري : أحدهما خزرجي قتل باليمامة في الواقعة التاريخية الشهيرة بين الصحابة وأتباعهم وبين مسيلمة وأتباعه ، والثاني أوسي وهذا هو شهيد الزكاة بحضرموت ويقال لهو الأوسي الخزرجي . ولا تعارض في هذا النسب ففي سلسلة نسبه من يسمى من أجداده الخزرج كما أن سلسلة قبيلة الخزرج من يسمى الأوس وأن كانت الغالبية في نسب الأنصار الوقوف على آخر من ينتمون إليه من أحد الجدين الأعليين . الأوس أو الخزرج .

أما كتابا الإصابة والاستيعاب وغيرهما من كتب السير فليس فيها هذا الإيضاح الذي أشرنا إليه . ولكنه هو المعروف والمتواتر بين أوسطنا الحضرمية [٢] .

---

[٤]. وهم يقومون إلى اليوم منذ ثمانية قرون بإلقاء خطب ابن نباته الشهيرة في الجمعة بتر يم خطب بليغة مؤثرة لولا أنه مناسب أن تعدل في بعض مواضيعها فتتناول كل النواحي الإجتماعية في هذا العصر الحديث . وقد قام الإمام الحداد في تثبيت الفؤاد : وللا الأدب مع السلف لا بدلت فيخطب ابن نباته . ولكلامه هذا تفسير سيأتي .

[١]. صاحب الاستيعاب لم يترجم إلا للأوسي وذكر أنه قتل يوم اليمامة شهيدا أما صاحب الإصابة فقد ترجم للاثنين وذكر استشهاد الأوسي بها أيضا فهل أشتبه عليه بالخزرجي ؟ وعلى كل ففي نسبه إلى الأوس والخزرج ما يحل الالتباس . نظر سيرة ابن هشام في نسب بني عبد الأشهل في من حضر بدرا ، وقد خطا صاحب برد النعيم من قال أن شهيد اليمامة هو الأوسي وحقق الموضوع بأدلة أخرى أوردها فيه فلينظرها من شاء.

الأثر الذي أحدثه وجود الصحابة ببلاد حضرموت

سبق أن سقنا مجمل الحوادث التي جرت بين الصحابة والمسلمين من الحضارم ضد العصاة والمرتدين بحضرموت وكلهم أو جلهم من كندة قبل أن تخضع لهم بهذه المثابة حتى أخضعوها [١] .

وهناك طرق سلمية كثيرة أستمال بها الصحابة أهل حضرموت فقد صاهروهم ، ومن أبرز من صاهرهم عكرمة بن أبي جهل الذي تزوج قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس [٢] التي قيل أن الرسول خطبها كما تقدم . وصاهر أبو بكر الأشعث بن قيس لنفس السبب .

كما أخذ من الحضارمة جمهور عن الصحابة أهل بحضرموت بعض العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وأحكام كعمرو بن ميمون الأودي الحضرمي صاحب معاذ بن جبل وتلميذه [٣] .

وإلى جانب هذا كله فقد تأثروا بآداب الصحابة وأخلاقهم العالية وشدة أيمانهم ونصيحتهم في سبيل المبدأ وغيرها من أمهات الأخلاق .

---

[٢]. مما يستغرب أن يذر البكري في كتابه تاريخ حضرموت السياسي أنه قد كان من المنتظر أن تجتمع ملوك كندة للانتقام من زياد وأنهم لو قاتلوا المهاجر لقضوا عليه وعلى جيشه الخ فهذا لا ينسجم مع التاريخ ولا مع الإنصاف .

[٣]. انظر البرد النعيم مخطوط .

٤. انظر الشامل للحداد في موضوع نزول معاذ بن جبل .

٥. يظهر هذا من ثنايا كتب التاريخ ومنها كتاب العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان والإذواء جمع ذو ، وهم أقل شأنا ممن الأقيال وللإذواء نفوذ محاجرهم وبين اتباعهم وعشيرتهم .

حضرموت تتمسك بأهداب الطاعة

طيلة قرن كامل وربع قرن تقريبا

بعد أن رسخ في حضرموت الإسلام وتأثر أهلها بالصحابة كما تقدم بقي الحضارمة كأخوانهم من جمهور البلاد العربية والإسلامية هادئين مطيعين لأمرائهم وخلفائهم لم يشقوا عصا الطاعة ولم يقوموا بفتنة تذكر ، بالرغم من وجود زعماء وإذواء بها في هذا الدور كله [١] ، ولكنهم مشغولون بما هم فيه من جهاد خارجي وإصلاح داخلي . وكان أميرها يصلها إما من مركز الخلافة مباشرة أو بالنيابة عن عامل اليمن بوصفها مقاطعة (مخلافا) من مقاطعاته (مخاليفه) منذ الحروب المسماة حروب الردة التي تكلمنا عنها ، حتى خروج عبدالله بن يحيى الكندي سنة ١٢٩هـ في أواخر خلافة بني أمية التي اضمحلت سنة ١٣٣هـ .

الحياة الاجتماعية بحضرموت بعد دخولها الإسلام حتى العهد الأباضي

لقد انقلبت حضرموت انقلابا تقدميا عظيما بدخولها الإسلام كما انقلبت جميع البلاد العربية إلى حياة إسلامية منظمة فزالت الفوضى الضاربة إطنابها وتوقفت الغارات وحروب النهب وما يترتب عليها من أضرار والأخذ بالثأر ومقدماته وكسرت الأوثان ومعابد الأصنام ومنعت الخمور وتلاشى الفجور وطبقت التعاليم الإسلامية وصار الناس يجتمعون في مواضع الصلوات والجمع والزينات وأنتشر الأمان فازداد العمران واتسعت رقعة الزراعة وتحسنت الصنائع خصوصا النسيج وكانت النساء يشتغلن خارجا وفي

٦. أسمه كليب بن سعد وهو معد ورد في الصحابة وأسم أمه مهناة وكليب شاعر مدح الرسول بقصيدة أنشدها له وهو مذكور في بعض كتب التاريخ .

بيوتهن و يغزلن ويتنافسن في جودة النسيج وقد أهدى أحد الحضارمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسوة من صنع أمه حين قابله بالمدينة وأسلم على يديه وطلب لأمه ولنفسه الدعاء منه [١] .

بالمدينة وأسلم على يديه وطلب لأمه ولنفسه الدعاء منه [٢] . وكان الملوك والأمراء المترفون في ذلك العهد والأغنياء ينتقون البرود والحبر الحضرمية كما ينتقون الأطياب الحضرمية أيضا، وتثقفت عقول الحضارمة كغيرهم من أبناء العرب بالتعاليم الإسلامية فكان علماء الصحابة كزياد بن لبيد ومعاذ بن جبل ومن بعدهم يعلمونهم ويلقنونهم أيها في خطبهم ومواعظهم ومجالسهم الخاصة ، ونشطت الحركة الأدبية فأرتفع مستوى البلاغة في خطبهم وأشعارهم ، ونظم شعراء الحضارم القصائد الطنانة وقصدوا العواصم الإسلامية ومنها المدينة ، ثم دمشق ، لمقابلة الرسول والخليفة ومن أبرزهم أمرؤ القيس بن عانس وخيار بن أبي أوفي النهدي .

وعم العدل والرفاهية بتوزيع الزكاة توزيعا عادلا على المستحقين وبما يتحصّلون عليه من غنائم في غزواتهم حيث غزا الحضارم مع إخوانهم المسلمين وهم ألوف مؤلفة إلى فارس والروم ومصر والجزائر وغيرهم من أفريقية ثم يعودون بتلك الغنائم فيوسعون بها على أنفسهم وأهلهم و بنيهم في وطنهم.

وهكذا وحد الإسلام قوى القبائل الحضرمية العربية فوجهها إلى الكفاح والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وحفظ الكيان العربي و الإسلامي بدلا عما كانت موجهة ضد بعضها بعضا .

وظهر فيهم القواد والفاتحون عبر للبلاد كالأشعث بن قيس الكندي المرشح لفتح نهاوند وفاتح أذربيجان وأميرها والثوار ضد الملوك والأمراء أمثال التجيبي المشارك في قتل الخليفة عثمان بن عفان ــ وكالتجيبي قاتل أبن الزبير وكمعاوية بن خديج التجيبي

المدبر لقتل محمد بن أبي بكر الصديق عامل الأمام علي على مصر وفيهم من تولى مناصب رفيعة في دولة الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين كالقضاة وإدارة الشرطة وغيرهما[1]

.

وبالرغم من أن قوى العرب المسلمين متحدة تأثر الحضارمة بالمذاهب الإسلامية والأهواء السياسية الداخلية والخارجية .

وهكذا حدثنا التاريخ الإسلامي عن مدى تأثر الحضارمة بالمذاهب والنحل الإسلامية، والأهواء السياسية التي ظهرت بشكل واضح بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان كغيرهم من إخوانهم العرب و المسلمين فنجد فيهم الناصبي والشيعي والخارجي والسني ممن هو أموي النزعة أو عباسيها أو علويها ، بل قد يكونوا أبناء عم من أسرة واحدة وهذا ناصبي وذاك شيعي ، مثلا ، وذاك سني وهذا خارجي أباضي .

ولهذا شاركوا فعلا في جميع الحروب والإصطدامات بين الأطراف و الأسر القرشية المتنازعة على الملك من أمويين وعباسيين وعلويين [1] .

وقد كان لهذه التصرفات مع الأسف الشديد الأثر الفعال في تراجع الدول العربية الإسلامية المنشودة التي نادت بها التعاليم الإسلامية وخاطبنا بها القرآن الكريم حين يقول : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) . وبحكم الاتصال بين حضارمة المهجر والوطن في هذا العهد فقد سرى من الأولين على الآخرين جميع هذه المذاهب والنحل والأهواء السياسية فوجدت في البلاد وبين أبناء البلاد . وطبيعي أن يتغلب الأصلح للبقاء والمؤيدون من فبل الأقوياء ، وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع الذي يتكرر في الأدوار اللاحقة .

ومنهم من أقام خارج حضرموت وأستقل بحارة خاصة ببعض البلاد العربية الإسلامية كحارة كندة في الكوفة [1] وفي الفسطاط وغيرهما كما ذكرته التواريخ الإسلامية وبقي متصلا

---

[1]. هؤلاء المشار إليهم يعدون حضارمة أما بمولدهم ونشأتهم أو بقرب عهدهم وصلاتهم بحضرموت . انظر جني الشماريخ للحداد

[2]. انظر جني الشماريخ للحداد .

ببلاده وشعبه يواصلهم شأن الجاليات التي تهاجر من بلادها على الخارج وهكذا كانوا حتى طال عليهم المدى واندمجوا في أهل البلاد التي هاجروا إليها .

ونجد كثيرا ممن في البلاد الأخرى ممن هو من أصل حضرمي ذا شهرة في التاريخ كعبد الرحمن بن الأشعث بن قيس من طبقة التابعين في العراق وقد قام سنة ٧٠ هـ بثورته الشهيرة في التاريخ ضد الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك بن مروان على العراق ، وقضاة مصر التسعة في الدولة الأموية .

قال الشاعر :

لقد ولي القضاء بكل أرض	**من الغر الحـــــضارمة الكرام**
رجال ليس مثلهم رجال	**من الصيد الجحاجحة الضخام**

وقال :

يا حضرموت هنيئا ما خصصت به	**من الحكومة بين العجم والعرب**
في الجاهلية والإسلام تعرفه	**أهل الرواية والتفتيش والطلب[٢]**

ويقال أن من هذه الجاليات المتنبي أحمد بن الحسين الشاعر الحكيم الشهير فهو جعفي حضرمي الأصل ، وقد توفي سنة ٣٥٤ هجرية وابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ١٤٠٦ م وسنة ٨٠٩ هـ .

---

[٣]. يقال الكندي نسبة إلى محلة كندة بالكوفة لا إلى قبيلة كندة كما ظن البعض . انظر أبن خلكان وما قيل من أنه حضرمي الأصل لعل أصله من الجعفيين الحضارمة كما سيأتي قريبا .

[٤]. انظر المشرع .

الأحكام والمحاكم

تصدر الأحكام طبق الشرعي الإسلامي كبقية الأقطار الإسلامية ويستنبطها العامل أو مساعده من الكتاب (القرآن) والسنة ثم يجتهد فيما لا يجده فيهما ، وينطق الحكم وينفذه إذ في يده السلطة التنفيذية آو القضائية . وللعامل سلطة واسعة وصلاحية لا تكاد تحدد ويرجع فيما يفشل فيه وما لا يهتدي أليه إلى الرسول ثم الخليفة في العاصمة كما يرجع أليه في الأمور الخطيرة .

أزياؤهم

يستعملون العمائم بأشكالها والجبب والحلل والأزر والبرود والسراويل ومنهم من يكتفي بالبعض منها خصوصا سكان البوادي ، أما ميسور الحال فقد يجمع بينها كلها . وتفصل غالبا من الأقمشة المتنوعة، وقد تتخذ في فصل الشتاء من أدم الأنعام المدبوغة دبغا جيدا بأوبارها وأصوافها [1] .

ومما تستعمله النساء الخمّر والبراقع على رؤوسهن كما يستعملن الفساتين على أجسادهن وتختلف شكلا عن الفساتين العصرية ويستعملن المروط [2] ويتحلين بالعقود حول أعناقهم والأقراط في آذانهم والدمالج في معاصمهن والمناطق في خصورهن والخلاخل في أرجلهن وكثير منهن لم يزلن سافرات [3] .

---

[1]. وإلى اليوم يأتي بعض أفراد العشائر الحضرمية إلى المدن لا بسين الجلود .

[2]. المروط جمع مرط وهو ثوب غير مخيط .

[3]. كنساء الطوائف الكادحة ، وفيما قبل هذا الدور هن ما بين سافرات ومتبرجات وقد نزلت فيهن الآية الشريفة : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

المرأة الحضرمية في هذا الدور

والمرأة الحضرمية وفية لزوجها ، ومنهن من يأخذها زوجها في هجرته أو غزوته للجهاد ، ومنهن من تبقى في بلادها ، وتقوم بتربية أولادها وتدبير منزلها ، وأعداد الطعام والمشاركة في الزراعة والصناعة مع الرجل وصيانة نفسها ومال زوجها ، وقد تمر عليها السنون العديدة وهي راضية صابرة ، ولكن لم تصل غيبة الأزواج للحد الذي وصلته الآن من انقطاع بعض الأزواج عشرات السنين في الخارج حتى تشيب زوجته ويشب أولاده وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه ، وهذا خطأ اجتماعي كبير يأباه الشرع والعروبة والإنسانية .

وقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن لا يغيب الزوج عن زوجته أكثر من أربعة أشهر حسب الممكن كتب على قواده بتطبيق هذا الأمر على أفراد الجيش ، وكان الباعث على هذا القضية المرأة التي سمعها تغني :

تطاول هذا الليل وازور جانبه	وليس جنبي خليل ألا عبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه	لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يردني	وإكرام بعلي كي تصان مراتبه[1]

[٤]. وتروي هذه الأبيات في كتب الأدب بألفاظ مختلفة والغاية واحدة .

أمانة الحضرمي

والحضرمي على العموم معروف أكثر من غيره بالأمانة ، ويكفي الحضارمة شاهدا فيها ما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من اتصافهم بها
أما نواحي حياتهم الأخرى فلا يكادون يختلفون فيها عن سائر أخوانهم العرب .

بعض الشخصيات اللامعة في ذلك العهد

وائل بن حجر الحضرمي

هذه الشخصية الكبيرة لها مكانتها في الجاهلية والإسلام ، فأما في الجاهلية فلأنها سلالة ملوك توارثت الملك وتقاليده عن آبائها بحضرموتع ، وقد أخطأ بعض المعاصرين إذ ابدل أسمه بأسم أبيه وقال أنه ملك تر يم [١] .
وقد بمفرده على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فأسلم ، ويقال أنه أول وافد من حضرموت إلى المدينة وقد بشر النبي به أصحابه قائلا : (يأتيكم بقية أبناء الملوك) قبل مقدمه مما يدل على اهتمام الرسول به ومرة أخرى قال : هذا وائل سيد الأقيال .
ومن المعلوم أن استقباله بالمدينة كان استقبالا حارا إلى درجة أن الرسول بسط له رداءه حتى لا يجلس على الأرض واصعده على منبره ودعا له ولنسله بالبركة إلى يوم القيامة ،

---

[١]. البعض هو صلاح البكري في كتابه المسمى (في جنوب الجزيرة العربية) ولم ندر من أين مصدره في هذا وأمثاله مما يأتي بعضه عند المناسبة على المعروف عن وائل أنه ملك بعض القطاعات الساحلية والقطاعات المتعلقة بشبوة ، فالخطأ في الاسم وفي المملكة .

ومنهم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي صاحب المقدمة الشهيرة وغيرها من الكتب ، وله أراء صائبة في التاريخ تفرد بها وقد سبق له ذكر .

كتب الرسول لوائل ثلاثة كتب [١] ومن أشهرها كتابه الطويل المتضمن بعض أصول الأحكام الشرعية الذي يقول فيها الأقيال العباهلة [٢] ولغته حميرية . ولعل ذلك يرجع إلى الرواة الذي يستعملونها فرووا كتاب النبي بالمعنى ، لأنها تعد غريبة الألفاظ بالقياس على كتب النبي الأخرى ويمكن أن يكون خاطبه بها لأنه يخاطب كلا بلغته ولعل الأول أقرب .

وقد أقره الرسول على ما ورثه من ملك تقليدي أو أمارة تقليدية عن أهله كما هي عادته صلى الله عليه وآله وسلم ، أن يبقى عليها بادي ذي بدء ما دام يخضع لحكم الإسلام ويلتزم مبادئه .

صنم وائل بن حجر

ويذكر العلامة المؤرخ السيد أحمد دحلان في سيرته عن وائل انه قال : وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لي صنم من العقيق [٣] فبينما أنا نائم في الظهيرة إذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم وسجدت بين يديه وإذا قائل يقول :

واعجبا لوائل ابن حجر   يخال يدري وهو ليس يدري

ماذا يرجى من نحيت صخر   ليس بذي نفع ولا ذي ضر

ولو كان ذا حجر أطاع أمري

---

[٢]. انظر كتب السير وترجمته في الإصابة والاستيعاب .

[٣]. جمع عبهل بالباء الموحدة والعباهل طائفة من الأقيال . انظر كتاب العرب قبل الإسلام . وزاد بعضهم بأنهم الملوك الذين أقروا على ملكهم .

٤. ُجدت في ذلك العهد وغيره كثير من أنواع الحجارة الكريمة بحضرموت ومنها العقيق الفاخر انظر حضارة العرب لغستاف لوبون .

قال : فقلت أيها الهاتف الناصح فما تأمرني ، فقال :

أرحل يثرب ذات النخل تدين دين الصائم المصلي

محمد النبي خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فأن دقت عنقه فقمت أليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد ... الحديث .

وتستخرج من هذه الرواية مدى تفنن العرب في صنع الأصنام واستثارهم بها ومن الممكن أن يتأول هذا الهاتف بأنه أحد الأشخاص المؤمنين أختبأ خارج المخدع أو داخله ، وخاطب وائلا بما خاطبه ليجعل ذلك وسيلة إسلامه .

بماذا اشتهر هذا الصحابي رضي اللّه عنه

أما في الجاهلية فهو كأمثاله من أمراء ومشائخ حضرموت والبلاد العربية كثير الاعتزاز بأرستقراطيته وسلطانه وأمجاده وله فضائله في جاهليته من قرى الضيف وحماية الجار ورفع شأن القبيلة .

الزجر

ووائل رضي الله عنه زاجر في الجاهلية وقد يستعمل الزجر بعد إسلامه [1] كما أعتاده في جاهليته ، والزجر بمعناه القيافة من علوم العرب كالكهانة [2] والمراد به زجر الطير أو الوحش أو إطارته أو تجفيله ، وملاحظة الناحية التي يسلكها والهيئة التي عليها ليبني على ذلك تفاؤله أو تشاؤمه . فال الميت ابن زيد في بائيته الشهيرة :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه ‏ ‏ ‏ ‏ أطار الغرب أم تحرك ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية ‏ ‏ ‏ ‏ أمر سليم القرن أم مر أعضب

وقد يصدق الزاجر فيما يقول كما قد يصدق الكاهن زلعل ذلك من قبيل الإيحاء النفسي آو الصدفة ولكن لما جاء الإسلام نهى عن ذلك وأبقى بعض علومهم التي لها دخل في الطب والاختبار كالقيافة ، وهي معرفة النسب بالدم والملامح ، وقد اختصت بها بعض قبائل العرب كبني مدلج .

وائل بعد إسلامه

وبعد اعتناقه الإسلام وتمكنه فيه لم ير نفسه إلا فردا كغيره من أفراد المسلمين وأضاف إلى عزته في الجاهلية نزاهة وعزة إسلامية وغيرة على الحق وجهادا في سبيله ، فانتقل من حضرموت غازيا في سبيل نشر العقيدة العدالة الإسلاميتين ، ونزل الكوفة ، وكان في صف حجر بن عدي الكندي الشهير والشهيد الذي قتله معاوية أول ملك في الإسلام بعد الخلفاء الراشدين . وذلك لأن حجر رضي الله عنه كان يعارض عامل معاوية نائبه على الكوفة في لعن الأمام علي بن أبي طالب على المنبر وفي تأخير الصلوات عن وقتها ،

---

[1]. روى له صاحب الاستيعاب قصة الزجر مع زياد بن أبيه فأنظر ها هناك أن شئت .

[2]. على اليوم لا تزال بعض القبائل البدوية يتكهن أفراد منها بواسطة لون السحب أو خطوط الكف أو عظم كتف الشاة بعد أكله فيصدقون في ذلك أحيانا .

وإضاعة الوقت من العامل ، والتشفي بلسانه على المنبر من خيار الأموات والحقد عليهم وفي مقدمتهم رحمهم الله الأمام علي رضي الله عنه.

كما أنقد فساد الحكم إذ ذاك مما أدى على إلقاء القبض على حجر المشار أليه ، ومعه بضع عشرة رجلا من أنصاره ومعتنقي مذهبه ، ومنهم المترجم له ، وأرسلوا إلى معاوية بالشام فقتل حجرا رحمه الله وبعض أصحابه وضج الرأي العام الإسلامي لقتلهم إذ ذاك ، وأطلق البعض ومنهم وائل المترجم له وتوفي بعد مدة قريبة من هذه الحادثة رحمه الله .

محاورته مع معاوية

كان للمترجم له مع معاوية محاورتان متعاكستان فالمحاورة الأولى وقعت بالمدينة وذلك لما وفد وائل إلى المدينة وأعد له منزل خاص ينزل فيه في حرة المدينة وأشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية بأن يرشده إلى نزله ، وكان حر الرمضاء شديدا والمنزل بعيد في ضاحية المدينة ووائل راكب ناقته ومعاوية راجل حاف فما وسعه إلا أن يطلب من وائل أن يعطيه نعليه لتمنع عنه الرمضاء ، فأجابه وائل الذي لا يزال قريب عهد بالجاهلية معجبا بأبهة الإمارة الموروثة بأنه يخشى أن يبلغ أهل اليمن بأن سوقة مثل معاوية في نظره إذ ذاك ، لبس نعل أحد أقيالهم يعني نفسه . فخاطبه في أن يردفه فأجابه معتزا بنفسه بأنه ليس من أرداف الملوك وإنما يكفيه أن يسير بمعيته في ظل ناقته ، وهكذا صبر معاوية على هذا الضيف الكريم وربما كان ثقيلا في نظره .

وأما المحاورة الثانية فقد جرت بدمشق ومعاوية ملك قد تولى الخلافة ، ووائل فرد من أفراد الشعب وقد ذاق حلاوة الإسلام ، فسلم على معاوية فاستقبله معاوية أحسن استقبال وقدم له جائزة فاعتذر عن قبولها بأن في المسلمين من هو أحق بها وأحوج أليها

منه . وهذا إنما يدل عن نزاهته وعفته . وتذكر قضية الحرة القديمة وود لو أنه أركب معاوية على ناقته إذ ذاك .

قيسبة بن كلثوم السكوني
فارس الحضرميين في فتوحات مصر

نشأ قيسبة هذا في أسرة نبيلة لها رياستها على قبيلة السكون الكندية والرجل منذ نشأته ذو وازع ديني ويميل إلى التحنث والعبادة . وكان في جاهليته متمسكا بعبادة الأصنام وزيارتها ولكنه فيما بعد انتشار الإسلام بحضرموت وعاه حق الوعي وأعتنقه وصار من كبار الفرسان المجاهدين في سبيله . وكان أحد قادة الحضارم في فتح مصر عام ٢٠هجرية ، ومما حواه من الغنائم قصر الشمع بمصر القديمة ولكنه لحبه الخير تنازل فيما بعد عنه للمصلحة العامة ، فهدم وبني في موضعه مسجد عمروا بن العاص الشهير .

منزلته بين قومه ومواطنيه

حاز قيسبة ثقة كبيرة بينهم لما فيه من حسن الخلال ومن أهمها الشجاعة والاستقامة وحب الخير ، ويعد من أبرز فرسان وشعراء حضرموت إذ ذاك ، وكثيرا ما تقترن الفروسية بال شعر عند سادة العرب .
ولما توجه في جاهليته إلى الحجاز لزيارة الكعبة الشريفة بمفرده تعرضت له قبيلة بني عقيل في واقعة يسوقها لنا أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني بأسلوب جميل ، ونستنبط منها فوائد اجتماعية كثيرة عن ذلك العهد فلنتركه يتحدث كما يقول فيما يلي :

خرج قيسبة بن كلثوم السكوني ، وكان ملكا يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية ، فلا يعرض بعضها لبعض فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، والقوه في القيد فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن أن الجن استطارته . فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم إذ قال لها أتأذنين لي أن آتي الأكمة فاتشرق عليها فقد اضر بي القر فقالت له نعم ، وكانت عليه جبة له حبرة لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى . ثم رفع طرفه إلى السماء وقال اللهم ساكن السماء فرج فيما أصبحت فيه ! فبينما هو كذلك إذ عرض له راكب يسير فأشار أليه أن أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هذا ؟ قال :

أين تريد ، قال اليمن ، قال ومن أنت ، قال أبو الطمحان القيني ، فاستعبر باكيا فقال له أبو الطمحان ومن أنت فأني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك وأنت بدار ليس فيها ملك ، قال أنا قيسبة بن كلثوم السكوني ، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب علي هذا الحي فصنعوا بي ما ترى وكشف عن أغلاله وقيوده . واستعبر أبو الطمحان فقال له فقال له قيسبة هل لك في مائة ناقة حمراء ، قال ما أحوجني إلى ذلك ! قال فأنخ ، فأناخ . فقال له أمعك سكين قال نعم . قال أرفع لي عن رحلك فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة المؤخرة وكتب عليها قيسبة بالسند وليس يكتب به غير أهل اليمن .

بلغا كندة الملوك جميعا	حيث سارت بالأكرمين الرجال
أن ردوا العين بالخميس عجالا	وأصدروا عنه والروايا ثقـــال
هزئت جارتي وقالت عجيبا	إذ رأتني في جيدي الأغلال
أن تريني عاري العظام أسيرا	قد عراني تضـــعضع واختلال
فلقد أقدم الكتيبة بالســـــيـف	علــــي الـــسلاح والسر بال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمحان مائة ناقة ثم قال له : أقرئ هذا قومي فأنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به ناقته حتى أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوايجه

، ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكران قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له يا هذا أني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل قال له فهي لك فكشف له الرحل فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ، ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس فقال له : يا هذا أن أخي في بني عقيل أسير ، فسر معي بقومك ، فقال له أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك وإلا فامض راشدا فقال له الجون مس السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خيرته . وضجت السكون ثم فاؤوا ورجعوا وقالوا له وما عليك من هذا ! هو أبن عمك ويطلب لك بثأرك فأنعم له بذلك ، وسار القيس وسار الجون بعد تحت لواء كندة ، والسكون [1] معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة وأستنقذ قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي :

لا تشتمونا أن جلبنا لكم	الفي كميت كلها سلهبه [2]
نحن [3] ابلنا الخيل في أرضكم	حتى أسرنا منكم قيسبة
و اعترضت من دونهم مذحج	فصادوا من خيلنا مشغبه

توفي في العقد الرابع من الهجرة

[1]. من المعلوم أن السكون قبيلة من كندة ولكنها تنفرد بنفسها لكثرة رجالها بالنسبة لقبائل كندة الأخرى

[2]. أي طويلة .

[3]. لعله مستعار من إبل الإبل إذا أحسن سياستها .

أمرؤ القيس بن عانس الصحابي الشاعر المشهور [١]

هو كندي حضرمي ، ويقال أن مسقط رأسه تر يم ، وقد اشتهر بمتانة العقيدة العربية الإسلامية لديه وثباته عليها ، ووعيه للإسلام ،وتعاليمه السامية ، ولهذا أنكر على الأشعث ردته ، فهو من الأفراد القلائل الذين جمعوا في ذلك العهد بحضرموت بين فقه الإسلام والتضحية في سبيله وبين الأمجاد القومية التي تلائمه ولهذا فهو فارس مقارع ومطواع لما عليه أحكام الإسلام وأوامره .

منازعته مع ربيعة بن عيدان الحضرمي

وقد تنازع مع ربيعة بن عيدان [٢] في أرض حضرموت ولعل أسمها المحترقة [٣] وقال بعضهم [٤] هي بير [٥] عند القرية المساة أنف خطم تدعى بحيرة [٦] وذلك بالجبل المقابل لجبل الغرفة السرير واختلفت الروايات في أيهما المستولي عليها وأيهما الداخل وأيهما الخارج ، والمشهور أن صاحبنا امرأ القيس هو الداخل أي المدعي عليه . ولما كان الحال بحضرموت قد تبدل من الجاهلية إلى الإسلام لم يسع الاثنين بعد أن استعصى التوفيق بينهما بحضرموت إلا أن يذهبا إلى المدينة عند الحكم الأخير محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فقدم كل ما عنده وصدر الحكم طبق القاعدة القضائية الشهيرة وهي : البينة على المدعي واليمين على من أنكر . ولم تكن مع خصيمه بيّنة بما يدعي فحلف أمرؤ القيس وبقيت أرضه تحت يده . وفي رواية صحيحة أنه جرى ما يأتي :

---

[١]. عانس بالنون كما في المشرع .
[٢]. بالياء المثناه .
[٣]. أرض معروفة بحضرموت الوسطى قرب الغرفة .
[٤]. انظر البرد النعيم مخطوط .
[٥]. بمعنى البستان أو المزرعة .
[٦]. بالتصغير .

ربيعة يقول للرسول لما حكم على امرئ القيس باليمين ــ أن حلف ذهب بأرضي ؟ والرسول يجيبه ــ من حلف على يمين كاذبة يقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان .

أمرؤ القيس : فما على من تركها وهـو يعلم أنه محق ؟

الرسول : الجنة .

أمرؤ القيس : إني أشهدك أني قد تركتها .

وهكذا ضحى أمرؤ القيس بأرضه من أجل الجنة من غير أن يطلب منه شيئا [١] .

وعادا وقد تم الفصل بينهما بهذا . وذلك في آخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما شجاعته فقد عرفت عنه بما أبلى به في حروب الردة مع المسلمين وفي صف جيش الخليفة وقد قاتل عن وعي إسلامي كما قلنا وإيمان متين ، ولهذا لم يبال بقتال أقاربه من كندة ومواطنيه ، وكان ضابطا يوم اليرموك على كردوس [٢] من كراديس الجيش .

قضيته مع عمه وتضحيته في سبيل المبدأ

ولما كان عمه في الصف الآخر مع العصاة ضد جيش الخليفة هجم عليه أمرؤ القيس ليقتله ، وجرت بينهما محاورة ومصاولة ، فقد قال له عمه أتقتلني وأنا عمك فأجابه بأنه يضحي به وبما عز عليه في سبيل الله .

وقد تكررت مثل هذه الواقعة في صدر الإسلام بين أصحاب الرسول وأقربائهم . كما جرت بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن وبين عمر وأخيه ضرار ،÷ وبين أبي عبيدة وأبيه الجراح ، كما يجري بين أصحاب المبادئ وبين أعدائهم من أقاربهم في جميع العهود البشرية إلى اليوم .

والتاريخ يثبت لنا أن امرأ القيس قتل عمه مباشرة في سبيل المبدأ .

---

[٧]. هل لنا أن نجمع بين الروايتين بأن حلف ثم تركها أي الأرض ؟

[٨] الكردوس فصيلة من الجيش فيها نحو عشرين مقاتل .

شعره

وشعره بليغ سلسل متداول ومنه ما يحرض به قومه على الإسلام ومن أشهره قوله وكأنه يرثي نقسه :

قف بالديار وقوف حابس — وتأن أنك غير آنس
لعبت بهن العاصفــات — الرائحات إلى الروامس
ملذا عليك من الوقوف — بـهامد الطللين دارس
يارب باكية عــــلي — ومنشد لي في المجالس
أو قائل يا فارســــا — ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا أن تسمعوا — هلك أمرؤ القيس بن عانس

وقد قلده أبو فراس الحمداني حين يقول :

زين الشباب أبو فراس — لم يمتع بالشبـــاب

ومن شعره هذان البيتان اللذان كتبهما لسيدنا أبي بكر في حروب الردة

إلا أبلغ أبا بكر رسولا [1] — وبلغها جميع المسلمينا
فليس مجاورا بيتي بيوتا — بما قال النبي مكذبينا

ومن شعره الغزلي و الفخري قوله من قصيدة مطلعها :

تطاول ليلك بالاثمد — ونام الخلي ولم ترقد

---

[1]. بمعنى رسالة .

ثم قال :

وباتت وبتا لهو ليلة　　　كليلة ذي العاثر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني　　　وأنبئته عن بني الأسود

ولو جاءني نبأ غيره　　　وجرح اللسان كجرح اليد

لقلبت في القول ما لا يزا　　　ل يؤثر عني يد المسند

بأي علاقتنا ترغبون　　　عن دم عمرو على مرثد

فأن تدفنوا الداء لم نخفه　　　وأن تبعثوا الداء لم نقعد

وأن تقتلونا نقا تلكموا　　　وأن تقصدوا لدم نقصد

على عهدنا بطعان الكماة　　　والمجد والحمد والسؤدد

وبي القباب وملء الجفان　　　والنار والحطب الموقد

وتوفي في العقد الثالث من الهجرة .

المقنع الكندي

هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي ، قالوا ولقب بالمقنع لأنه يضع قناعا على وجهه في المواسم العامة التي تجمع الجنسين من العرب حتى لا تفتتن به النساء ، ولأنه يخشى إذا أسفر عن وجهه وتأمله الناس أن يصاب بالعين لفرط جماله المدهش ، وكان من أسرة كندية حضرمية ذات رئاسة وسؤدد . وكان المقنع أبرزها ولكنه لما أتلف أمواله وجدت الأسرة فيه نقطة ضعف ، فرفض أن يزوجه ابنا عمه لما خطب أختهم رغم ما فيه من الصفات الحميدة الأخرى ، فتألم منهم ولم يتراجع عن سخائه .

والرجل مثال الشهامة والنبل والأريحية العربية على درجة أنه لا يرد سائلا عن عطاياه حتى أتلف جميع ماله وركبته الديون فهو من الأجواد القلائل الذين تضرب بهم العرب المثل في الكرم أمثال حاتم الطائي الشهير .

وهذه الشخصيات لا يخلو عنها عصر من عصور العرب حتى اليوم وهي لا تستطيع أن تتحول عن مألوفها لما جبلت عليه ونشأت من السماحة والجود ، فهي لا تجعل للمال اعتبارا حين توازن بينه و بين حسن السمعة ونباهة الذكر ورجاء الثواب ، وفيها مناعة واحتمال لحالات البؤس والفقر التي تنتابها أحيانا نتيجة هذا الكرم .

من أجل هذا لم يفد في المقنع عتب أقاربه ، ولا انتقاد بعض عظماء زمانه عليه ، وإنما ذهب لطيبته يجود بما يحصل معه حتى عير ــ بكرمه الطبيعي ــ بخلاء عصره ، فهذا عبد الملك بن مروان يوجه سؤالا في ندوته قائلا للحاضرين أي الشعراء أفضل فقال أحدهم معرضا ببخل عبد الملك أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول :

أني أحرض أهل البخل كلهم ... لو كان ينفع أهل البخل تحريضي

ما قل مالي إلا زادني كرما ... حتى يكون برزق الله تعويضي

والمال يرفع من لولا دراهمه ... أمسى يقلب فينا طرف مخفوض

لن تخرج البيض عفوا من أكفهم ... إلا على وجع منهم و تمريض

كأنها من جلود الباخلين بها ... عند النوائب تخذى بالمقاريض

فأجاب عبد الملك بعدما سمع هذا الشعر وعرف ما يراد به الله أصدق من المقنع حيث يقول : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) ، ولكن عبد الملك نفسه لم يتحل بهذه الآية التي هي أساس من أسس الاقتصاد فهو يعد من البخلاء كما يروي التاريخ . وصاحبنا المقنع ذو قامة مديدة وتقاطيع جميلة ووجه مشرق وخلق نبيل وكرم فائق كما ذكرنا ولو كانت تقام في أسواق العرب معارض للجمال ولأصحاب الأجسام الرياضية لكان صاحبنا

المقنع في المقدمة آو الفائز الأول بالجائزة [1] ويعد في طليعة شعراء العهد الأموي وكأنما نشاهده ماثلا أمامنا حين يصف حالته النفسية ويدلي بحجته في إتلاف ماله ، ويوازن بينه وبين بني عمه . وهو يقول في هذه الأبيات التي سارت مسير الركبان في ذلك العهد وإلى اليوم :

وغن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

فما أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد

وليسوا إلى نصري سراعا وأن هم دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وأن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

يعاتبني في الدين قومي إنما تدينت في أشياء تكسبهم حمدا

ومما ينسب إليه هذه الأبيات الوعظية :

نزل المشيب فأين تذهب بعده

هلا أر عويت وحان منك الرحيل

كان الشباب خفيفة أيـــا مه

والشيب محمله علي ثقيـــــــل

ليس العطاء من الفضول سماحة

حتى تجود وما لديك قليـــــــل

كانت وفاته رحمه الله في أواخر الدولة الأموية وذلك في العقد الثالث من القرن الهجري الثاني .

---

[1]. قال في الأغاني أن ثلاثة من العرب يقنعون وجوههم في مواسم العرب لئلا تفتتن بهم النساء وهم المقنع الكندي ، و وضحا اليمن ، وأبو زبيد الطائي .

الدور الأباضي

من سنة ١٢٩ إلى سنة ٥٩١ هـ [١]

وإنما نسبنا هذا الدور على الأباضية مع أن سلطتهم فيه ما بين مد وجزر حتى تكاد تنعدم أحيانا لأن دولتهم عاشت فيه ما بين قوة وضعف أكثر من غيرها مع وجود سلطات أخرى غيرهم ، وهذا الدور هو الدور الغامض المشغول أكثره من تاريخ حضرموت المفصل ، وذلك لعدم وجود المصادر فيه أو لأنها أكثر ندرة من مصادر بقية الأدوار الحضرمية ، وقد أجمع مؤرخو حضرموت على ذلك و اختلفوا في سبب انعدامها أو ندرتها [٢] . ويظهر أن السبب الرئيسي هو عدم اهتمام الحضارمة و الأباضية منهم بصورة خاصة بتدوين التاريخ [٣] بل الجمود الأباضي السابق يأبى تدوينه في تلك العهود ، وهذا يعني أنه لو وجد مؤرخون من بينهم إذ ذاك فأن تواريخهم ضاعت ضحية الإهمال والفوضوية الضاربة إطنابها في البلاد وعدم الاحتفاظ بالذخائر العلمية ولكنا مع هذا نفتح باب الأمل في أن يعثر المؤرخ على مصادر لهذا الدور بالبحث والتنقيب في كل منطقة تاريخية علاوة على ما يلتقطه من هنا وهناك .

---

[٢]. يؤخذ من تاريخ شنبل ــ في تاريخ ابن هاشم إلى سنة ٥٦١ هـ ولم نعرف مصدر الأستاذ ابن هاشم وقد يكون اشتبه عليه الستون بالتسعين ، ولا يتعارض هذا مع بقاء الحركة الأباضية أثناء القرن السابع فأنها حركة مذبوح ويقول ابن خلدون في تاريخه أن دولة الأباضية بقيت جذورها شرقي اليمن إلى القرن السابع .

[٢]. . انظر رسالة المؤرخ السيد عبد الله بلفقيه المسماة : نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي .

[٤]. انظر تحفة الأعيان في تاريخ عمان امؤلفة أبي محمد السالمي .

توطئة وتمهيد

من هم الأباضية ! ومن هم الخوارج ؟

الأباضية فرقة من الخوارج منسوبة إلى عبدالله بن أباض المري أول أئمتها ولها مذهب خاص فيه بعض أصول المذهب الخارجي .

والخوارج هم الطائفة التي خرجت على الأمام علي بصفين وشقت عصا الطاعة محتجة عليه بتحكيم الحكمين في النزاع بينه وبين معاوية حسبما هو مشروح ومفصل في كتب التاريخ الإسلامي العام [١] . ولقد قاتلهم الإمام علي بالنهر وان بعد أن أرسل إليهم ابن العباس رضي الله عنهما فحاجهم في خروجهم حتى أقنع بعضهم فعاد إلى الطاعة وأصر بعضهم على رأيه وهم بضعة آلاف رجل فقاتلهم بالنهر وان وأن لم يبق منهم إلا أفراد هربوا ، ومنهم تفرعت فرق الخوارج . وبقي مذهبهم موجودا وأستمر خروجهم ضد خلفاء المسلمين من أمويين وعباسيين وغيرهم .

والخوارج عشرون فرقة ، وأبرزهم الأباضية وهي أربع فرق [٢] . ويغلب على الخوارج الجمود والتزمت والشدة في مذهبهم وأعمالهم وفي تنشئاتهم وفي أدبهم وخطابتهم وقل أن يعرفوا للتسامح طريقا ، ولهذا فقد تميزوا عن بقية الفرق بأصول أنكرتها عليهم غالبية الأمة الإسلامية . ومما قالت به الأباضية وبعض فرق الخوارج ما يأتي :

1. **كفر مرتكب الكبيرة من المسلمين ويسمونه كافرا .**
2. **الكبيرة لا يغفرها الله بدون توبة وهذا مخالف لنصوص القرآن ولعلهم يؤولونها .**

---

[٥]. انظر تاريخ ابن جرير وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي .

[٦]. واليزيدية منهم غلاة وكفروا لقولهم بنسخ شريعة الإسلام آخر الزمان . من الفرق بيتن الفرق ــ وليسوا بزيدية العراق المعروفين .

٣. عدم إمكان الاستدلال بغير الكتاب والسنة دون القياس والإجماع ولكنهم يقولون بالقياس من حيث كونه داخلا في الرأي الذي يقولون به .

٤. كل من خالفهم من المسلمين ليسوا مؤمنين ولا مشركين وإنما هم كفار عندهم .

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم وأن لم يكن من أهل السلطة والنفوذ .

٦. عدم لزوم الإمامة في قريش مع وجوبها على المسلمين بنصب أمام تقي كفؤ . ولهم عقائد أخرى منها التحامل على الإمام علي وأتباعه وعلى الخليفة عثمان [١] ولكن مذهبهم لم ينتشر ويتسع وتؤلف فيه كتب كثيرة ، كالمذاهب الإسلامية الشهيرة من السنية وشيعية ، ولم ينبغ منهم علماء كثيرون كما نبغوا في تلك الفرق ، ولضيق الأفق الذي اعترى عقولهم ومذهبهم ضاقت بهم المالك والمسالك وأكثروا من شق عصا الطاعة وأبوا الدخول فيما دخل فيه عموم المسلمين ، كما يحدثنا التاريخ الإسلامي في خروجهم على الأئمة . ولامتيازهم بالشجاعة الهائلة والتمسك بالعقيدة كان لهم أثر كبير في اضطراب حبل الأمن العام خصوصا في العراق ، وفي البلاد التي استولوا عليها على غرة من خلفاء الإسلام كحضرموت وعمان اللتين أسسوا لهم بهما دولة .

[٢]. انظر الفرق و انظر الملل والنحل .

شخصيات معروفة من أئمة وزعماء الأباضية بحضرموت

عبد الله بن يحيى الكندي :

هو أول أمام أباضي عرف بحضرموت وهو صاحب الثورة ضد مروان ابن محمد الأموي سنة ١٢٩ هـ وقتل سنة ١٣٠ هـ وسيأتي الكلام عنه وعتها .

عبد الله بن سعيد الحضرمي

ولما قتل عبدالله بن يحيى تولى الإمامة والزعامة بعده على حضرموت فقاد الثورة فيها وجعل مركز قيادته شبام كما سيأتي ، ولا ندري هل قتل فيمن قتل من الثوار أم نجا ؟ وهل هو عبدالله بن سعيد الذي عزله أهل حضرموت وولوا بدله إماما آخر يدعى خن شبا [١] أم لا ؟

وهناك زعيمان آخران من أبرز أصحاب عبد الله بن يحيى وهما يحيى ابن ركب الحميري ، وابن السباق الكلاعي وقد حاول كل منهما أن يقوم باست يناف ثورة عبدالله بن يحيى فقضي على حركتهما باليمن ، فان لم يكونا حضرميين نشأة فهما وثيقا الصلة بحضرموت ومندمجان مع أباضيتها .

---

[٣]. انظر تحفة الأعيان في تاريخ عمان للسالمي .

محمد بن عمرو الحضرمي

ويذكر التاريخ شخصية حضرمية أباضية عرفت بالبسالة والزعامة في أواخر القرن الثاني الهجري وأسم صاحبها محمد بن عمرو بن عبدالله الحارثي الحضرمي [١] قاتل معن بن زائدة الشيباني كما تفيده بعض المصادر التاريخية وسيأتي الكلام عنه .

أبو إسحاق الهمداني ووالده

وفي أوائل و أواسط القرن الخامس الهجري لمع نجم أبي أسحق إبراهيم ابن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي بحضرموت فتولى إمامة الأباضية بها وربما كان سنة ٤٥٤هـ كما يقول في شعره :

بحول الهي لا بحولي وقوتي   وتوفيقه أظهرت بالسيف دعوتي

إلى أن قال :

بتاريخ شوال وفي عام أربع   وخمسين تقفو أربعا من هنيدة [٢]

وكان قبل ذلك تابعا لأئمة عمان الأباضيين وهو بحضرموت ويدين هو ومن تبعه لهم بالولاء وبينه وبينهم صلات وثيقة وتعاون ضد أعدائهم وأعدائه فهم يمدونه بالمال والرجال والذخائر الحربية إلى حضرموت وهو بدوره يبدي استعداده لنصرتهم في عمان إذا أشير عليه بذلك ، وقد قاوم الصليحي لما هاجم حضرموت كما يستدل من شعره . وأبو إسحاق قد شهر بالعلم والأدب والبسالة والبلاغة وعد فحلا من فحول الشعراء ، وله قصائد بليغة طنانة امتازت بالرصانة والجزالة يسجل فيها أسماء شخصيات بارزة ووقائع حربية بحضرموت غير أنه من الصعب أن نجد ما يكشف لنا الستار عنها ،

---

[٤]. نسبة إلى بني الحارث بن حضرموت .

[١]. هنيدة بمعنى مائة العرب تطلق هنيدة على المائة من الإبل فقط ولكن أبا إسحاق أطلقها على المائة أيضا .

ويظهر أن أبا إسحاق كان يحاول أن يدخل حضرموت كلها في الأباضية فلم يتم له ذلك ، وقد أمضى حياته في حروب ومصادمات مع أعدائه من الداخل والخارج إلى أن مات .

أما أبوه فهو من زعماء الأباضية ورجال العلم والثروة والنفوذ بينهم بحضرموت وهو الذي عني بتربية أبنه أبي إسحاق وتعليمه وتهذيبه حتى نبغ فيما نبغ فيه وتفوق على أبيه وتاريخ الأب والابن لم يعرف إلا من ديوان الأخير ومقدمته [١] فهما المصدر الوحيد لتاريخهما ولم يشر إليهما أي مصدر آخر قبلهما فيما أعلم مما جعل بعض مؤرخي هذا العصر [٢] يكاد يتشكك في وجود أبي اسحق .

ومن زعماء الأباضية في القرن السادس آل النعمان من بني الدغار أمراء شبام أو سلاطينها كما يسميهم البعض، ومن أبرزهم راشد بن أحمد بن النعمان الذي قام بحركات ضد السلطان السني عبدالله بن راشد ثم قتل سنة ٦٠٥هـ وهم معاصرون لبني عمومتهم من آل راشد كما سيأتي . هذا هو استعراض زعماء الأباضية الذين انتزعنا أسماءهم من بين ثنايا المراجع التي بين أيدينا ولا يبعد الحصول على آخرين بمواصلة البحث والتنقيب.

---

[٢]. المقدمة للشيخ سليمان الباروني ناشر ديوان أبي إسحاق .

[٣]. هو العلامة عبداللاه بن حسن بلفقيه في رسالته ؛ استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات .

ثورة طالب الحق عبدالله بن يحيى المندي الأباضي

هذا هو أشهر زعيم سياسي وديني حضرمي في عصره ، وقد لقبه أتباعه بهذا اللقب (طالب الحق) الذي أشتهر به والذي أرادوا أن يرمزوا به إلى مبدئهم الثوري . وهو من بني شيطان [١] المنتمين إلى بني عمرو بن معاوية الكندي نسبا الأباضي عقيدة ومذهبا ، وقد ثار في حضرموت ضد بني أمية سنة ١٢٩هـ وبخروجه يبرز لنا العهد السياسي الأباضي بحضرموت ، ووصفته كتب التاريخ بأنه مجتهد عابد شجاع كريم ذو فصاحة ولسن كما تدل على ذلك خطبه .

نوازع نفسية تعتمل في صدره

أول ما عرف عن عزم طالب الحق الثورة ما كان يتحدث به من أن رجلا تنبأ له بالملك وبذهاب إحدى عينيه قبل ذلك ولهذا يلقب أحيانا فيما بعد بالأعور . وقد روى خطاب ذلك الرجل له فقال : [٢] لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال ممن أنت فقلت من كندة ، فقال : من أيهم قلت من بني شيطان ، قال والله لتملكن ولتبلغن خيلك وادي القرى وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك . فذهبت أتخوف ما قال وأستجير الله [٣] فرأيت باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة في الناس قبيحة .

أن هذا الكلام قوى من معنوية هذا الشاب الذي ظهرت عليه مخائل الاستعداد للقيام بعمل خطير ، وهكذا بدأ يخاطب أصحابه بوجوب الخروج وكتب إلى أباضية البصرة يشاورهم فبه فشجعوه عليه كتابيا ومما كتبوا له به .

---

[٤]. من الصدف الغريبة أن يبرز أسم الشيطان

٥. انظر الأغاني .

[٦]. بالجيم كما في الأغاني ولكن لو رويت بالخاء الفوقية فلا مانع وهي تفيد معنى أدل التصميم على الثورة .

(أن استطعت أن لا تقيم يوما واحدا فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء .)

أباضية البصرة تفد إلى حضرموت

وشخص إلى عبدالله بن يحيى نخبة من شجعان أباضية البصرة في مقدمتهم قائده الشهير أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ومعهم كتب من إخوانهم الأباضية تدعو إلى الخروج . وتقول بعض الروايات إنه قد عرف أبال

حمزة في مكة أيام الحج إذ كان الأخير يدعو إلى خلاف مروان [1] وآل مروان كل سنة بمكة ، ولما التقى به عبدالله بن يحيى آخر سنة قبل الثورة وذلك سنة ١٢٨ هـ قال له : يا رجل أني أسمع كلاما حسنا وأراك تدعو إلى حق فأنطلق معي فأني رجل مطاع في قومي . فخرج به حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة . ولعله عرج على البصرة ، وقابل زملاءه بها ، ثم خرج مع الوفد إلى حضرموت [2] وبايعوا بها عبدالله بن يحيى إماما للأباضية وبايعه كثيرون من حضرموت ، لكن إمامته هذه لم تدم سوى عام واحد أو أقل ضحى في سبيلها بعشرات الألوف من القتلى وأكثرهم من الحضارم ، وكانت سببا فيما بعد لتخريب ومجاز في حضرموت كما سيأتي .

[1]. آخر خليفة من بني أمية .
[2]. هذا للجمع بين الروايتين .

أول خطوة عملية

بعد أن بويع عبدالله بن يحيى استولى على دار الأمارة بدمون "الهجرين" وطرد عامل مروان وأسمه إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ولم يقتله ولكنه حبسه ثم أطلقه فهرب إلى صنعاء . ووضع عبدالله يده على الأموال ، وتم له الاستيلاء على حضرموت بدون إراقة دماء لأنه كان مطاعا في قومه قبل أن يعلن ثورته . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ساعدته ظروف نقمة الأهالي على الجور الذي ابتلوا به من قبل الدولة الأموية ، ولهذا فقد استطاع أن يقوم في مدة وجيزة بإصلاحات هامة في البلاد كبسط الأمن ونشر العدل وإطعام الفقراء . وقد عزز مركزه بحضرموت وأصبح حاكمها المستقل وانفصلت بذلك عن بقية البلاد الإسلامية .

الخطوة الثانية : الاستيلاء على صنعاء عنوة

توجه طالب الحق من حضرموت قاصدا صنعاء يقود جيشا قوامه ألفان من الشجعان ، وكان قد كتب لأصحابه بها بأنه قادم عليهم ، ثم مضى وأستخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي ، وقد مر في طريقه على أبين ولحج [١] حيث التقى به الناحية الأخرى ـ ناحية صنعاء ـ العامل الأموي على صنعاء واسمه القاسم بن عمر الثقفي ـ أخو يوسف بن عمرو الثقفي أحد رجال الدولة الأموية المعروفين ـ في جيش أقوى عدة وأكثر عددا . وكان قد بلغه توجه الكندي أليه ، فألتحم الجيشان واستمر القتال . وانجلت هذه المعركة عن انتصار الكندي انهزام جيش العامل وكثرة القتلى والجرحى فيه ، وكان عامل صنعاء غلط بعض الغلطات الحربية ولم يستمع لنصيحة بعض قواده وأعوانه في اختيار الوقت المناسب لمهاجمة أعداءهم .

---

[٣]. انظر الأغاني .

وعاد العامل على صنعاء وحاول مرة ثانية أن يجمع شتات جيشه المهزوم ويستعيد معنوياته ، ومكث بها يوما واحدا ثم غادرها واستخلف عليها الضحاك ابن زمل وهو نفسه الذي استخلفه عليها في خرجته الأولى .. غادرها العامل إلى مكان قريب هيأ لجيشه فيها استحكامات من الخنادق وعدد عسكره آلاف المقاتلين . وأقبل الكندي في جيشه الكندي المنتصر فعسكر في محل مقابل يقال له جوين ، وبين المعسكرين ميلان . فوجه العامل أحد قواده المسمى يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من رجال الشام واليمن إلى الجيش الكندي . فكانت بينهم إصطدامات خفيفة ثم تحاجزوا [١] ورجع القائد إلى العامل بستأذانه في بيات القوم [٢] فلم يسمح له بذلك فقال : والله إن لم تبيتهم ليغمنك ، فأصر العامل على رأيه وبقوا يومين لا يتقاتلون . وفي فجر اليوم الثالث صبحهم عبدالله بن يحيى برجاله وهجم على خندقهم واستعر القتال فغلبهم عليه . ثم استمر القتال حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم الجيش الأموي هزيمة نكراء كما انهزم في المعمعة الأولى . وأراد إبرهة بن الصباح أحد رجال الكندي اتباعهم حتى لا يتجمعوا مرة أخرى أو يدافعوا عن صنعاء فمنعه عبدالله بن يحيى ودخل صنعاء بعد هذه المعركة دخول الظافر المنتصر ، وألقى القبض على كل من الضحاك بن زمل نائب العامل ، وعلى إبراهيم بن جبلة عامل حضرموت الطريد ، وجمع الأموال المخزونة فأحرزها وخضعت له بلاد اليمن .

---

[٤]. بمعنى أوقفوا القتال مؤقتا .
[٥]. الهجوم عليهم في مبيتهم ليلا .

خطبة عبد اللّه بن يحيى في صنعاء

خطب عبداللّه بعد استقراره في صنعاء على منبرها خطبته الشهيرة التي هي أشبه بخطب العروش في هذا العصر ، ومنها يعرف بعض مذهب الأباضية ، ومما ذكر المؤرخون منها بالنص الحرفي قوله [1] بعد أن حمد الله وصلى على رسول الله وذكر ووعظ وحذر .

إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما ، الإسلام ديننا ، ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالا وما نبغي به بديلا ولا نشتري به ثمنا قليلا ، وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة إلا بالله وإلى الله . المشتكي وعليه المعول . ومن زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر . ندعوكم إلى فرايض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدل فيما حكم ... إلى آخر ما قال .

وقد اشتهرت سيرته بأنها سيرة عدل في اليمن كسيرته في حضرموت .

الخطوة الثالثة : الاستيلاء على الحجاز والشام

قرر عبداللّه بن يحيى بعد أن نتم استيلاؤه على اليمن وكثر جمعه وأتته الشراة ويعنون بهم الخوارج الذين شروا أنفسهم لله ، من كل جانب ـ قرر أن يخطو خطوة ثالثة للاستيلاء على الأماكن المقدسة ثم غزو الدولة الأموية في عقر دارها بالشام . فأرسل ثلاثة من فرسانه المبرزين وهم قائده أبو حمزة المختار بن عوف ، وبلح بن عقبة ، و الإبرهة

---

[1]. انظر الأغاني .

بن الصباح ، والأول أمير والآخران قائدان ، في جيش قوامه ١١٠٠ رجل [١] ورسم لهم خططا ينتهجونها ، ومنها أن يتوجه بلج الشام بعد الحج ليقيم له ملكا على أنقاض الملك الأموي . ولكن هذا لم يتم له بسبب القضاء على ثورته كما سيأتي .

وتوجه أبو حموة بجيشه الذي يتألف من الشباب [٢] ووصل الحجاز في ميقات الحج ودخلوا عرفة وقد جعلوا على رؤوس رماحهم أعلام عمائم سوداء . فارتاع الحجاج منهم فراسلهم أمير الحجاز الأموي عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وتمت بينه اتفاقية على أن لا يحدثوا شيئا إلا ما بعد أداء النسك . ووقفوا على حدة لأنفسهم .

لأما عبد الواحد فقد توجه بعد الحج توا على المدينة وترك مكة لأبي حمزة وجهز جيشا بأمر مروان لقتال الخوارج ، أبي حمزة وأصحابه . وكان عدد الجيش ثمانية آلاف ، ولكنهم وأن كانوا أضعاف جيش أبي حمزة ليس لهم معرفة بأساليب القتال ، وأكثرهم من متمدني المدينة المعظمة وقد لبسوا المصبغات والثياب الناعمة [٣] . فالتقى بهم أبو حمزة في قديد [٤] فر بالمدينة المنورة ودارت فيها رحى معمعة قديد المشهورة التي أسفرت عن انتصار جيش الكندي وهزيمة المدنيين بعد أن قتل ربعهم . وتفصلهم بعض المصادر التاريخية هكذا [٥] : منقريش ٤٥٠ ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالي ١٧٠٠ .

وتم استيلاء أبي حمزة على المدينة [٦] وكان أول ما عمله أن دخل مسجد رسول الله وألقى خطبة طويلة في الناس أوضح لهم فيها أسباب خروجهم وهدد أهل المدينة وتناول أعمال بني أمية . ومن أبلغ ما فيها قوله : (يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاة ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا أحداثا شبابا والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم

---

[٢]. انظر الأغاني ويقول صاحب المشرع انهم عشرة آلاف مقاتل .
[٣]. يدل على هذه نص خطبته الآتية .
[٤]. انظر الأغاني .
[٥]. بضم القاف وفتح الدال .
[٦]. انظر الأغاني .
[٧]. قالوا أن نائحة أهل المدين قالت تبكيهم :
ما للزمان وما ليه أفنت رجا ليه
فلأبكين سريرة ولأبكين علانية الخ
و نسبها صاحب المشرع إلى النابغة ولعله خطأ قلمي أو مطبعي .

ثقيلة عن الباطل أقدامهم قد باعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت ، قد خلطوا كلاهم بكلالهم [١] وقيان ليلهم بصيام نهارهم محنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة فلم نظروا إلى السيوف قد انتضيت وإلى الرماح قد أشرعت وإلى السهام قد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين منقار في نقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما أعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا ... أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وأليه أنيب (.

مصرع أبي حمزة واسترداد الحجاز

لما بلغت هذه الأنباء الخليفة المرواني بدمشق أترسل جيشا قوامه أربعة آلاف من الفرسان المعدودين وأعطى كل واحد منهم ١٠٠ دينار وضم إليه بغلا لحمل أثقاله ولينجدوا أهل الحجاز بسرعة . وكان يقودهم عبد الملك ابن عطية السعدي [٢] .

ومن ولع العرب بالفال الحسن ما ذكروا أن غلاما أسمه العلا بن أفلح مولى أبي الغيث لقيه أثناء الطريق فجرت بينهما هذه المحادثة :

---

[٨]. الكلال الإعياء والإجهاد بمعنى أنهم دائما في أعمال شاقة .

[١]. سعد هوازن وفي كل حي بنو سعد كما في المثل .

ابن عطية :	ما اسمك يا غلام ؟
الغلام :	العلاء ـ بالمد
ابن عطية :	ابن من ؟
الغلام :	ابن افلح
ابن عطية :	مولى من ؟
الغلام :	مولى أبي غيث
ابن عطية :	فأين نحن ؟
الغلام :	بالعلا ـ بالقصر
ابن عطية :	فأين نحن غدا ؟
الغلام :	بغالب

سر ابن عطية بهذا ووهب الغلام جائزة وكان الغلام قد حاور بعض أصحاب ابن عطية بهذه المحاورة الطريفة [1].

أما أبو حمزة فأرسل بدوره لما بلغه الخبر حملة بقيادة قائده بلج المرشح من قبل عبدالله بن يحيى لغزو الشام ولكن رجال الحملة ستمائة رجل فقط . فالتقى الجمعان بوادي القرى في الأسبوع الأول من جمادى الأولى سنة ١٣٠هـ .

وقبل أن ينشب القتال بين الفئتين وهما متقابلتان دعاهم قائد الأباضية إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وذكر بني أميه وظلمهم ، فشتمه وشتم أصحابه أهل الشام قائلين : أنتم أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم [2] . ثم هجم عليهم بلج وجيشه فانكشفت طائفة من الشاميين ولكن القائد ثبت في صيانة بقية جيشه والحفاظ عليها من الهزيمة ، وخطب فيهم يحثهم على الصبر والثبات فتحمسوا للقتال حتى انتصروا وقتلوا بلجا

[2]. انظر تاريخ ابن جرير .
[3]. يعنون بني أمية .

وأكثر أصحابه . وانحازت قطعة منهم تقدر بمائة إلى جبل يعصمهم فقاتلهم ابن عطية واستماتوا في قتاله ثلاثة أيام فأفنى منهم سبعين وفر البقية إلى أبي حمزة .

بلغ الخبر أبا حمزة فتوجه إلى مكة ، واستخلف على المدينة أحد رجاله ولكنها ما أسرع أن انتقضت عليه ودخلت تحت طاعة ابن عطية الذي دخلها بدون قتال ومكث بها شهرا ثم بارحها متوجها إلى أبي حمزة بمكة .

ومما يستحق الذكر أن أحد أصحاب أبي حمزة وأسمه علي الحصين العنبري أشار عليه بقتل الأسرى يوم قيدوهم من أهل المدينة حتى لا يثوروا عليه يوما ما فأبى . وثاروا عليه وقتلوا عامله . وأشار عليه قبل قدوم ابن عطية بأن يقتل أهل مكة قائلا له أنه كفرة فجرة (كما يعتقد الخوارج) فأبى قائلا : ولا أرى ذلك لأنهم دخلوا في الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية ، قال أنهم سيغدرون قال أبو حمزة أبعدهم الله (من نكث فإنما ينكث على نفسه) . وقد صدق صاحبه فيما قال فأن أهل مكة انضموا إلى ابن عطية ضده .

استعد ابن عطية لقتال أبي حمزة وقسم جيشه إلى شطرين أحدهما توجه إلى الأبطح للقاء أبرهة بن الصباح ورجاله وعددهم ثمانون فارسا ، وبالرغم من قلتهم فقد هزموا أهل الشام حتى أوصلوهم إلى عقبة منى فعاد أهل الشام إليهم حتى غلبوهم وقتلوا قائدهم أبرهة .

أم الشطر الثاني فقد واجه به أبا حمزة بأسفل مكة وكان ابن عطية نفسه في مقدمتهم ودارت رحى حرب ضروس بين الطرفين انتهت بقتل أبي حمزة والقضاء على جل أصحابه ما بين قتيل وجريح وأسير ، وبعث برأسه إلى مروان بالشام وصلبت بقية جثته وجثث بعض أصحابه ولمخ تنزل إلى في خلافة بني عباس [١] .

---

[٤]. يظهر أنهم يقومون بعملية تشبه تحنيط الموتى أو تصبيرهم وإلا فلا يمكن أن تبقى جثثهم سليمة في مثل ذلك الوضع ولو مدة قصيرة .

ومما يروى عن ابن عطية أنه قال للأسرى : ويحكم ما دعاكم للخروج معه ، فقالوا أنه ضمن لنا(الكنة) وكانوا يلفظون الجيم كافا كما يلفظها بعض العرب مشوبة بالشين أو القاف ــ أي الجنة فأعدمهم جميعا ويقدرون بأربعمائة .

شجاعة نساء الخوارج

قد اشتهرت نساء الخوارج كرجالها بالشجاعة المتناهية ومنهن غزالة زوجة شبيب الشيباني التي كان الحجاج بن يوسف عامل العراق يخاف بطشها حتى عيره عمران بن حطان بقوله :

أسد علي وفي الحروب نعامـــــة   فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت على غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر
صدقت غزالة قلبه بجحافـــــــل   تركت عساكره كأمس الدابر

وأمه جهيزة كما تحدث عنها التاريخ .

وهذه مريم زوجة أبي حمزة هي الأخرى أنزلت بأعدائه ضربات شديدة حتى قتلت معه في المعركة ، وكانت ترتجز أثناءها :

أنا الجعيداء وبنت الأعلم   من سال عن أسمي فأسمي مريم
بعت سواري بسيف مخدم [1]

وبعدها الفارعة أخت الوليد بن طريف الشيباني التي تولت القيادة بعد مقتل أخيها وقاتلت يزيد بن مزيد اليباني قائد الرشيد حتى ذكرها بحق العشيرة لأنه من شيبان فتوقفت عن القتال .

[1]. الجعيداء تصغير جعداء وهي ذات الشعر المنقبض غير المسترسل والأعلم مشقوق لشفة العلياء وسال بالمد وأسمي بالقطع أو بالوصول مع تشديد الياء .

وليست هذه الشجاعة مقصورة على نساء الخوارج وحدهن ففي جميع عهود العروبة والإسلام تقوم نسائهم بقسط وافر من مشاركة الرجال في الفنون الحربية والشجاعة النادرة وغيرها من جميع نواحي الحياة . والصحابيات بصورة خاصة تتجلى فيهن تلك المشاركة ومنهن من انتظمت في الجندية ومعالجة بمهارة وشجاعة كسيدتنا فاطمة بنت الرسول وعائشة زوجته وصفية عمته و خولة بنت الأزور وأم عمارة ــ قاتلة مسيلمة الكذاب ... وغيرهن .

مصرع طالب الحق والقضاء على ثورته

وتوجه ابن عطية إلى صنعاء قاصدا طالب الحق ليقتلع الفتنة من جذورها كما أمره مروان [١] فلاقاه خصمه بعد ما وصله الخبر بقتل أصحابه ومعه آلاف من الفرسان ، فالتقيا أثناء الطريق . وبعض المصادر تقول [٢] أن طالـــــب

الحق الذي قصد خصمه قبل أن يتوجه إليه .

ومهما يكن فقد اتقيا وأسم موضع المعركة الفاصلة ــ كسة ــ وتقول بعض المصادر أن موضعها تبالة وهي بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة [٣] . وقد قتل فيها طالب الحق بعد ما أبدى هو وفرسانه ضروبا من أنواع البسالة والإقدام وأرسل ابن عطية برأسه على مروان بالشام وقد قيلت فيه وفي من قتل من أصحابه مرثية عصماء من نظم عمرو بن الحصين ، وهو الحسن العنبري مولى بني العنبر التميمي مطلعها :

[٢]. انظر ابن جرير .

[٣]. انظر الأغاني .

[٤]. هكذا يقول صاحب المشرع ومن كلامه أيضا عن ابن خلكان وهذا المكان كثير الخصب له ذكر في الأخبار ثم قال وهي أول وليها الحجاج بن يوسف ولكنه تركها استهانة بها فضرب بها المثل ــ أهون من تبالة على الحجاج أ . هـ . و معلوم أنها غير تبالة الشحر .

هبت قبيل تبلج الفجر　　　هند تقول ودمعها يجري

ومن مقول القول :

أقذى بعينك ما يفارقها　　　أم عابرا أم مالهـــــــــا

أم ذكر أخوان فجعت بهم　　　سلكوا سبيلهم على خير

فأجبتها بل ذكر مصرعهم　　　لا غيره عبراتها يمري

يا رب أسلكني سبيلهـــم　　　ذا العرش واشدد بالتقى أزري

في فتية صبروا نفوسهم　　　للمشرفية والقنا السمــر

تا لله ألقى الدهر مثلهـم　　　حتى أكون رهينة القبر

أوفي بذمتهم إذا عقدوا　　　وأعف عند العسر واليسر

متأهلين [1] لكل صالحة　　　ناهون من لاقوا عن النكر

ومنها :-

أن لا تجيبهم فأنهمـــــــوا　　　رجف القلوب بحضرة الذكر

متأوهون كأن جمر غضى　　　للخوف بين ضلوعهم يسري

تلقاهم إلا كأنهـــم　　　لخشوعهم صدروا عن الحشر

فهم كأن بهم جوى مرض　　　أو مسهم طرف من السحـــر

لا ليلهم ليل فيلبســـــــهم　　　فيه غواشي النوم بالسكـــــر

إلا كذا خلسا و آونــــــة　　　حذر العقاب وهم على ذعـر

كم من أخ لك قد فجعت به　　　قوام ليلته إلى الفجـــــــــر

متأوه يتلو قوارع مـــــــن　　　آي القران مفزع الصـــــدر

---

[1]. هكذا في الأغاني ولعل الرفع أحسن .

إلى أن قال :

والمصلي بالحرب يسعرها	بغبارها وبفتية سعــــــــــر
يحتاجها بأفل ذي شطـــــب	عضب المضارب قاطع البتر[1]
لا شيء يلقاه أسر لـــــــــه	من طعنة في ثغره النحـــــر
منهرة منه تجيش بمــــــا	كانت عواصي جوفه نجري
كخيلك المختار أذك بـــــه	من مفتد في الله أو مسري
خواض غمرة كل متلفـــة	في الله تحت العنبر الكدر
تراك ذي النخوات مختضبا	بنجيعه بالطعنة الشزر
وابن الحصين وهل له شبــه	في العرف أنى كان والنكر
بشهامة لم تحن أضلعــــــة	لذوي أخوته على غمر
طلق اللسان بكل محكمــة	رآب صدع العظم ذي الوقر

إلى آخرها .

وهي من غرر المراثي في الشعر العربي .

تعقب الثورة إلى حيث منبتها

وبعد مصرع طالب الحق فرت فلول جيشه إلى صنعاء وتتبعهم ابن عطية وحين قرب أليها هرب عامل منها فدخلها خصمه ظافرا منتصرا ومنها أرسل قواده لإخضاع المتمردين على الدولة الأموية باليمن من أصحاب طالب الحق ، فوجه ابن أخيه عبد

[1]. أفل بالفاء بمعنى سيف مفلول من كثرة الضرب به ، والشطب القطع .

الرحمن بن يزيد بن عطية إلى الجند لإخضاع ابن السباق أحد سلالة ذي الكلاع الحميري الذي نجا بنفسه بعد هزيمة عساكره والقضاء عليهم ، وبعث أبا أمية الكندي إلى ساحل البحر لتأديب يحيى بن كرب الحميري ومن معه من الأباضية فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر إلى حضرموت مرتكنين إلى عامل طالب الحق عبدالله بن سعيد الحضرمي السابق . ولكن بعض المصادر [١] سمته عبدالله بن معبد الجرمي ، ولعلها غلطة مطبعية أو خطية وشجعوه على قتال ابن عطية وتجمهر معه كثير من مختلف القبائل وجعل مركز قيادته شبام .

ووردت الأخبار إلى ابن عطية فشخص إلى حضرموت مستخلفا ابن أخيه المشار إليه سابقا على صنعاء ولقي القوم ب (الكسر) حيث نشبت بينهم معركة حامية الوطيس ، وفي أثناء الليل وبينما الخوارج مشغولون بالقتال أرسل قطعة من جيشه إلى مركز قيادتهم شبام فاقتحموا البلدة عند الفجر و احتلوا حصونها وقتلوا مقاتلتها وأحرزوا المؤنة والذخيرة . وتقول بعض الروايات إن الجيش كله استولى على شبام وقطع عن الخوارج الميرة والمادة وجعل يقتل ويسبي وينهب فيهم ، وأخيرا أتاه كتاب مروان بتوليته على الحج فصالحهم و سالمهم وولى عليهم من يختارونه [٢] وتوجه في عدد يسير مع أصحابه قاصدا مكة فقتل أثناء الطريق . والروايات تختلف في الكيفية التي قتل بها وفي تعيين قاتله ولكنها تتفق في أن الأباضية هم الذين قتلوه لأنهم موتورون منه .

---

[٢]. هو الأغاني ومع ذلك فقد سماه عبدالله بن سعيد عند ذكره لتوجه طالب الحق إلى صنعاء وسماه هنا عبدالله بن معبد الجرمي والاسمان متقاربان ويظهران الأخير محرف كما قلنا .
[٣]. لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أسمه .

تخريب حضرموت والفتك بأهلها

لم يكد يبلغ عبد الرحمن بن عطية قتل الأباضية عمه حتى أرسل إليهم للأخذ بثأره جيشا من الفرسان إلى حضرموت يقوده شعيب البارقي فجعل يقتل الرجال والصبيان ويبقر بطون النساء ويأخذ الاموال ويخرب القرى ويتتبع البريء والنطف ، ولم يبق أحدا ممن عرفهم من قتلة ابن عطية أو من الأباضية [١] ومن البلاد التي أصابها الخراب والسلب والنهب هينن وحورة وقعوظة و شبام .

حضرموت تحت التاج العباسي

بعد سقوط الدولة الأموية وفي الفترة اليسيرة التي جرت فيها الحرب بينها وبين بني العباس عادت حضرموت إلى الأباضية [٢] واستقلت بنفسها وذلك لمدة عقد من السنين تقريبا حكمها فيها من بقي من خلفاء عبدالله ابن يحيى الكندي وأتباعه .

معن بن زائدة يغزو حضرموت

وفي سنة ١٤٠ هـ جهز المنصور العباسي جيشا بقيادة عامله معن بن زائدة الشيباني الشهير ، وقد ضم ذلك الجيش كثيرا من الشجعان ، وإلى جانب ذلك فعدد أفراده كثير حتى قال بعضهم أنه يقرب من ٤٠ ألف جندي وذلك لإخضاع اليمن وحضرموت ، والقضاء على الخوارج الذين بها ، فادى مهمته . ويزيد بعض المؤرخين بأنه استباح

---

[١]. انظر الأغاني .

[٢]. انظر الشامل ، وفي معالم الجزيرة العربية للأستاذ سعيد باوزير ما يخالف هذا ويذكر ابن جرير أن السفاح وجه محمد بن زياد على اليمن سنة ١٣٢ هـ ولم يشر إلى حضرموت بشيء .

حضرموت [1] ويستفاد من رواية بعضهم أنه إنما استباحها ثانيا وذلك عليهم حين انتقض أهلها فقتلوا أخاه العامل [2] الفاسق بتريم ، فأحرده ذلك عليهم وغزاهم غزوته الشهيرة التي قتل منهم فيها خمسة عشر ألفا وحاربهم حربا تكاد تكون حرب إبادة وخرب بلادهم . ومن جملة ما عمله فيهم انه أصدر الأوامر ضدهم بما يأتي :-

سد مياه عيونهم [3] .

قطع كثير من أشجارهم .

لبس السواد [4] .

ويشاع أنه أمرهم أيضا بأن تجعل نساؤهم ذيولا طويلة جدا في أثوابها ـ تسحبها في الأرض ولا تزال هذه الأذيال موجودة من قديم عند نساء العرب قال عمرو بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فلعل ذلك في بعض المناسبات ، ولعل نساء الحضارم استعملنه من قبل أنفسهن إذا لم تصح تلك الإشاعة حتى صار عادة ، وبالشكل المعروف الآن الذي يجب أن يزال لعدم ملاءمته للذوق ولا للاقتصاد ولا للأعمال .

لقد اشتهرت في التاريخ الغزوة التي قام بها معن ضد الحضارم في الأوساط الإسلامية إذ ذاك وأستعظمها كثيرون حتى شكوه إلى المنصور العباسي ولكن المنصور تجاهل ذلك لأغراضه السياسية . وقال مروان بن أبي حفصة الشاعر الشهير [5] أثناء قصيدة في معن وصف فيها بعض ما فعله في الحضرميين :

---

[3]. أي جعلها مباحة لجيشه . انظر الشامل .

[4]. انظر المشرع .

[5] هكذا يروي ويمكن أن تكون هناك عيون تشبه الآبار طمرها وسدها وهو عمل شنيع مستنكر .

[6]. هذه الثلاثة مذكورة في بعض كتب التاريخ ومنها المشرع ولعله يشير بلبس السواد إلى أن يلبسوا ثياب الحزن قهرا على قتلهم العامل أو لأنهم شعار بني العباس كما يقول بعض المؤرخين .

[7]. انظر ترجمته في ابن خلكان إذا شئت .

وطئت خدود الحضرميين وطأة لها هد ركن منهم فتضعضعا

فاقعوا على الأذناب [١] اقعاء معشر يرون لزوم السلم أبقى وأودعا

فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها لكفروا وما مدوا إلى الحرب إصبعا

وقال راجز آخر يخاطب معنا بمناسبة إيقاعه في الحضارمة :

يا معن من شيبان أنت أنتا علمت أهل حضرموت الموتا

وبعد ان شفي معن غليله من الحضارمة وأمن جانبهم تماما استخلف ابنه زائدة على اليمن بما فيها حضرموت وبقي بها ثلاثة سنين تواترت بعده عمال العباسيين عليها حتى ثار باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق العلوي في نهاية القرن الثاني الهجري وغيره من العلويين وشيعتهم فتولاها بنو زياد بأمر المأمون كما سيأتي :

وفاة معن بن زائدة

وقتل معن بن زائدة الشيباني سنة ١٥١ هـ على الأصح بسجستان على يد قوم من الخوارج ، وقد يكونوا من أباضية حضرموت ـ اندسوا بين عمال يشتغلون في داره . وتذكر بعض المصادر [٢] قضية مقتله بصورة مفصلة نلخصها فنقول إن قاتله محمد بن عمرو بن عبدالله من بني الحارث بن حضرموت أو من الأسباء الحضارمة وكان أبوه أميرا فقتله معن بحضرموت فيمن قتل وترك أولاده أياما منهم محمد المشار إليه . فلما أدرك محمد أخذ أخا له صغيرا ونفقة كثيرة وحج وسأل عن معن فأخبر بمقره فتوجه إليه فلم

---

[٨]. وفي رواية الاستاه .

[١]. من شرح شرنبة على قصيدة نشوان الحميري .

يقدر أن يصل إليه لتشديد الحراسة عليه . فأشتغل مع العمال الذين يعملون في قصر بناه معن وهو يترصد لمعن حتى أمكنته الفرصة بزيارة معن للقصر بعد ما تمت عمارته . وقط الرجل بطن معن وهو يقضي حاجته بسكين مسموم كان معه وغمز أخاه فخرجا من باب آخر . وأنكشف أمرهما بعد أن وجد معن قتيلا في موضعه وبعد أن توجها إلى اليمن ، حيث استقبلا هناك ووضع التاج على رأس محمد لأخذه بالثار من معن ، وقد أشار إلى ذلك مروان بن أبي حفصة في إحدى مراثيه لمعن حيث يقول :

فلو أن أم الحضرمي تلفعـــــت | بثوبين في جنح الليل دامـــــــس
لغالتك إن شاءت كما غالك ابنها | وقد يقتل المغرور اضعف لامس

وقال عبد الرحمن بن يونس الأجعدي شعرا :

يا معن اصبحت في بيداء مظلمـــة | من بعد ما كنت بين الناس مختالا
حتى أتاك ابن عمرو في أطامــــره | قد جاشم الصبر أحوالا فأحـــوال
حتى سقاك بها كأسا معتــــــــقة | من شربة جعلت في الصدر انكالا

والرجل يضرب به المثل في الشجاعة والكرم لولا أنه متهور فيما عمله بحضرموت واليمن كقائد لم تجد الرحمة على قلبه سبيلا ولم يؤنبه ضميره على ما اقترفته يداه ، فقد تجاوز الحد في أداء ما قام به من مهمة حربية ، وسياسية ، بحضرموت . ولئن ربح المعركة سياسيا وحربيا ، فقد خسرها أدبيا . وبعض المؤرخين يصفه بالحلم ولعله الحلم الذي يتفق ومصلحته السياسية أو الشخصية ، كأمثاله من الأمراء والملوك [١] .

---

٢. [١]نظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان .

إمارة بني زياد

وفي صدر القرن الثالث الهجري (وضبطه بعضهم بسنة ٢٠٢هـ[١]) خاف المأمون العباسي أن تستقل اليمن ويستولي عليها العلويين وشيعتهم ، ويخسرها التاج العباسي . فأرسل إليها محمد بن زياد بن عبدالله بن أبيه الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان أول ملك أموي ، كما هو مشهور في التاريخ . وأمده بألف مسودة خراسان [٢] تقوية له وتثبتا لإمارته . وكان غرض المأمون بهذا أن يضرب العلويين وشيعتهم بهذا الأمير المنتمي إلى بني أمية [٣] ، وهكذا توطد ملك بني زياد في حضرموت واليمن ، إلا أنهم تحت التاج العباسي .

فأولهم محمد هذا وملك من سنة ٢٠٢هـ إلى سنة ٢٤٥ هـ ، ثم ابنه إبراهيم ثم ابنه زياد بن إبراهيم ومدتها نحو ٤٥ سنة ، ثم ابنه الثاني اسحق بن إبراهيم المكني بأبي الجيش سنة ٢٩٠ هـ . وكان طويل العمر ولهذا دامت إمارته نحو ثمانين عاما لم تخل من الاضطرابات والفتن . وتوفي سنة ٣٧١ هجرية . وملك بعده ابن له ثم انقرضوا وقام بالأمر بعدهم مولاهم الشهير .

---

[٣]. انظر المشرع .
[٤]. الجيش المخلص للعباسيين من خراسان ويقال لهم المسودة للبسهم السواد شعار بني العباس .
[٥]. وبعضهم يستبعد أن يكونوا أمويين وينسبهم على زياد آخر ويقول لا يعقل أن يثق العباسيون بأحد من الأمويين في هذا الشأن وإن كانوا أمويين صورة .

الحسين بن سلامة النوبي الأصل مولى بني زياد

أما الحسين بن سلامة هذا فهو نوبي الأصل من أتباع أبي الجيش الزيادي وقد قام بالأمر في اليمن وحضرموت ، واستطاع أن يحتفظ بالملك وأن يخلد له ولمواليه بعض المآثر .

بناء الجوامع وتنظيم البريد

من المآثر الدينية والعمرانية التي قام بها هذا النوبي العالي الهمة (بناء الجوامع) ووضع أعلام البرد والفراسخ والأميال في الطرقات بين حضرموت ومكة . ومن مدن حضرموت التي بنى لها جوامع : بريم و شبام ، ونظم المراحل منهما تقريبا إلى مكة وجعل عدد أيامها ستين يوما يمر المسافر فيها على المدن الشهيرة المعمورة ، وقسم ما بينهما وبين عدن إلى عشرين مرحلة في كل مرحلة جامع و بير ومئذنة .
أما المفاوز المنقطعة فقد حفر آبارا اللاستقاء بحيث لا ينقطع عن المسافر الماء على طول المسافات التي يجتازها في العمران وفي القفار [١] . وقد توفي سنة ٤٠٢ هـ بعد أن تمتع بالملك نحوا من ثلث قرن ولم يستقم لبني زياد ملك يذكر بعد وفاته .

الحوالي يخرج على الزياديين

و الحوالي هو أسعد بن أبي يعفر بن عبد الرحيم الحوالي الحميري الذي يرجع نسبه إلى أحد الأذواء الحميريين . فقد قام بثورة في اليمن ضد الزياديين وغزا حضرموت واستولى عليها في أوائل وأواسط القرن الثالث الهجري هو وأخوه محمد بن أبي يعفر . ولكن مهرة

---

[١]. انظر عمارة في التاريخ كما نقله عنه الشامل .

أخذتها من الحواليين ، ومن زعمائها أبو الثور المهري لمدة وجيزة عادت بعدها إلى الزياديين .

وصول الإمام المهاجر إلى حضرموت

وفي سنة ٣١٨ [١] وصل الإمام أحمد بن عيسى العلوي إلى حضرموت مهاجرا من البصرة ، وهو جد العلويين الحضارمة الذين لهم مركز اجتماعي بها ، وستأتي ترجمته .

كيف كان بنو زياد يحكمون حضرموت

اختلف فترات ولاية الزياديين لحضرموت ما بين أن يحكموها مباشرة وما بين أن يحكموها اسميا فقط . فمن المحقق أنهم حكموها مباشرة في عهد محمد بن زياد الأول وفي أوائل ولاية أبي الجيش وأواخرها ، وفي عهد الحسين بن سلامة .

الصليحي يجتاح حضرموت وينيب المعينيين عليها

الصليحي هو الداعية علي بن محمد الصليحي اليمني وكان داعية للفاطميين [٢] ملوك مصر وأفريقية ويقال لهم (العبيديون) نسبة إلى أول ملوكهم عبيدالله المهدي ، وهم أصحاب المذهب الإسماعيلي الشيعي .

---

[٢]. ويمكن أن يكون ـ سنة ٣١٩ لأنه حج سنة ٣١٨ ويصعب أن يصل إلى حضرموت بعد اليمن بذلك العهد .

[٣]. نسبة إلى سيدتنا فاطمة بنت رسول الله والتحقيق انهم منسوبون أليها . انظر تاريخ ابن خلكان وغيره ، ومن آثارهم العظيمة الجامع الأزهر ومدينة القاهرة وتاريخ دولتهم مشهور .

وقد جاء الصليحي الأذن من المستنصر العبيدي بالقاهرة بأن يقوم بإظهار دعوته باليمن فاستولى عليها . وكان مما يقال أنه يطوي الأرض طيا ، فاستولى على حضرموت سنة ٤٥٥ هـ ولم تغن شيئا مقاومة الحضارمة إياه .

وقد أبقى بني معن [١] الذين سبقوه بالاستيلاء عليها ، أبقاهم عليها وعلى بعض مناطق الجنوب العربي كنواب عنه ، ولكن كل ذلك لم يدم إلا بضع سنوات ، فقد قتل الداعي الصليحي سنة ٤٥٩ هـ واستقل بنو معن بالبلاد التي تحت أيديهم ومنها حضرموت إلى حوالي سنة ٤٧٦ هـ كما تقول تواريخ اليمن . وبعدها استقل أرباب السلطة من الحضارمة ببلادهم إلى أوائل القرن السادس الهجري . كما أن الدولة الصليحية بقيت باليمن إلى أثناء القرن السادس ، وتبرز من بين شخصيات الدولة الصليحية الملكة أروى بنت أحمد الصليحي التي أدارت المملكة بعد وفاة زوجها ، واشتهرت بالحزم والعقل والتدبير وتلقب ببلقيس الصغرى ولعلها أول ملكة مستقلة في الإسلام .

القرامطة [٢]

ولم تسلم حضرموت من هجمات القرامطة واستيلائهم عليها [٣] . ويقرب أن يكون ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري أو أوائل الرابع ولم نظفر بتفصيلات عن تلك الهجمات ولا عن مدة الاستيلاء . ويظهر أن ذلك لم يدم طويلا وإلا لاهتمت به المراجع وذكرته كما ذكرت الزياديين و الأباضيين وغيرهم من المعاصرين لأولئك .

---

[٤]. بنو معن هؤلاء ليسوا منسوبين إلى معن بن زائدة ولكنهم من العوالق . انظر الشامل .

[١]. القرامطة أتباع أبي سعيد القرمطي نسبة إلى قرمطة وهي قرية من قرى واسط العراقية ، ويتهمون بانحلال العقيدة ويلصقون أنفسهم بالإسماعيلية الذين لا يعترفون بأنهم منهم ولهم فظائع وأعمال منكرة مسجلة عليهم في التواريخ .

[٢]. انظر جني الشماريخ نقلا عن البشاري .

موقف الأباضيين

أن للأباضية في هذه الفترة التي دعوناها بالدور الأباضي موقفين ناشئين عن الظروف السياسية التي تكتنفهم . فتارة يظهرون بمظهر الحزب الذي يحكم البلاد . وذلك حين يأنسون من أنفسهم القوة والقدرة على مقاومة الحكومة المتغلبة بحضرموت ، ورئيس دولتهم إمامهم المنتخب على قاعدة مذهبهم من أنهم يختارون التقي القوي الكفؤ من بينهم وينفذون أحكامه في المناطق التي يستولون عليها كمنطقة شبام في أثناء القرن الخامس الهجري ، ومنطقة دوعن في أثناء القرن الرابع الهجري . وأكثر ما تقيم أئمتهم بها [١] . ويتخذون فيها عاصمة لهم . ويزعم بعض المستشرقين أن موضع الحريبة بالذات كان مقر أئمتهم .

وكثيرا ما يعتصمون في حروبهم برؤوس الجبال ويوغلون في بطون الصحاري والأودية كما هي خطة تقليدية عن أسلافهم السابقين في العراق إذا ضايقتهم جيوش الدولة الكبيرة ، وتارة يتمسكون بمذهبهم كفرقة إسلامية يطبق أفرادها مذهبهم وينشرون عقايدهم فيما بينهم ، وذلك حين يقضي على شوكتهم ولا يكون لهم كيان سياسي ،
كما حدث فعلا في أواخر القرن السادس الهجري .

ويظهر أنهم في كل من الموفقين يقبلون الجدل و الأخذ والرد حول مذهبهم فيما له وعليه بالطرق السلمية ، كما وقع لهم مع الغمام المهاجر أحمد بن عيسى العلوي في أثناء القرن الرابع الهجري ، فأنه استعمل معهم طريقة الإقناع والاقتناع ، ونشر بواسطتها في حضرموت المذهب السني هو وبنوه وأشياعه وأعقابهم من بعدهم [٢] ، حتى توارى المذهب الأباضي من حضرموت شيئا فشيئا إلى أن رحل عنها فعمها المذهب الشافعي في الأعمال

---

[٣]. انظر الشامل .
[٢]من المشهورين من أولئك الإمام محمد بن علي صاحب مرباط المتوفى سنة ٥٥٦ هـ والشيخ سالم ابن فضل بافضل المتوفى سنة ٥٧٤ هـ والشيخ سالم بن بصرى العلوي ـ المتوفى سنة ٦٠٤ . وفسر بعضهم قول صاحب المشرع : ثم تلاه الإمام العالم الشيخ سالم بابن بصرى وبعضهم سالم بافضل وكل من السالمين شارك في إزالة المذهب الأباضي من حضرموت فلا مانع من صحة التفسيرين وستأتي تراجمهم .

والأحكام ، والمذهب الأشعري في العقائد . وقد يختارون في أحوال قليلة مسائل من غيرهما كما سبق عند الكلام على جغرافية حضرموت .

ولا يعني ما تقدم من مناظرة المهاجر للأباضية أنه لم يكن في مناعة من بطشهم وإرهابهم بل أن له في حضرموت من يؤويه وينصره من شيعته وحشمه . ومع ذلك فلم يقع بينه وبين الأباضيين صدام مسلح كما تفيد المراجع التاريخية القديمة التي بين أيدينا [١] . ولا يستطيع المؤرخ الباحث أن يجزم بشيء من ذلك وإن سطره بعض المعاصرين الذين كتبوا تاريخ حضرموت [٢] . ويشير كلام الإمام عبدالله بن علوي الحداد في كتاب تثبيت الفؤاد إلى أنه يستدل بسكنى الإمام المهاجر وابنه عبدالله وحفيده علوي المواقع الحصينة العالية كما توجد بها قبورهم ـ يستدل بهذا على ما يتشممون إليه من إيجاد قوة يمكنهم بواسطتها إقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدافع من علمهم و تقاهم . وكلما حلوا بمكان لم يطلب لهم المقام ، فبقوا في الأطراف إن حصل لهم ما أرادوه بقوا عليه وإلا فلا ينالهم في مكانهم أذى ملوك البلاد . وتجمل بعض المصادر بما يفيد وجود حزب قوي مع المهاجر ضد الأباضية ولكنها لا تصرح بوقوع اصطدام حربي بين الطرفين [٣] .

[٥]. انظر البرقة وإضرابها .

[٦]. هو العلامة عبدالله بن محمد السقاف في تعليقاته على رحلة باكثير ، فقد صرح فيها بوقوع معارك حربية بينه وبينهم وقال : (ويقال أن معركة فاصلة وقعت ببحران عندما كان المهاجر مقيما بالهجرين انكسرت فيها شوكت الأباضية وانتقل المهاجر على أثرها من الهجرين إلى قارة بني جشير) ولكني اتصلت به وكتبت إليه في الموضوع ليتفضل بذكر المصدر التاريخي بهذا فلم يأت به . ونسب بعضهم رواية هذه المادة إلى تعليقات العلامة المرحوم أحمد بن حسن العطاس ولم نعلم المصدر الأصيل . وفي تعليقات العلامة محمد بن عقيل ابن يحيى على ديوان ابن شهاب تصريح بأنه هو وأنصاره وبنوه من بعده إلى حدود ٦٠٠ سنة قاتلوا الأباضية ثم تركوا حمل السلاح . ولم أطلع على مصدره ولعله واستنتج ذلك من أن العلويين أمنا حملوا السلاح للقتال والنضال ، ولكن لا يمكن ذلك إلا بنص إذ قد يكون حمل السلاح عادة تقليدية أو للدفاع عن النفس .

[٧]. هذا هو المشرع وهذه هي عباراته المسجعة حين يقول : لما وصل السيد الغمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار وعملت المطي إليه من أقصى القفار . ثم قال : ودخلت الخوارج تحت الطاعة وعلمت الأباضية بأنهم ليس بأهل السنة استطاعة ثم قال : = =واشهر إمامه الإمام الشافعي بنشر مذهبه وأقعد النسب الهاشمي بأعلا رتبة وتاب على يديه خلق كثير ورجع عن البدعة إلى السنة جم غفير بعد أن ركبوا الصعب والذلول في تشتيت شمله والله يجمعه وأجتهدوا في خفض مناره والله رفعه وضربت على من تمادى غيه الذلة والمسكنة وأبدله الله تعالى مكان السيئة الحسنة أ هـ .

وسواء قاتل الأباضية المهاجر أو لم يقاتلوه فموقفهم كما ذكرناه وطريقتهم طريقة إخوانهم الأباضية والخوارج الآخرين من حيث أنهم لا يتورعون عن استعمال القوة ضد أعدائهم في السياسة أو المذهب كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

صور من الحياة الاجتماعية في العهد الأباضي

لقد أصبحت حضرموت في هذا العهد محور تدور عليه رحى الحرب ولم يعرف أهلها الاستقرار منذ فتنة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الذي سبق ذكره إذ نكل ابن عطية قائد مروان بالكثير منهم وخرب جزءا لا يستهان به من بلادهم . وتلتها الحرب الضروس بين معن بن زائدة الشيباني والحضارمة خصوصا الخوارج الأباضية منهم وقتل منهم ما يقدر بخمسة عشر ألفا وخرب مداينهم وأفنى مزارعهم وغور مياه عيونهم . واستقرت البلاد بعد ذلك في أيام الزياديين دون أن يدوم ذلك طويلا . ثم جاء الصليحي فيما بعد وأشتبك معهم ولما قاومه الحضارمة ومنهم إبراهيم بن اسحق الهمداني الحضرمي الأباضي على ما يروى في ترجمته ... لما قاوموه قتل منهم مقتلة عظيمة أضرت بهم وببلادهم أضرارا بليغة . وجاء الزنجبيلي فيما بعد فزاد الطين بلة وكاد يفني البقية منهم كما سيأتي الكلام عن هذا الدور التالي . وفيما بين هذه الهجمات والحروب الكبرى حروب جزئية يشنها ويقوم بها أرباب الطموح من ملوك اليمن الآخرين .

وهناك في الداخل حروب القبائل المتوطنة والنواقل من البلاد الأخرى فيما بينها التي هي أشبه بحرب العصابات التي تشنها على الحكومة المحلية الحضرمية الأباضية التي قد تكون في بعض الجهات الحضرمية أسمية فقط ولم تستطع أن تفرض مذهبها ولا سلطتها على بعض المحلات بحضرموت كالهجرين وتر يم في أواسط العهد الأباضي .

هل جنى الأباضية على حضرموت

أن الواقع التاريخي يدفعنا إلى الجواب على هذا السؤال بالإيجاب فقد أصيبت حضرموت بالانفصالية عن العالم الإسلامي في غالب أيام شوكة الأباضية بها للصفات التي توجد فيهم مما قدمناه .

وقد أرسل إليها الملوك [١] والأمراء الحملات تلو الحملات للقضاء عليهم وعلى مآثرهم وآثارهم فالحروب الطاحنة التي أدار رحاها البارقي ثم معن ابن زائدة وغيرهما كما مر كانت نتائج لعناد وتقلب الأباضية وما توحيه إليهم عقيدتهم من الفتك وعدم حرمة مخاليفهم من أهل العقائد الإسلامية الأخرى . فيكون الانتقام أو رد الفعل بمقتضى التعبير الحديث من خصومهم الأقوياء أشد وأعظم . والشعب الحضرمي ليس أباضيا كله ولكن الدولة الغالبة في أكثر هذا الدور أباضية ، ولهذا جرت على الشعب النكبات وأنهكته بالفتن والحروب من الخارج ومن الداخل ولم يستطع الشعب الحضرمي أن يتصل ويندمج مع إخوانه من أبناء الشعوب العربية والإسلامية الأخرى كما كان يفعل في الأدوار السابقة واللاحقة [٢] . ويظهر أن الأباضية الموجودين اليوم بعمان وأفريقيا تعدلوا كثيرا ، وليسوا بالصفات التي يذكرها المؤرخون عن أسلافهم القدامى ، وليسوا متعصبين إلى الدرجة التي وصل إليها أجدادهم السابقون وأعتنق كثير منهم مذهب أهل السنة ولا يزالون كذلك [٣] .

---

[١]. كمروان وأبي جعفر المنصور .

[٢]. انظر جني الشماريخ والشامل للحداد .

[٣]. الواقع أن الفرق الإسلامية كلها سادت روح التسامح فيما بينها ونظرت نظرة بعيدة إلى الخطر الإلحادي وإلى خطر الاستعمار الذي لا يترك أي فرصة لبث الفتنة وللتفرقة بين المسلمين ويمكن أن يضاف سبب آخر سلبي لهذا التسامح والتساهل وهو تيار هذا العصر المادي الذي نزلت فيه قيمة الروحيات وقل فيه التصلب والتشدد من أجلها .

الثقافة في ذلك العهد

ومع ما ابتليت به حضرموت من الحروب والفوضى والخراب في هذا العهد فأن في أهلها مناعة وثباتا مكنا بعض طوائف منهم في فترات من ارتشاف كؤوس المعارف والعلوم الشرعية والأدبية والعقيلة. وجمهوره من السنيين ، ولم نسمع عن غيرهم من الشيعة إذا صح وجودهم بها [١] ، وقلة من الأباضيين . وبعض مؤرخي [٢] هذا العصر ينكر وجود علماء في عصر المهاجر بحضرموت غيره وغير الآخذين عنه محتجا بأن التاريخ لم يثبت لنا اسم أحد منهم [٣]

ولكن من الصعب أن لا يكون لطائفة الأباضية علماء ولو بمذهبهم على الأقل وقد حاجهم المهاجر فحجهم كما مر فللسنيّين علماؤهم الكبار وأئمتهم الأحبار ويذكر لنا التاريخ منهم الأمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى النقيب الذي جادل الأباضية والنواصب وقارعهم بالحجج القوية حتى أسكتهم وأخفض أصواتهم هو وبنوه وشيعته وتلاميذهم ثم من تبعهم من السنيين كالمشائخ آل أبي حاتم ، ويبدو لنا في الطليعة منهم يحيى بن عبد العظيم وكالشيخ المعمر أحمد الحاسب العالم الشهير وغيرهم ممن تنسب إليهم بعض الأسر المعروفة بالعلم كآل الخطيب وآل أبي عبيد وآل أبي فضل وغيرها ممن أستمر فيها العلم عبر أجيال عدة كما سيأتي .

و للأباضية علماؤهم وزعماؤهم الدينيون وإن لم يحفظ لنا التاريخ كل أفرادهم كما ذكرنا ، ففي مقدمتهم أئمتهم البارزون كعبد الله بن يحيى الذي يعد أول شخصية أباضية بارزة نادت بهذا المذهب في حضرموت بعد ما كانت على العموم من قبل على ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان كما تقدم ، وكأبي أسحق إبراهيم بن

---

[٤]. يستفاد وجودهم من رسالة جني الشماريخ للسيد علوي بن طاهر .

[٥]. هو السيد المؤرخ عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة بحث في التاريخ المعاصر وستأتي الإشارة إليها في ترجمة المهاجر .

[٣]

قيس الهمداني ووالده بمقتضى ما يحدثنا عنه الباروني في صدر ديوانه ، ولكن تشكك في وجوده بعض محققي هذا العصر [١] كما تقدم .

النواحي الاقتصادية

تقوم أعمال الزراعة والغرس والتجارة بشكل تعاوني في الأكثر بين السكان فيقوم العمال كأجراء بالسقي وتعهد النخيل ويعطيهم المالكون الأراضي والفسائل ، وقد يجعل للعامل جزء من النخيل ولصاحب الأرض جزء ولصاحب الفسيل جزء ، وقد يقوم الملاك أنفسهم بكل هذا وتجري التجارة برأس مال التاجر نفسه أو بشكل مقارضة مع الغير . وتعتبر الثروات بقدر ما يملك أصحابها من نخيل ومزارع وعقارات وأنعام ودواجن ونقود في بلادهم حضرموت ، كما يلتقط كل هذا من المراجع خصوصا التي قد تفيض في تراجم بعض أعيان الحضارمة فتشير إلى مثل هذا عرضا [٢] . وفي مقدمة صناعتهم الغزل والنسيج اللذان اشتهروا بهما .

ويظهر بمقتضى ما يذكر من وفرة الجيوش والخيول بحضرموت وأنها ذات منعة وقوة في فترات من هذه المرحلة ـ يظهر أنها قاومت أعاصير الفتن الهوجاء و صابرت تلك المحن مع استمرار بقية الطوائف من زرّاع وصّناع وعّمال في أعمالهم وأشغالهم كما استمر رجال العلم والدين في التمسك بطلب العلوم والمعارف والاستزادة منها [٣] وتدريسها كالناحية العمرانية . ومما يستعمل عندهم للبناء الجراديم المعروفة وهي آلة توضع على أعجال تجرها الأبقار والبغال وتسمى العرابة [٤] ، ويستعملون الآجر والجص ولكن

---

[٢] هو السيد المؤرخ عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات .

[٣] . انظر تراجم العلويين السابقين وغيرهم في الكتب المختصة كشرح العينية للإمام أحمد بن زين الجشي وكتاب البرد النعيم .

[٤] . يعرف من تراجم الفحول المعدودين قي أثناء القرن الخامس وأوائل السادس إذ لا تزال سلطة للأباضية فيهما .

[٥] . انظر المشرع .

الغالب استعمالهم في البناء اللبن والطين ، إلا أنه لم يبرز لنا التاريخ أثرا من الآثار التي تلفت النظر وتدل على حياة عمرانية زاهية ، ولأن كان ذلك فلا يلام هذا الشعب الذي أضحت بلاده مسرحا للحروب والقلاقل بل كفاه فخرا أن يحتفظ بحياته ويقيم له كيانا بين أمواج الفتن والحروب المتلاحقة .

وبما أن هذا الدور فيه من مجاهل التاريخ الشيء الكثير ومدته طويلة فما ذكرناه عن النواحي العامة في الحياة لا شك أنه كله غير مطرد فيه وأنه مختلف باختلاف الظروف الحربية ، فكلما طالت فترة السلم تقدمت البلاد هذه النواحي والعكس بالعكس .

المرأة

والمرأة تشارك زوجها وتعينه على أداء عمله ، كل طائفة من السكان بحسب أعمالها التي تزاولها كما ينشأن على ذلك وتلاقي ما يلاقيه الرجل من سعادة أو شقاء .

وعلاوة على ما ذكرنا فهناك أعمال منزلية هي من اختصاص المرأة وتقوم بها بالطبع وهكذا حالتها بالنسبة للعهود القادمة ولم تخل بعض العهود من نوابغ فيهن ولبعضهن نصيب من التاريخ هنا [١] .

من أعلام العهد الأباضي

قد مر موضوع بعنوان (أسماء المعروفين من أئمة وزعماء الأباضية بحضرموت) وقد استوفيت فيه من عرف منهم لدينا ، والتاريخ على اليوم لم يحفظ لنا تراجم شخصيات حضرمية في القرنين الثالث والرابع عرفت بالعلم والتقى والزعامة من أي الطوائف ، كما

---

[٦]. تقدم ذكر بعضهن وممن سيأتي زينب أم الفقراء وسلطانة الزبيدية .

حفظ لنا تراجم الإمام المهاجر أحمد ابن عيسى العلوي وابنه عبدالله ، وأحفاده بصري وعلوي وجديد بن عبدالله بل ـ والحق يقال ـ لقد تعرفنا على بعض مجاهل التاريخ الحضرمي في تلك الفترة بفضل تاريخ هؤلاء الأئمة وقد اعتنى به من بعدهم لأنهم شيوخهم وقادتهم .

الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى

هو الإمام أحمد ، ابن النقيب عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

لماذا لقب بالمهاجر ؟

أما سبب تلقيبه بالمهاجر فلأنه هاجر من البصرة إلى حضرموت لأسباب إصلاحية أهمها : الاطمئنان على سلامة دينه ودين اتباعه في موضع أمن ، ولم تكن الهجرة من هذا الإمام بدعا فهي شيء معتاد عند أئمة الأسرة النبوية منذ بدأ بها الرسول صلى الله عليه وآله حين هاجر من مكة إلى المدينة وتلاه الإمام علي بن أبي طالب حين هاجر من الحجاز إلى العراق . وقد تبعه بنوه وأحفاده من بعده كالإمام الحسين بن علي والإمام زيد بن علي بن الحسين حفيده ومحمد النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وأخويه إبراهيم و إدريس جد الأدارسة بالمغرب وغيرهم كثيرون وفيهم أئمة مثاليون . وهجراتهم هذه في سبيل نشر الإسلام وتنفيذ العدالة ووضع الحق في نصابه ، وأكثرهم قاموا في سبيل تحقيق هذه المبادئ بثورات معروفة في التاريخ ضد الملوك

الجائرين من أمويين وعباسيين وغيرهم من الولاة . وكان البعض من هذه السلالة العلوية مطاردين أيضا ومرموقين من الملوك المشار إليهم [١] .

أما الإمام المهاجر هذا فقد أحاطت به ظروف الحروب والفتن والقلاقل الواقعة في القرن الثالث الهجري في العراق فلا يكاد يستقر الأمن ولا يستتب العدل العام أبدا فيها ، إذ أصبح العراق مضطربا والبصرة موطن الإمام أحمد مهددة بغارات القرامطة أصحاب أبي طاهر الجنابي وغيرهم ، واستبد فيها أصحاب القوة من الأمراء والمماليك حتى بلغ الأمر بالناس إلى أن يقيم كل على نفسه حارسا أو خفيرا . وبلغ الضعف بالخليفة وعماله حد العجز عن ضبط الأمور فانتشرت الفوضى وضرب الفساد إطنابه في العراق . عند ذلك قرر الهجرة وهو يحمل بين جنبيه مبادئه وعقائده لينشرها كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، فهجرته لأسباب عدة وليست لسبب واحد [٢] بالرغم من أنه عميد الأسرة العريضية بالبصرة وأبوه نقيب العلويين ، وكلاهما إلى ذلك من كبار أئمتها وزعمائها وأثريائها . فارتحل عنها سنة ٣١٧ هـ ومعه ابنه عبدالله وحفيده إسماعيل الملقب بصرى بن عبدالله وغيرهما من مواليه وحاشيته الذين يقدرون بنحو السبعين ، وترك بعض العائلة بالبصرة للإبقاء على روابط القرابة ــ والمواطنة وللأشراف والإدارة على أموالهم الضخمة وجاههم العريض . وممن أبقاه بها بنيه محمدا والحسن وعليا ونساءه حيث يقيم أعمامهم وبنو عمومتهم وفي مقدمتهم الإمام محمد بن عيسى أخو المهاجر الذي كان قد أعلن ثورة ضد الخليفة العباسي فأقنعه المهاجر بالعدول عنها حتى أقتنع [٣] . وقد أعقب أخوه وبنوه المشار إليهم بالعراق وبقي الاتصال بين الشعبتين الحضرمية والعراقية مستمرا بالمكاتبة وبالزيارة فقد زار جديد بن عبدالله بن أحمد بن عيسى العراق بإشارة من أخيه علوي وكان من جملة مهام تلك الزيارة قبض أموالهم بالبصرة وتصريفها [٤] ، ومن جملتها أرض واسعة خصبة تسمى قسم . ومن أجل محبتهم للعراق ومن أجل تذكار

---

[١]. انظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني .
[٢]. انظر المبحث في جني الشماريخ بهذا الصدد .
[٣]. انظر المشرع .
[٤]. انظر المشرع .

العراق سموا فيمابعد مقاطعة قسم الحضرمية المعروفة التي غرسها نخيلا الإمام علي بن علوي خالع قسم ، سماها بأسم قسم العراقية بعد أن اشتراها بعشرين ألف دينار .

المهاجر يزور المدينة

أتجه المهاجر من العراق إلى المدينة المنورة فزار مآثرها وآثارها ومكث بها سنة ولم يتمكن من الحج ودخول مكة لاضطراب حبل الأمن ، وهذا الاضطراب هو الذي يقلقه ولا يعجبه وهو من أسباب هجرته من العراق فلم يسعه سوى التريث في المدينة حتى إذا هدئت الفتنة وكانت فتنة القرامطة الذين هجموا على الحجاج وقتلوا منهم آلافا مؤلفة من الرجال والنساء ونهبوا الأموال واستباحوا البلاد ، وذلك يجري والمهاجر وأتباعه في المدينة تصلهم الأخبار المؤسفة عنها ــ حتى إذا هدئت الفتنة كما قلنا وأمكنته الفرصة فيما بعد قصد مكة حاجا هو ومن معه فحجوا سنة ٣١٨ هـ . ومنها توجهوا توا إلى اليمن فحضرموت وقد درس في رحلته هذه عمليا أحوال اليمن وتنقل في مدنها وقراها إلى أن وصل حضرموت وقام في بادئ الأمر بنفس الدور الذي قام به في اليمن . ويقرب أن يكون قد أتصل به بعض اليمانيين الذين سار في قافلتهم كما أتصل به بعض الحضارمة أيضا فدعوه إلى الإقامة بينهم لأن مثل المهاجر في مركزه وشهرته ووجاهته أنما يكون مخطوبا ومطلوبا ــ كما انه بدوره يبحث عن المواضع الذي يطيب له ويهدأ فيه ويتمكن له أن ينشر مبادئه بين أهليه .

نهاية الرحلة

و انتهى به المطاف إلى حضرموت فتنقل في قراها وأول قرية نزل بها قرية الجبيل الشيعية بدوعن الهجرين ، وكانت حصينة وفيها أيضا بنو الصدف من قبائل كنده وهم فيما يقال سنيون . وقد مكث فيها سنوات نظم فيها اقتصادياته، فملك نخيلا وعقارا ولاتزال داره ــ موجودة بالهجرين كأثر من الآثار التي تزار ، وقد ترك أحد مواليه ويسمى شويه [1] بها قبل أن يغادرها و أكرمه بماله فيها من أمواله ولم يعرف السبب الحقيقي لمغادرته إياها .

بعد أن غادر الهجرين نزل قارة بني جشير بالتصغير وموقعها معروف عند قرية بور . والقارة هذه كندية هي والمقاطعة التي تقع غربها إلى حدود شبام [2] وفي أهلها سنيون فأنزل عائلته فيها وأستقروا بها وقد يبارحها لمدة وجيزة إلى غيرها كتريم ثم يعود إليها .

لعل المهاجر لم يتخير الإقامة في المواضع التي أشرنا إليها إلا لوجود أنصار له بها من شيعة وسنيين ، وكان المذهب السائد في حضرموت إذ ذاك هو المذهب الأباضي ولأهله السلطة فيها ، ولم تكن سلطة الزياديين أو اليعافرة في تلك الفترة إلا اسمية فقط ، حيث كان قدومه أيام (أبي الجيش) المار ذكره ، و اليعافرة قاموا بثورة ضد الزياديين في ذلك العهد أيضا كما سبق أيضا .

أما موقف المهاجر مع الأباضية فقد أسلفنا الكلام عنه تحت عنوان (موقف الأباضيين) .

---

[1]. شويه بفتح الشين وكسر الواو وسكون الياء المثناة وله ذرية لا يزال بعضهم موجودا بحضرموت .
[2]. انظر جني الشماريخ .

ثقافة المهاجر وعلومه و تقاه

نشأ بين آبائه وأعمامه من أئمة ونقباء وعلماء في بيئة تزخر بالعلم والنبل والفضل ، وفي بلد تموج بكبار العلماء فدرس العلوم الإسلامية إذ ذاك من حديث وتفسير وفقه وأدب وتاريخ إلى العلوم العقلية على أولئك وتثقف بثقافة أهل ذلك العصر .

وقد اجمع المؤرخون القدماء [١] والمعاصرون [٢] على تقاه وصلاحه .

مذهب المهاجر

المعروف أن مذهب المهاجر هو المذهب الشافعي السني كما تصرح بذلك المصادر [٣] ولكن من المعلوم أن المهاجر وإن كان يعتنق مذهب الشافعي ـ لا يقلد الشافعي تقليدا أعمى فهو أجل من ذلك ... كيف وأمامه الكتاب والسنة اللذان عليهما أساس مذهب الشافعي . وكذلك عقائده الإسلامية هي عقائد آبائه وأجداده كالباقر وزين العابدين إذ لا تنافي بين عقيدة أئمة أهل البيت القدماء وبين عقيدة أهل السنة كما تصرح بذلك الكتب المختصة [٤] اللهم إلا إن كان في مسائل معروفة . بل الشافعي رضي الله عنه نجد في نثره ونظمه تشيعا معتدلا لأهل البيت وهذا لا يخرجه عن سنيته . وبذلك يتضح أن المهاجر على مذهب الشافعي الذي يراه كمذهب آبائه [٥] وبلغني أن بعض مؤرخي هذا العصر يقول أنه إمامي

---

[٣]. من كتبهم الجوهر للخطيب وقلادة النحر لبا مخرمة والتحفة النورانية لبا وزير .

[٤]. من كتبهم صفحات من التاريخ الحضرمي لبا وزير وكتاب في جنوب الجزيرة العربية للبكري .

[٥]. منها المشرع وأمهاته .

[٦]. منها الفرق بين الفرق البغدادي .

[١]. قال العلامة أبو بكر بن شهاب

مذهبي بمذهب الوصي أبي السبطين فالحـق دائر حيث دارا

وبنيه الأئمة العلويين   الألى حولوا العتيم نهارا

ثم قال :

ولنا الشافعي خير إمام   إن وجدنا في النقل عنهم غبارا

المذهب [1] ولكن المصادر التي أشرنا إليها لا تؤيده ولا تؤيد ما يبنيه عليه ، ومما ذكرته أيضا أخذ أبنه عبدالله عن أبي طالب المكي السني وهو نسخة طبق الأصل لأبيه كما سيأتي .

فكيف لا يكون المهاجر شافعي المذهب ؟ وهو الذي قام بنشره أو إدخاله حضرموت [2] لما ورد إليها وكانت السلطة السياسية والمذهبية بها نهبا مقسما بين الأباضية و الزياديين و اليعافرة[3] وكان مذهب الأباضية هو المذهب السائد فيها ولهم بها نفوذ كثيرا لم يكن نفوذ الآخرين إزاءه اسميا فقط ، فاستطاع المهاجر بعلمه وقوة عارضته وشجاعته أن ينشر مذهب الشافعي السني بحضرموت حتى حل محل المذهب الأباضي تدريجيا طبق سنة التطور المذهبي ، وبفضله وفضل تلاميذه من أهل السنة كما قدمنا انقلب القطر الحضرمي بلدا شافعيا سنيا ولم ينته القرن السابع حتى تلاشى المذهب الأباضي بتاتا من حضرموت وعمها المذهب السني .

ويرى بعض مؤرخي هذا العصر أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة أو بالأخص من علماء الشافعية بحضرموت قبيل ومنذ قدوم المهاجر إليها ، فهو في نظره ليس أول من نشر مذهب الشافعي بها فحسب بل إليه يرجع الفضل بمقتضى ما يقول في أنه أول من أدخله إليها ونشره .

ومما ركز بحثه عليه أن التاريخ لم يذكر لنا أسم أحد من العلماء في ذلك العهد سوى المهاجر وبنيه [4] حتى القرن الخامس [1] .

---

[2]. هو العلامة ابن عبيد الله في كتابه نسيم حاجر والسيد صالح بن علي الحامد في تاريخه المخطوط كما بلغني ولم أطلع على مصدريهما وقد خالفهما السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه أثمد البصائر مخطوط ، وذكر فيه أن مذهب الأمامية إنما أسس بعده ، كما خالفهما السيد عبد الإله بلفقيه أيضا . وأمامي نسبة إلى الأئمة الأثني عشر وهم المنتظر والهادي والجواد والعسكري والرضا والكاظم فآباؤه إلى الإمام علي والحسن ومذهب الإمامية هو المذهب الرسمي في إيران وينفرد عن المذاهب الإسلامية في بعض الأمور .

[3]. إذا قلنا برأي من يقول أنه أول من أدخ مذهب الشافعي إلى حضرموت وسيأتي قريبا .

[4]. تقدم الكلام عنهم .

[5]. هو السيد عبد اللاه بلفقيه في رسالته بحث في التاريخ المعاصر للحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت قبيل ومنذ قدوم المهاجر وهي مخطوطة يرد بها على ما جاء في كتاب صفحات من التاريخ الحضرمي لأبي وزير عن وجود مذهب الشافعي بحضرموت من قبل عصر المهاجر ، وفي جني الشماريخ للحداد ما يؤيد كلام أبي وزير لكن صاحب الرسالة نقل عن المؤيدي في كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن المطبوع بألمانيا وعن أبي حوقل بواسطة ابن خلدون ما يؤيد رأيه .

وقد قام بنفس الدور في مهرة حفيده الإمام محمد بن علي صاحب مرباط حيث نشر بها مذهب الشافعي بعد قرنين من الزمن تقريبا [٧] .

أمواله ومكارمه

للسيد المهاجر أموال كبيرة بالعراق ـ كأمثاله من زعماء أهل البيت ـ وقد أخذ بعضها معه لم رحل مما خف وزنه وغلا ثمنه وقد أنفق النفقات الكثيرة في رحلاته ، واشترى في حضرموت عقارا ونخيلا بكميات كبيرة ولكنه كريم جدا ، فيسمح بماله قدر عظيم من المال كآبائه الكرام في الخير وقد تقدم ذكر ما يدل على ذلك .

وفاتـــــــــه

توفي رضي الله عنه بحضرموت بالحسيسة والصحيح أن وفاته كانت ٣٤٥ هـ وقبره معروف في جبلها الجنوبي ويعد من المآثر يقف أمامها من يقدر عظماء الرجال ويزور مآثر الأبطال ، فأقامته بحضرموت إلى وفاته قد استغرقت ربع قرن تقريبا ، كان له فيه الأثر البالغ في تطورها المذهبي وفي نشر الأخلاق الإسلامية العالية .

---

[٦]. وأول من عرف من بعد المهاجر وبنيه من علماء أهل السنة أبو المكارم الخطيب وهو القرن الخامس ويحيى بن عبد العظيم الحاتمي ومحمد بن أحمد الحاسب وقد تقدم ذكرهما وتوفيا في أوائل القرن السادس .

[٧]. انظر عقود الألماس وستأتي ترجمه صاحب مرباط .

ابنه الإمام عبدالله بن احمد بن عيسى

نشأ هذا الإمام بالبصرة وشب فيها في نفس البيئة التي وصفناها في ترجمة أبيه وتلقى تلك العلوم العقلية والشرعية والعربية التي تلقاها أبوه عن أولئك العلماء وتفوق بصورة خاصة في علم الحديث ويعد من كبار

حفاظه . ومن شيوخه الإمام أبو طالب المكي شيخ أهل السنة المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ومن البديهي أن يعد أبوه الإمام المهاجر في مقدمة شيوخه وقد تأدب بآدابه وهذا الشبل من ذاك الأسد .

أول صوفي عرف بحضرموت

لم يذكر التاريخ اسم صوفي بها قبله وكما ذكرنا أن شيوخه أبا طالب المكي فقد تلقى عنه علم التصوف وقرأ عليه كتابه قوت القلوب ، ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف وأخذ عنه بقية مؤلفاته ومروياته ، كما أن أبا طالب بدوره اعترف له بطول الباع في العلوم وكل ذلك لما حج سنة ٣٧٧ هـ وقضى مدة بمكة .

والتصوف الذي نعنيه هو الذي يبحث عن أدواء القلوب المعنوية وعن كيفية التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل غي دائرة التعاليم الإسلامية السمحاء وهو منتشر بين علماء حضرموت الكبار ولكنه مع الأسف أن البعض يفهمه بالطريقة العكسية لما يراد منه وربما تكلمنا عنه يأتي عند ذكرنا لانتشار طريقة الفقراء في حضرموت أوائل القرن السابع .

رحـــــلاته

له عدة رحلات منها رحلته مع والده لما هاجر من البصرة إلى حضرموت ومر في طريقه بالحجاز واليمن .

ومنها رحلته إلى مكة هذه التي أشرنا إليها للاستزادة من العلوم والمعارف والتجارب في الحياة أداء النسكين .

وتذكر بعض المصادر [١] أنه تلقى عن العلماء باليمن ويحتمل أن يكون قام برحلة خاصة إليها ، أو في أثناء أحدى الرحلتين السابقتين آو كلتيهما

اقتصادياته ونفقاته في سبيل اللّه

لعله لما كانت نشأته بالبصرة وفيها النخيل الكثير استكثر منه بحضرموت وذكروا أنه أحب أمواله إليه ، والواقع أن النخل يستفاد من كل جزء من أجزائه مما يدلنا عل أن هذا الإمام من رجال الاقتصاد العملي .

وله أطيان كثيرة واسعة غيرها من الأموال كما كان لوالده أيضا أم صدقاته ونفقاته فكان إذا أدرك ثمر عام يتصدق بما بقي من محصول العام الذي قبله من تمر وحب ويقول : هذا شكر نعمة هذا . وتذكر المصادر أنه كان يقوم بالنفقات على كثيرين من مستحقيها وبلغ من تجيعه للأدب والشعر أنه يجيز رجالهما الذين يتقدمون إليه جوائز سنية .

ولما انتقل من الحسيسة بعد وفاة والده إلى قرية سمل وهب أرض سوح كلها وهي إحدى ممتلكاته لمولاه جعفر بن مخدم وسكن سمل واشترى فيها عقارات وألقى بها عصا التسيار حتى توفي بها سنة ٣٨٣ هـ .

---

[١]. المشرع .

أخلاقه وتواضعه

عرف الإمام عبدالله بالأخلاق العربية والإسلامية العالية من كرم وإباء وجد وإخلاص ونشاط في الأعمال ، وتتجلى فيه ظاهرة التواضع ونكران الذات إلى درجة أنه يصغر اسمه فيقول عبيد الله بدلا من أن يقول عبدالله ويستحسن من أصحابه أن ينادوه به حتى عرف به رضي الله عنه .

تلاميذه

ومن المعلوم بالطبع أنه له تلاميذ كثيرين في وطنه حضرموت وفي البلاد التي حدث ودرس فيها ، وقد ذكرت المصادر لنا منهم أسماء بنيه العلماء الثلاثة : بصريا وعلويا وجديدا وترجمت لهم تراجم خاصة ، كما للكثيرين من سلالتهم في كتب التاريخ العديدة ، وواجبنا كمؤرخين وكما هو الواقع أن نعترف بان أسرة المهاجر هي من أشهر الأسر الحضرمية وأخصبها برجال العلم والفضل والإصلاح [١] أن لم تكن أشهرها وأخصبها بمن ذكروا على الإطلاق ويوجد لهم من المكانة بحضرموت ما يوجد لإخوانهم في بعض الأقطار العربية والإسلامية الأخرى ، كالمراغنة في السودان و الأدارسة في المغرب وفي كل عصر ما يناسبه .

[٢]. انظر كلام الأستاذ باوزير في هذا الموضوع في كتابه : صفحات من التاريخ الحضرمي ، في ترجمته المهاجر ومحاضرة المستشرق ريبي سرجنت باللغة البريطانية المسماة : سادة حضرموت ، وغيرهما .

أنهم منذ هذا العهد وما بعده بأجيال ومن عرف من العلماء والشيوخ الحضارمة يمشون يدا واحدة على المعالم المذهبية لأهل السنة والجماعة كما تتحدث بذلك التواريخ ، ولا يعرف مستند لمن يرى غير هذا من مؤرخي هذا العصر [1] .

فعلى بنيهم أن يعتبروا أنفسهم خداما للعروبة والإسلام [2] كما كان يفعل آبائهم الكرام .

[1]. هو السيد ابن عبيد الله الذي يرى أن تأخر استيطان العلويين بمدائن حضرموت إنما هو لاختلاف المذاهب الخ ما يقوله ، ومما يستغرب أن يجعل للقطبانية الصوفية مدخلا في الموضوع إذ أنها وما إليها من علوم القوم الصوفية أنما هي أشبه برموز و اصطلاحات لا يبنى عليها شيء من الأحكام .

[2]. قد قدمنا ما نراه من أن العروبة والإسلام متفقان .

الدور الراشدي

من سنة ٤٠٠ هـ [١] تقريبا إلى سنة ٧٠٠ هـ [٢] تقريبا

هذا الدور منسوب إلى السلطنة الراشدية التي أسسها آل رشيد وهم أسرة قحطان إحدى القبائل الحميرية [٣] فهو المراد حين ينسبون إليه لا قحطان الأول وإن كان مرجع على نسبهم كعرب قحطانيين إليه . وآل راشد هؤلاء هم أبناء عمومة لبني الدغار الهزيليين سلاطين شبام وأعمالها ويلتقون في النسب عند فهد بن القيل بن يعفر بن مرة بن حضرموت بن سبا الأصغر . قال نشوان الحميري في قصيدته الحائية الشهيرة [٤] :

وبني الهزيل وآل فهد منهم   من كل هش للندى مرتاح

وذروة دورهم هذا تلي ذروة الدور الأباضي وتقدر مدة دورهم كله بنحو ثلاثة قرون ويليه دور آل يماني ويقدر بنحو ثلاثة قرون أيضا [٥] [٦] ثم الدور الكثيري الأول وتقدر مدته بنحو ثلاثة قرون ونصف [٧] وكل ذلك سيأتي إنشاء الله .

ومعلوم أن دولة كل من هؤلاء الأسر التي توارثت السلطنة على حضرموت لها مد وجزر وانبساط وانكماش وقد يعتريها الضعف حتى يكاد يقضي عليها ثم تنبعث مرة أخرى من جديد ويتجدد شبابها .

كما أن نهاية زمن السابقة يكون زمن اللاحقة وقد يطول هذا الزمن المشترك بينهما يتنازعان فيه البقاء حتى تتغلب القوية على الضعيفة كما يقع هذا كثيرا في التاريخ .

يؤخذ ممن البرد النعيم ومن جني الشماريخ .

[٤]. بمعنى أن دولتهم بقيت ذيولها بقيت ذيولها إلى آخر القرن السابع الذي في أثناء ظهرت سلطنة آل يماني كما سيأتي إمرات أخرى تقوم وتسقط ولم تدم إلا يسيرا . ويقال أن محمد بن عبد الله بن راشد ولي حضرموت ولكن لن تشتهر ولايته كأسلافه .

[٥]. ولا يتعارض هذا مع نسبتهم إلى سبأ الأصغر لأنه أما أب أو ابن لحمير الأصغر أو الأدنى على اختلاف المؤرخين . أم سبأ الأكبر فهو جد الكل وخطأ في الشامل من نسبهم إلى الأنصار وكلامه في محله .

[٦]. شرحها عبيد بن شرنبة توفي نشوان سنة ٥٧٣ هـ .

([٧]،٨) . انظر البرد النعيم للشيخ محمد عبد الله بن سليمان الخطيب الذي انتهى منه ١٠٢٥ مخطوط .

[٩]. يؤخذ هذا بالضبط لميلادها ونهايتها من تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم ويلاحظ عليه من نفس كتابه ما قاله من أنها لعبت دورها في أربعمائة سنة .

فقد بدأ الدور الراشدي وسلطة الأباضية موجودة إلا أنها إلى ضعف وتلاش وأن بقي أثر مذهبها إلى ما بعد قضاء السلطنة الراشدية عليها [١] ووقع نفس الشيء بالنسبة للسلطنة الراشدية مع السلطنة اليمانية ، فقد ظهرت الأخيرة ولسابقتها ذيول وأطراف حتى ورثتها وحلت محلها . كل هذا وقع مع عدم خلو المطاف دوما بحضرموت من أشخاص وأسر وقبائل أخرى تتجاذب الحبل أيضا مع هذه السلطنات في عهودها .

سلاطين آل راشد [٢]

تولى السلطنة الراشدية قحطان بن العوم الحميري وكان مركز سلطنته تر يم [٣] .

وخلفه ابنه أحمد بن قحطان المولود بتريم سنة ٤٣٠ هـ وقد أخرج منها إلى دمون سنة ٤٦٧ هـ فتوفي بها . ثم فهد بن أحمد المتوفى سنة ٥٢٨ هـ [٤] .

ثم ابنه شجعنة ، بن فهد المتوفى سنة ٥٤٧ [٥] وتلاه مباشرة ابن أخيه راشد بن شجعنة المولود سنة ٥١٧ والمتوفى سنة ٥٩٤ أو سنة ٥٩٣ كما تقول بعض المصادر . وبناء عليه فقد طال عهده إذ تولى السلطنة وهو شاب في الثلاثين من عمره وبقي على كرسيها مدة ٤٧ سنة تقريبا [٦] وحدثت في زمنه حروب فيما بينه وبين أمراء و قبائل حضرمية وغزاة من خارج حضرموت ولكن المعروف أن شجعنة بن راشد ابنه تولى سنة ٥٧٧ هـ . فالفراغ

---

[١٠]. انظر تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم .

[١١]. لقب سلطان أول ما عرف في أثناء العهد العباسي لم ضعف أمخر الخلافة واستبد كل قوي بسلطة مقاطعة يحكم فيها بقوته وشوكته وبقي الخليفة العباسي في بغداد خليفة صوريا وملكا اسميا لمركزه الديني والرسمي فقط والقوة في يد السلطان أو السلاطين من أتراك أو أكراد أو فرس أو غيرهم ببغداد وغيرها . وهكذا استعمل اسم سلطان إلى ما بعد حتى إلى حد أنه في حضرموت يطلق على من حكم قرية وعلى كل فرد من أفراد أسرة أي سلطان .

[١٢]. يستنبط من البرد النعيم للخطيب وعقود الألماس للحداد .

[١٣]. أخطأ في حني الشماريخ في ذكر اسمه .

[١]. لم يشر في عقود الألماس إلى وجود سلطان بين فارس هذا و شجعنة الأول ولكمن في تاريخ شنبل ما لفظه : في سنة ٥٣٩ توفى العوم بن فهد ولي بعده ابنه . ولم يذكر اسمه ولما وصل إلى سنة ٥٤٧ قال توفى فارس بن فهد و ولي تر يم راشد بن شجعنة . وقد تكون ولاية العوم ولاية جزئية .

[٢]. هكذا صرح به في عقود الألماس راشد بن شجعنة ولم يقل ثم شجعنة بن راشد . ويظهر أنه خلط بين الاثنين والمعروف ما أشرنا إليه فيما بعد ، وفي جني الشماريخ للحداد نفسه ما يثبت ولاية شجعنة ولكنه أخطأ في ذكر فارس لما قال ابن أحمد .

الذي بينها وبين سنة ٥٩٣ أنما ملأه ابنه شجعنة . و شجعنة هو شجعنة الثاني وقد خدش في سيرة شجعنة هذا الخاصة والعامة كما يعلم ذلك من تصرفات له شاذة وسيأتي ذكر بعضها [١] وقد أدى به الأمر فيما بعد إلى أن قتل واتهم أخوه عبدالله بذلك لاختلافهما في الآراء وفي السلوك ولكن عبدالله نفى ذلك وتتبع قاتليه حتى قتلهم كما سيأتي .

ثم تولى السلطان عبدالله بن راشد بن شجعنة بن فهد بن أحمد بن قحطان الشهير بالسلطان العادل المولود سنة ٥٥٣ والمتولي سنة ٥٩٣٢ هـ بطلب من أعيان الشعب [٢] حيث انتخبوه سلطان في تلك السنة بعد ما بلغ السيل الزبى من الفتن والقلاقل والفوضى واختلال الأمن . ولكن مع الأسف لم يلبث إلا مدة يسيرة مع انتخابه وفي السنة نفسها حتى قاومته بنو حارث ونهد وحضرموت متعللين بطرده والي شبام النعماني وهو أحد أبناء أحمد بن نعمان ممن يرون رأي الخوارج والسلطان ابن راشد يرى فيهم عدوه اللدود سياسة ومذهبا . ودارت بينه وبين ولاة شبام معركة في السنة نفسها في محل يقال له بيت الخوارج كان النصر فيها لهم بعد أن كان حليفه . ولكنه فيما بعد سنتين تقريبا من هذا التاريخ أي في سنة ٥٩٦ استطاع أن يعيد هيبته وأن يستولي على شبام وغيرها من مدن وقرى حضرموت الداخل ونعم بشيء من الاستقرار وطمع في الاستيلاء على الشحر فحصرها شهرين في سنة ٥٩٩ ورجع عنها واشتبك في قتال مع بني حارث أنفسهم ودارت المعركة بكحلان إلى ناحية الجنوب الغربي من تر يم . وبعد نهاية المعركة نهبوا تمر نخيل مسيلة عدم كما تتخذها القبائل المسلحة عادة قبيحة إذا حاربوا السلاطين أو تحاربوا فيما بينهم أنت يسطو على الزروع والثمار وكل ما تصل أليه أيديهم من المال .

ولم تصف له السلطنة فيما بعد فقد تحركت قبائل نهد وحصرت مدن الداخل وبعض قراها سنة ٦٠٤ . وترأس في نفس السنة راشد بن أحمد النعمان أحد سلاطين شبام حملة ضد ابن راشد ودخل تر يم كما سيأتي . ولكن لصدق ابن راشد وعلمه و إخلاصه لوطنه

---

[٣]. ومع هذا فيؤخذ من تاريخ شنبل أنه هو الذي بنى مسجد شجعنة وهو المعروف اليوم بمسجد فضل با مقاصير بتريم سنة ٥٧١ هـ وجدد عمارته الشيخ فضل بن سالم بافضل فنسب أليه .

[٤]. يظهر أنهم من منطقة تر يم .

ودينه ومال إليه الشعب واستطاع أن يستعيد هيبته مرة أخرى وذلك سنة ٦٠٦ فكانت مباركة عليه وعلى الشعب الذي نعم فيها بالهدوء والراحة واستتباب الأمن باستثناء بعض الحوادث القليلة . وكان الوادي كله عامرا زاهيا بفضل عدالته فنسب إليه وسمي وادي ابن راشد [١] . وهكذا انتزعت هذه الفترة في عهد هذا السلطان من ثنايا الدهر إلى سنة ٦١٦ ، وهي عام هجوم ابن مهدي الخارجي على حضرموت فقلب الأمور رأسا على عقب كما سيأتي ففيها اعتزل عن السلطنة [٢] وفيها قتل .

مذهب هذه الدولة وتقاليدها

ودولة آل راشد دولة سنية تأخذ بمذهب الشافعي في الفروع وبمذهب الأشعري في العقيدة فهي مخالفة للأباضية مذهبا وسياسة [٣] . اشتهر كثير من رجالها بالتقوى والعدالة والإصلاح وألمع شخصية منهم في التاريخ عبدالله ابن راشد الذي نسب إليه وادي ابن راشد ويعنون به الوادي الرئيسي في حضرموت الداخل كما ذكرنا آنفا .

وبالرغم من أن السلاطين القحطانيين سنيون يميلون إلى الخير ويكبرون رجال العلم والفضل من أخوانهم السنيين فشأنهم شأن غيرهم من الحكام السياسيين الذين لا يتورعون عن إلقاء القبض على أي شخص يشكون فيه أيا كان ومهما بلغ من الفضل والمنزلة إذا اقتضت السياسة ذلك ، بل وإلى حد السجن ودس السم والقتل جهارا خصوصا لما كانت دولتهم مهددة بالأخطار دواما من الداخل والخارج ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة .

---

[٥]. وهو من أعلا العقاد غربا إلى أقصى شعبي نبي الله هود شرقا .

[٦]. ويظهر أنه مع اعتزاله عن السلطنة لم يترك التدخل في السياسة إذا تمكن من ذلك فقد قتل بسببها رحمه الله .

[٧]. المصادر التاريخية الوثيقة تقول بهذا وفي ترجمة عبدالله بن راشد الدليل الكافي على ذلك .
أمت الأستاذ سعيد با وزير فقد تساءل في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، عما أذا كانوا يتمذهبون بمذهب الأباضية وأعتقد

فهذا الإمام علوي بن محمد صاحب مرباط العلوي لما كان يتمتع بشعبية كبيرة لما أتصف به من وفرة العقل والعلم والفضل والثروة وشرف النسب لم يتورع السلطان المعاصر له منهم ، وهو كما تقول بعض المـــــــصادر

راشد بن شجعنة [١] ، ولم يتورع عن دس السم له مرارا مع تظاهره له بالصداقة وقبول الشفاعات التي يتوجه بها إليه . وذلك خوفا من توجه الناس إليه وخوفا من أن يأمرهم بالخروج عليه كما تصرح بهذه الفقرات بعض المصادر التاريخية [٢] . وطبقا لما ذكرناه فهم حين يخشون من تصادم أي نفوذ بنفوذهم يسعون في محو ذلك النفوذ أو إيقافه على الأقل . ومع هذا فوالي تر يم الذي ضايق علمائها وصلحائها يبعد أن يكون منهم . فقد عقد مؤتمرا عاما من العلماء الصالحين وما أكثرهم في ذلك العصر وأمرهم باختيار خيارهم [٣] ولم يزالوا يختارون له حتى كانت نتيجة الاختيار على الإمام سالم بن بصري [٤] فنصب له شركا ليوقعه في مفسدة خلقية مع إحدى الفتيات الجميلات ولكن عصمه الله بفضل متانة خلقه وتقواه . وغرض الحكم من ذلك إسقاط نفوذ العلماء الثقات بين جماهير الشعب الذين قد يكونون أطوع لهم منه .

ومن تقاليدهم أنهم يدفنون موتاهم في صناديق [٥] تعظيما لهم . ولهم مقبرة خاصة بقارة أبي جرش بتريم وتحتها مقبرة أخرى تدعى ديار الحجم [٦] .

سلسلة المعروفين من سلاطين وأمراء آل راشد [٧] القحطانيين وقد أشرنا إلى من تولى السلطنة منهم بحرف السين .

---

[١]. هكذا يقول صاحب عقود الألماس ويمكن أن يكون ابنه شجعنة إذ هو معاصر له أيضا بمقتضى ما هو معروف في التاريخ .

[٢]. انظر المشرع الروي ومعنى هذا أنه يخشى أن يأمر الناس بالخروج عليه لجوره وسوء سلوكه لا لاختلاف بينهما في المذهب .

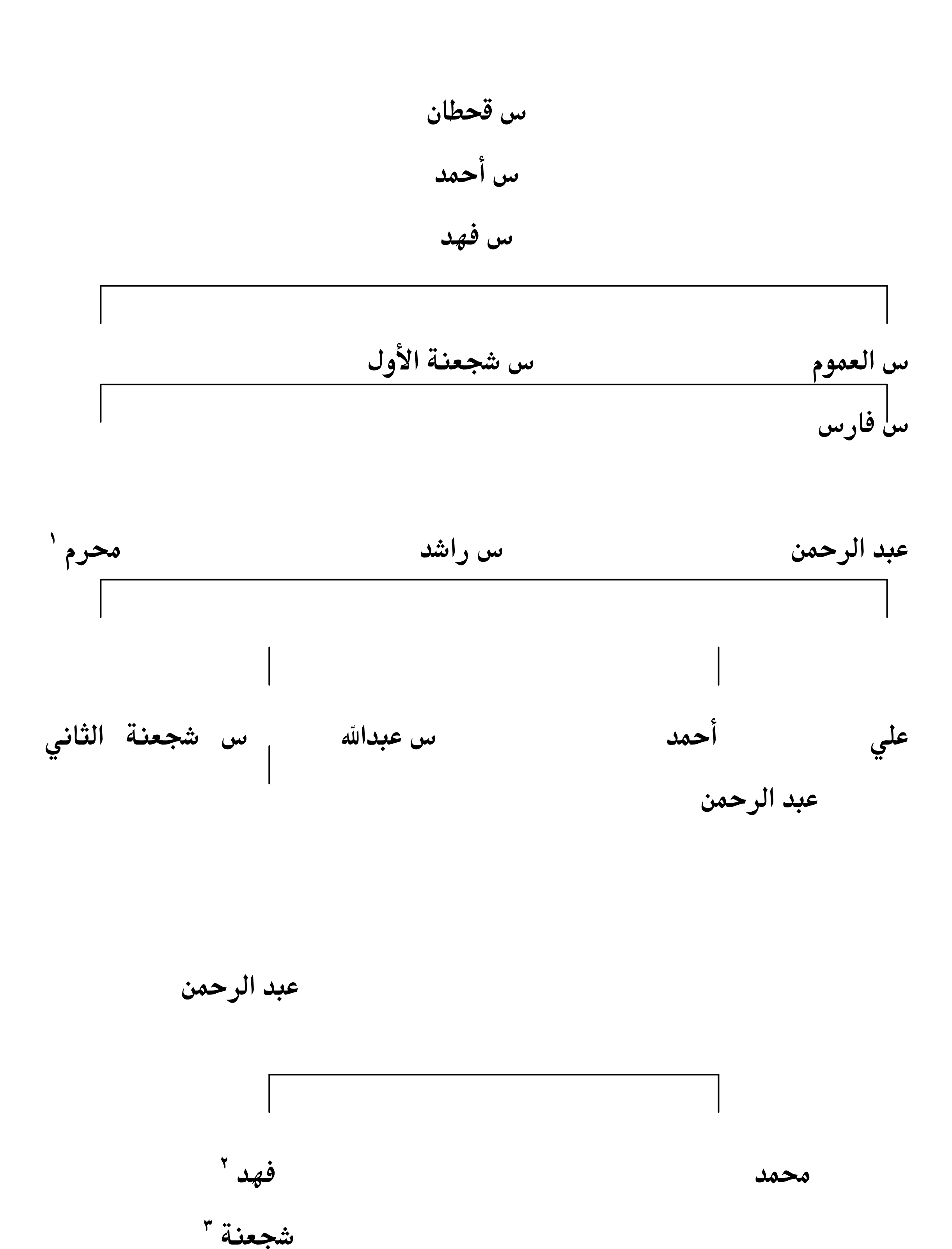
[٣]. بمعنى النقوة .

[٤]. ستأتي القضية عن تاريخ با محرمه في ترجمته .

[٥]. انظر البرد النعيم أنها صناديق خشبية خاصة ويقول بعضهم أن في نخيل شبام قبور أولياء عليها صناديق من ذهب . وينسب لأحد تلاميذ الإمام الداعية عمر العطاس ولعله يقصد ولاة بدلا عن أولياء . والتلميذ هذا هو محمد بن أحمد بامشموس كما في كتاب القرطاس فهل هم بنو عمومتهم من آل الدغار أم غيرهم والموضوع محل نظر .

[٦]. انظر البرد النعيم أيضا ، وهاتان المقبرتان قد طمستا الآن وليستا من مقابر تر يم المشهورة اليوم كما هو معلوم وقارة باجرش معروفة وهي جنوب غربي مسجده ، وقريبة منه .

[٧]. يلاحظ أنه توجد أسماء مشابهة لهذه الأسماء في بني عمومتهم من آل الدغار سلاطين شبام وفي آل إقبال سلاطين الشحر ويتميز كل عن الآخرين يتتبع التاريخ .



[٨]. قتل سنة ٥٦٧ انظر تاريخ شنبل .
[٩]. قدم سنة ٦٠٣ أي صار مقدما وقدمه أبوه على الجيش .
[١٠]. ولد سنة ٦٠٢ وبقي منهم آخرون

أمراء حضرميين آخرون معاصرون للراشديين

وحروب وهجمات من العشائر والإمارات

يوجد في بعض المدن الحضرمية يوجد في بعض المدن الحضرمية في فترات مختلفة من الزمن أمراء حضرميين تقوم إمارتهم وتسقط وليست في قوتها وأتساعها وشهرتها كالسلطنة القحطانية الراشدية وتقع فيما بينها حروب وهجمات وفتن وقلاقل أضرت بحضرموت . وبالطبع فأن عدم الاستقرار وتفرق الشمل وضياع العدل والأمن أضر شيء على المجتمع وأعظم أسباب التأخر والانحطاط .

إمارة بني الدغار بشبام

وبنو الدغار هم أبناء عمومة لبني راشد كما سبق ومن أبرز عائلات بني الدغار آل النعمان الذين قاتلهم السلطان عبدالله بن راشد حتى أذعنوا له برهة . ومن أبرزهم راشد بن أحمد بن النعمان الذي شق عصا طاعة السلطان عبدالله ودخل تر يم بعد سنوات من ولاية السلطان عبد الله بن راشد المشار إليه وهو غائب عنها وكانت إذ ذاك تموج بالفتنة والخوف . وأتفق آل حضرموت الداخل على مبايعة راشد المشار إليه ضمن دائرة الشريعة المحمدية ولم تطل مدته أكثر من عام واحد حتى قتل سنة ٦٠٥ هجرية وبعدها (أعني سنة ٦٠٦) قبض السلطان ابن راشد على أزمة الأمور من جديد وكان ذلك بمساعدة بعض قبائل الوادي ومنهم بنو الحارث وبنو حرام [١] .

---

[١]. بنو حرام بطن من كندة ومنهم بن جعفر أمراء الهجرين ونواحيها .

إمارة آل إقبال بالشحر

ومن الإمارات المعاصرة لهم أيضا إمارة أل إقبال ويقال لهم أيضا آل فارس [١] ، وقد أستولوا على الشحر وحاولوا الاستيلاء على كثير من المقاطعات الحضرمية الأخرى ولكن الحروب التي تقع فيما بينهم وبين غيرهم من العشائر وفيما بين بعضهم مع البعض الآخر كانت سببا مباشرا في عدم استمرار سلطتهم فلم تقم لهم لمدة طويلة متصلة . ونجد في بعض المصادر التاريخية أسماء كثير منهم من قتلوا في المواقع الحربية في هذا العهد [٢]
.

ومن أبرزهم راشد بن إقبال بن فارس القتيل بدوعن سنة ٥٠٩ . وفارس بن راشد بن عبد الباقي بن فارس بن راشد بن إقبال والي الشحر الذي هرب منها على تر يم حين هجم الغز [٣] على الشحر ، وقد وصل بهم أحد أفراد تلك العائلة وهو عبد الباقي بن راشد فبقيت تحت أمرهم عدة سنوات .

أما فارس بن راشد فقد توفى بتريم بعد سنة تقريبا من وصوله إليها في عهد السلطان عبد الله بن راشد وذلك سمنة ٦٠٨ هـ .

---

[٢]. إلى الآن لم أظفر بتسلسلهم إلى أي القبائل .

[٣]. انظر الشامل نقلا عن تاريخ شنبل .

[٤]. انظر الشامل الغز فصيلة من الأتراك كما سيأتي .

شراء البلاد بالنقود

ومن أمراء آل إقبال عبد الرحمن بن راشد بن إقبال ملك الشحر ، وقد استولى على حضرموت جميعها بالشراء من ولاتها سنة ٦٣٣ هـ ولكنها خرجت عن يده بعد ثلاث سنوات تقريبا من شرائها . وشراء البلدان عادة تقليدية في حضرموت استمرت إلى أثنى القرن الثالث عشر الهجري .

وقد ملك ابن شماخ حضرموت بعد عبد الرحمن المشار إليه سنة ٦٣٦ لعام واحد تقريبا فقد خلفه عليها الرسوليون ملوك اليمن بالقوة .

أما عبد الرحمن بن راشد المشار إليه فأنه توفى سنة ٦٦٤ بحضرموت بالريدة [١] .

موجات الغزو الخارجي عل حضرموت في هذا العهد استيلاء الأيوبيين عليها وهجوم قائدهم الزنجبيلي [٢]

استولى الأيوبيون على اليمن سنة ٥٦٩ بقيادة توران شاه شقيق صلاح الدين الأيوبي الشهير . فأرسل توران قوة على حضرموت حوالي سنة ٥٧٥ بقيادة عثمان الزنجبيلي ومعه بعض الجيش الذي أخضع به اليمن ، وأكثره من الغز [٣]، فاحتل الشحر واستمر في تقدمه وتوسعه يفتح ويستولي .

---

[٥]. ولم نعلم أي الريد يعنون .

[١]. الأيوبيين نسبة على أيوب بن شادي الكردي والد صلاح الدين الأيوبي الشهير الذي أجلى الإفرنج ــ عن الأماكن المقدسة بالشام ، وقائد المسلمين قائد الحروب الصليبية الشهيرة . وأما الزنجبيلي فهو عثمان بن علي الزنجبيلي نسبة إلى قرية أسمها زنجبيلة قرب دمشق ويقال له الزنجبيلي والزنجباري .

[٢]. وهم من نوع الجنس التركي كما مر .

آل راشد يقاومون الزنجبيلي

وقد قاوم آل راشد الزنجبيلي فاعترضوه بجيش منهم ومن القبائل الموالية لهم ، وأسفرت المعركة عن تقدم الزنجبيلي . وبعد أن تم استيلاؤه على حضرموت عاد إلى اليمن وترك أخاه الأسود أو سو يد نائبا عنه أبقى آل راشد على ملكهم ولكن تحت سلطته ليؤدوا له الخراج وينفذوا أوامره ، فلم يرقهم ذلك وخلعوا طاعته .

آل راشد يستقلون عن الزنجبيلي قائد الأيوبيين

من المعلوم أن حب الاستقلال و استنشاق هواء الحرية هو غاية ما تصبو إليه النفوس الأبية ، ولكنه يحتاج إلى ضمان لتحقيقه وبقاءه واستمراره ، ولهذا خلع آل راشد عثمان الزنجبيلي عامل أو نائب الدولة الأيوبية على حضرموت الذي يمثله أخوه الأسود أو سو يد كما قلت آنفا ، واسمه هذا عند الحضارمة إذ ذاك واقع على مسمى ، لأنه جلب عليهم الوقائع السوداء ، وتم بذلك الخلع لهم الاستقلال ، وفصل حضرموت عن جسم الدولة الأيوبية التي لعلها لم تحسن اختيار القادة الذين يعرفون كيف يتعاونون مع آل راشد ومؤيديهم من العلماء و الصلحاء وزعماء القبائل الذين ضحوا في سبيل هذا الاستقلال الذي أشرت إليه .

دفع الثمن غاليا

وكان ثمن هذا الاستقلال وهذه الحرية غاليا جدا فكان من نتائجه الحرب الضروس التي فيها فني أعداد كبيرة من أبناء القبائل والتي أعقبها مباشرة مجازر وأسر ونفي علماء البلاد وحكامها مما سأذكره الآن بشيء من التفصيل .

الزنجبيلي يأسر بعض سلاطين آل راشد

بعد أن بلغ الزنجبيلي ذلك جهز قوة أخرى أخضع بها آل راشد وأسر السلطان عبد الله بن راشد وأخاه أحمد ، وأرسلا إلى عدن في هذا العام نفسه . وفي سنة ٥٧٦ ألقى القبض على كل من أبيه وأخيه شجعنة ثم أطلقوا في العام نفسه .

قتل العلماء والصالحين

ودخلت تلك الحملة تر يم وفتحتها وقتلت كثيرا من علمائها وصلحائها متهمة إياهم بأنهم المحرضون لآل راشد على خلع الطاعة . ومن ناحية أخرى تذكر بعض المصادر أن الزنجبيلي متعاون مع الخوارج [١] . وأن خروجه إلى حضرموت بدعوة وترويح منهم ولا يبعد أن يحرضوا على قتل أولئك العلماء الشجعان المخالفين الخوارج عقيدة ، ولهم للغز سياسة أيضا .

---

[٣]. أنظر الجوهر الشفاف وعقود الألماس .

استشهاد الشيوخ بني أكدر

الشيخان يحيى وأحمد أبنا سالم بن أبي أكدر من أفضل علماء تر يم وأشجعهم وأبرزهم تقى واستقامة . وقد قتل يحيى شهيدا فيمن قتل من العلماء التريميين كما قتل ابن عمه القاضي أبوبكر وكان حاكما بتريم ، وأخ له فقيه وكانا راسخي الإيمان لا يخشيان الموت وبينهما مودة أخوية وعلمية . ولما قدما للسياف قال لأخيه وقد سبقه إليه : أتسبقني إلى الجنة لا بأس عليك فإلى مثلها يكون السباق [1] .

وقد استشهد غيرهما من العلماء وكانت تزخر بهم تر يم إذ ذاك أكثر وكانوا على جانب من الإقدام والشجاعة ، ولم تخل حضرموت في أدوارها كلها من هذا النوع الممتاز بوفرة العلم ومتانة الأخلاق وبعد النظر ونزاهة القصد باستثناء أواسط هذا القرن الرابع عشر الذي لا نكاد نشاهد فيه من يقوم بما قام به أولئك العلماء الشجعان [2] .

نهاية أمر الغز بحضرموت وقيادة عمر بن مهدي لهم

واستمر الغز في بقية المناطق الحضرمية يقتلون وينهبون ويفتكون وتشتبك معهم القبائل المسلحة في انتفاضات ضدهم وضد قائدهم عمر بن مهدي اليمني الخارجي العقيدة الذي انتهى أمره وامرهم في داخل حضرموت بهجوم القبائل النهدية [3] عليه في شبام وقتلته مع عدد كثير من جيشه سنة ٦٢١ هـ وأفرجت عن أولاد السلطان عبدالله بن راشد من

---

[1]. رواها بعض المعاصرين بتحريف لم نعرف مستنده بالنسبة كلك مصدر على انفراد .

[2]. الواجب على الأهالي حكومة وشعبا أن يعتنوا بإنشاء معاهد إسلامية لتخريج قضاة ومرشدين ومفتين يقومون بإنقاذ معالم الإسلام ونشر مبادئه وإحياء ما اندرس من آثاره ، وأن يقوموا بتحسين المعاهد الموجودة ويكون كل هذا بواسطة خبراء البلاد الإسلامية الأخرى ومن حضرموت ليقوموا بدور أولئك .

[3]. اختلف في المراد بنهد فبعضهم يقول المراد بها في الموضع : القبائل المتجمعة في أواسط حضرموت . ويقال هي نهد المعروفة ساكنة الكسر .

سجنه ثم استولت في هجمات خاطفة على أكثر البلاد الحضرمية ومنها تر يم حيث يوجد بها واليا عبد الرحمن ابن راشد [١] ثم عادت إلى مقرها من حيث أتت . وتقول بعض المصادر [٢] إن مسعود بن يماني الآتي ذكره هو الذي زحزحها عن البلاد وبقي يتجاذب حبل السلطة مع الغز ومع البقية من آل راشد ومع بعض القبائل الهايجة تعطشا للسلب والنهب وسفك الدماء ومع السلطان الحبوظي كما سيأتي .

فمن بعد هذا التاريخ (عام ٦٢١) إلى منتصف القرن السابع تقريبا نجد هؤلاء الزعماء المتنافسين وهم مسعود بن يماني وابن شماخ وعبد الرحمن ابن إقبال يتقاسمون السلطة بحضرموت ويتداولن مناطقها ويلعبون بها لعب الصبيان بالكرة ، والشعب الحضرمي يذوق مرارة الخوف والإرهاب والتجزئة في الداخل فضلا عن الإنفاصلية عن الشقيقات في الخارج . واستطاع الحبوظي في أثناء هذه الفترة أن يملكها .

السلطان الحبوظي وبعده الملك الرسولي يستوليان على حضرموت

السلطان الثري سالم بن إدريس الحبوظي

ينتمي إلى أسرة آل الحبوظي سلاطين ظفار بعد المنجويين ، وكان جم المطامع عالي الهمة كالكثير من اضرابه من السياسيين الطامحين إلى توسيع ملكهم بالسيف تارة وبالدينار مرة أخرى ، فاستولى على أكثر مدن حضرموت من سنة ٦٧٣ إلى سنة ٦٧٧ هـ تقريبا إذ بدء ذلك بشراء مدينة شبام سنة ٦٧٣ [٣] .

---

[٤]. يظهر أنه عبد الرحمن بن راشد بن إقبال لا عبد الرحمن بن راشد أخو السلطان عبد الله بن راشد ويستفاد هذا بتتبع تاريخ شنبل وغيره .

[٥]. منها تاريخ ابن هاشم .

[٦]. في تاريخ ابن هاشم سنة ٦٨٣ ويظهر أنه خطأ مطبعي .

وهاجم منها المدن الحضرمية في الداخل واستصعبت عليه تر يم فلم يفز منها بطائل سوى ترويع أهلها فضرب الحصار عليهم كما سيأتي ويقدر بعضهم ذلك الحصار بتسعة أشهر [١] .

وقد أمد الحضارمة بمعونة كبيرة من النقود والأطعمة لما حدثت عندهم مجاعة ستة ٦٧٦ ، ولكنها لم تكن لمجرد الأخوة الوطنية والإسلامية بل لجعلها وسيلة للاستيلاء على حصون القبائل المسلحة ومراكزهم التي سلموها إليه دافع الفاقة والقحط ، لكنه لم يضع فيها قوة كافية لبقائها تحت سيطرته فلما عاد إلى بلاده ظفار لم يلبثوا أن استقلوا بها فكان كما قال المتنبي رحمه الله :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

وأخيرا هاجم الشحر وبها الغز فدحروه منها بالرغم من استعداده لهم بقوات بحرية وبرية . وانتهى به المطاف إلى الرجوع إلى ظفار كرسي سلطنته وانتهى أمره باستيلاء الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي أحد ملوك الرسوليين [٢] باليمن عليه وعلى بلاده ، وقتله ألقى القبض على أفراد أسرته . وذلك سنة ٦٧٨ بعد حرب نشبت بين الطرفين في ظفار . ثم استولى الرسولي على حضرموت في السنة نفسها .

---

[٧]. انظر تاريخ شنبل .

[١]. نسبة إلى بني رسول ملكوا اليمن بعد الأيوبيين وينتمون إلى جبلة بن الايهم الغساني وتأسست دولتهم سنة ٦٣٠ هـ .

صدقات الحبوظي

ومع ما تقدم من قصر حكم الحبوظي بحضرموت فقد ترك فقد ترك فيها آثارا عديدة وأموالا كثيرة أطيانا ونخيلا وغيرها ، منها صدقاته و أوقافه على المعوزين بكثير من المقاطعات الحضرمية . وبالرغم من أنا لاندري عما إذا كانت أمواله خاصة أم حكومية ، وهل وصلت إليه بطرق مشروعة أم ابتزها من أموال الشعب ومقدراته ــ بالرغم من هذا فقد أنتفع منها الأهالي ولا يزالون بها ينتفعون . ولا ندري عما إذا كانت منظمة ومحفوظة كلها إلى اليوم ــ كما هو الواجب ــ أم لا .

تلك آثاره تدل عليه فانظروا بعد إلى الآثار

الحياة الاجتماعية في العهد الراشدي

الناحية السياسية

يمكنك أن تأخذ مما تقدم صورة عن الحياة السياسية إذ لا تزال الفتن والقلاقل واضطراب حبل الأمن كل ذلك يكاد يكون مستمرا في ذلك العهد إلا في فترات تبدو بين آونة وأخرى ، ومن أهمها وأبرزها مفتتح عهد السلطان عبدالله بن راشد . ويعقب ذلك الاضطراب ويصاحبه غلا ء في الأسعار ومجاعات [1] كما هو الغالب في كل الحروب من هذا القبيل .

---

[٢]. أنظر تاريخ شنبل .

الشفاعات والخفارات

وكثيرا ما تقع الشفاعات من ذوي الوجهات المعروفين بالعلم والصلاح والتقوى و الانتماء إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدى السلاطين والأمراء ورؤساء العشائر [١] فيما إذا وقع على أحد من أفراد الشعب ظلم أو ضغط أو ضريبة .
وقد يقوم بعض أولئك بخفارة القوافل في الطرق بأن يعطيهم شيئا من آثره كمسبحة أو رسالة أو نحوهما حتى ولو كانت طويلة [٢] وقد يجيرها أحد أفراد قبيلة مما يسمى ذلك بالسيارة وهو الخفير الذي يقوم بالخفارة وقد عرفته العرب منذ سابق عهود الجاهلية واستمر ذلك العمل بحضرموت إلى ما قبل هذا العصر بقليل أي بعد الحرب العالمية الأخيرة وبعد استتباب الأمن بها وتعميمه .

الزراعة والإعمار

وانتعشت الحياة الإقتصاديه في الكثير من زمن السلطنة بغرس النخيل وزرع الأطيان والاعتناء بعمارة السواقي والأودية ومن أبرزها في حضرموت الداخل وادي بيت جبير الشهير [٣] . وظهر تحسن أحوال الزراعة و انتعاش التجارة واستمرار الصناعة الوطنية كالغزل والنسيج . وقد بلغت الحالة الاقتصادية مستوى عاليا في زمن السلطان عبد الله بن راشد لما اقترنت باستتباب الأمن ونشر العدالة في الفترة الذهبية من أيام حكمه حتى أثرت عنه القولة الشهيرة بأنه لا يوجد بها حرامي ولا سارق ولا محتاج [٤] . ومعلوم أن ها في فترة من فترات حكمه كما قلنا إذ من المعلوم وجود اضطرابات كثيرة في عهده مما

---

[٣]. يستفاد هذا من كتب التراجم والتواريخ كقلادة النحو والمشرع والبرد .
[٤]. من أمثلة ذلك تسيير الإمام محمد صاحب مرباط للقوافل في أمنه ما بين أواسط حضرموت ومهرة . والضمير في (كانت) يعود على الطرق .
[٥]. ذكرها المؤرخون في ترجمة الإمام محمد بن علوي بن عبيد الله وغيره .
[٦]. في تاريخ بامخرمة حرام وكان يفتخر بذلك وقد خص بلده بأنها تر يم .

اضطره إلى التنازل عن الحكم ثم العزلة ، إلى ما قد يحصل من إرهاق الناس أحيانا بالرسوم والضرائب من بعض سلاطين آل راشد [١] خصوصا في أواخر عهدهم . فقد بلغ الخال في بعض المدن الحضرمية [٢] إلى أن السكان يغلقون عليهم بيوتهم من العشية وعطلت صلاة الجمعة ثلاثة شهور مما أدى إلى كره الشعب لهم و انحلال دولتهم وقد قيل في المحكمة المأثورة : العدل كم عمر والظلم كم دمر .

العملة :

والعملة المستعملة في ذلك العهد ومن حين استيلاء الدولة العباسية على حضرموت هي الدينار والدرهم والدانق العباسية وفيما بعد تعددت العملات في حضرموت كما سيأتي .

الأزياء

ومما عرف عنهم استعمال العمائم والقمصان والبرود المنوعة وغيرها والتمنطق بالخناجر والجنابي وتعليق السيوف على أكتافهم بواسطة حمائلها عند سيرهم ويضعونها قريبا منهم أو على أفخاذهم في مجالسهم ومنهم من يحليها ويزين أغمادها كما يزينون أثوابهم بالسجاف وبالتطريز ، وفي حروبهم يستعملون كل الأسلحة المعروفة من سيوف ورماح وأقواس و مجانيق ، وإلى أن ظهرت البندقيات في القرن العاشر فتسارع أهله إلى اقتنائها بعد أن بدء بها السلطان بدر بن عبد الله الكثيري أبو طويرق كما سيأتي . واهتموا بها وبالأسلحة التي تعد حديثة بالنسبة لذلك الزمن وما بعده ومنها المدافع ،

---

[١]. يؤخذ هذا من المشرع ومن تاريخ بامخرمة .
[١]. منها تر كما تواتر عن الشيوخ وكما في كلام بعاهم المسجل .

وبلغ بهم الاهتمام بالبندقيات إلى درجة التأليف في كيفية استعمالها وتركيب أجزائها وصب رصاصها وعلاج المصابين بها خاصة وما إلى ذلك [١] مع العلم بأن حمل السلاح لم يصبح عاما في أكثر الطوائف وقتئذ كما كان في العهد الراشدي الذي نحن بصدده فأن الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي العلوي لما بدأ بكسر السيف و إلقاء السلاح لأسباب جمة سيأتي ذكرها في محله ومنها رغبته في تعميم السلم ، صار قدوة حسنة للكثيرين ممن فعلوا ما فعل حتى أصبحت فيما بعد أكثرية الطوائف الحضرمية لا تستعمل السلاح كأمثالها

أما السيدات فيرتدين الفساتين الطويلة الأكمام والأذيال [٢] وتقنعن بالأقنعة ويختمرن بالخمر ويستعملن الأحزمة والحلي [٣] ويخضبن بالحناء كما في العهود السابقة واللاحقة ، ويختلف كل ذلك باختلاف الظروف والأحوال والمناسبات وفي الأفراح ـ والأتراح فالاستعمال لم يختلف في هذا العهد كثيرا عن الماضي والتطور لم يرتفع إلى الدرجة المطلوبة في التحسين .

الأحكام والمحاكم

وتصدر الأحكام من محاكم شرعية جلها شافعية [٤] وكثيرا ما يحدث أن يصدر أرباب السلطة من حملة السلاح أحكاما طاغوتية وقد تجتمع الرؤساء فيصدرون أحكاما في القضايا التي يرون أن يتولوها وقد يستبد الفرد المتسلط فيصدر أحكاما ارتجالية فيما

---

[٢]. ومنها كتاب البذرقة في البندقة لأحد علماء بيحان وهو مخطوط قد وقفت عليه وفيه الشيء الكثير عما ذكرته وعما يتعلق وعما يتعلق بحمل السلاح وعادات وما يسمونه بالقبولة بفتح القاف والواو واللام بميزان فعولة مشتقة من اسم القبائل ويطلقونها على القبائل المسلحة وهي التي تقوم بالأعمال العسكرية بحضرموت ويبقى العزل دواما تحت رحمتها فيما يتعلق بالسلم والحرب والأمن والخوف .

[٣]. قد مر الكلام عن الأذيال في موضوع هجوم معن بن زائدة على حضرموت .

[٤]. سيأتي الكلام عن الوقت الذي حدث فيه استعمال الأصباغ وعن المشطة التي اختلف في جوازها علماء حضرموت في القرن الثالث عشر وهي وضع التمر والطيب في شعر العروسة أياما يتلبد فيها الشعر ولا يصل إلى أجزائه الماء .

[٥]. احترزنا بجلها لوجود أباضية في هذا العهد .

يشاء كما يشاء [١] . ويكثر هذان النوعان عند اشتداد الفتن حتى إذا بلغ السيل الزبى تراجعوا فيما بينهم وتعاهدوا على تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية كما وقع في عهد السلطان عبدالله بن راشد أكثر من مرة .. وهكذا تلعب الفوضاء والاستبداد والجهل لعبها في البلاد المسكينة وعلى حساب شعبها المنكوب .

التدريس في الزوايا والمساجد

وكان التدريس إذ ذاك في مدارس يسمونها الزوايا وهي بنايات خصصت للتعليم والتدريس ومنها زاوية الشيخ سالم بافضل المعروفة اليوم بتريم ، هذا بالإضافة إلى دروس المساجد والديار . وكثيرا ما يلحقون ببعض المساجد زوايا من هذا النوع ولهم مكاتب فردية ولم أسمع عن العمومية إلا فيما بعد هذا العهد كما سيأتي عنها وعن غيرها من حدوث وسائل الثقافة بحضرموت في محاله إن شاء الله .

[٦]. سيأتي الكلام عن العهد الذي دونت فيه بعض الأحكام القبلية وعن كتاب يدعى المنع من حكم الشرع .

الحالة الثقافية

وتبرز لنا ناحية هامة من نواحي الحياة وهي الناحية الثقافية في ذلك العهد فقد كان مخصبا برجال العلوم الشرعية والعقلية والصوفية[1] والعربية إلى تقى وورع واستقامة . وارتقى المستوى العلمي إلى درجة أنه أجتمع ثلاثمائة مفتي في تر يم [2] . وفي أسر كبيرة برمتها أنجبت وأنتجت سلالات توارثت العلوم المشار إليها ، ويبرز لنا من أولئك العلويين وآل أبي ماجد وآل أبي عيسى آل أبي جواس وآل أبي أكدر وآل أبي الحب [3] وآل أبي فضل وآل الخطيب وآل أبي حاتم وهذه الأسرة بلغ من رجالها خمسة وأربعون مفتيا يجتمعون في محل واحد [4] . بل ومن الأسرة السلطانية من هم بهذه المثابة كالسلطان عبدالله بن راشد وبعض أخوته وبنيه والناس على دين ملوكهم . وقد كان كل أولئك وغيرهم يتدارسون العلوم والمعارف ويطبقون العلم على العمل في ديارهم ومساجدهم ومعاهدهم كما كان يعمل في البلاد الإسلامية الأخرى وتغب عليهم روح العلم والشرع أكثر من روح التصوف . وقد وصفهم نشوان الحميري [5] الشاعر الشهير لما زار تر يم فوجدها كالعروس بهم فقال :

رعى الله أخوتني الذين عهدتهم	ببطن تر يم كالنجوم العوائـــم
عليا حليف النجدة ابن محمــــد	وأبنا أخيه الغز أبناء حاتـــــم
ومن في تر يم من فقيه مهـــذب	وسيد أهل العلم يحيى بن سالم

---

[1]. لا يتعارض هذا مع حدوث طريقة الصوفية فيما بعد إذ المقصود هنا التصوف العام وفيما يأتي طريقة الفقراء التي يرمزون إليها بقوله تعالى : (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد .)

[2]. أنظر البرقة .

[3]. بضم الحاء .

[4]. ويوضح بعضهم فيقول أنهم يجتمعون في دكة مسجد عاشق وموقعه من أجمل المواقع بتريم أنظر البرقة .

[5]. توفى سنة ٥٧٣ وهو معتزلي ومما عيب عليه تعصبه الشديد للقحطانيين حتى أنه لا يذكر العدنانيين ويتجاهلهم ومن شعره :

فأفخر بقحطان على كل الملا ... الناس من طين وهم من عسجد

وقد أخطأ من ينسب تلك الأبيات لعلي بن محمد حاتم ولعله تمثل بها .

إلى أن قال [1] :

أولئك أهل الفضل في ظل فاضل	عظيم من الأملاك عالي الدعائم
أنست بـهم من سالف الدهر برهـة	فكانت لياليها كأحلام نـــــــائـم
وفارقتهم كرها ونار فراقهـــــــم	تأجج ما بين الحشاء والحزائــم
وهل لزمان الوصل بالوصل عودة	وهيهات ليس الصدع كالمتلائـم
ألا هل لأيام تقضين رجـــــــــعة	أو أبكي عليها بالدموع السواجم
لئن بعدت أجسامنا فقلوبنـــــــــــا	بـها الود باق غير وأهي العزائم
سلام عليكم من صديق بقلبـــــــه	جراح فراق ما لها من مراهــم

والواقع أن كثير منهم في درجة أصحاب الوجوه من أصحاب الوجوه الإمام الشافعي رضي الله عنه . ومما يدل على مقدار تبحرهم في العلوم الواقعة التي جرت للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد رحمه الله [2] .

- واقعة ابن عبيد الحضرمي مع ابن أبي الصيف أمام الحرمين –

ويحدثنا عنها أبو مخرمة في تاريخه نقدا عن الخطيب فيقول بالحرف الواحد : سافر إلى الحج (يعني أبا عبيد) في زي الفقراء المساكين وأحب أن لا يعرف فدخل مكة وهو على تلك الصفه وأمام الحرمين إذ ذاك بها فحضر عبدالله المذكور حلقة أمام الحرمين وهو مختف بذلك الزي وفي الحلقة فقهاء كثير، فألقى عليهم مسألة دقيقة غامضة جدا فلم

---

[6]. يقول أبو مخرمة المراد يحيى بن سالم بافضل ولكن المؤرخ بلفقيه يقول إنه يحيى بن سالم أكدر ويستدل بأنه أبرز وبأن زيارة نشوان والشيخ سالم بافضل حي فكيف يصف أبنه بهذا وأبوه ومن في طبقته إذ ذاك أحياء .

[7]. هز عبدالله بن عبد الحمن باعبيد صاحب الإكمال شرح التنبيه المتوفى في سنة ٦٣١ هـ انظر تاريخي بامخرمة و شنبل .

يقدر أحد من الحاضرين على جوابها فلما لم يجب عنها أحد من الحاضرين لم يتمالك عبدالله حتى زحف إلى إمام الحرمين للجواب على تلك المسألة جوابا شافيا . فلما سمع منه إمام الحرمين ذلك الجواب قال له ، من آنت فأني أظن ما على وجه الأرض من يجيب مثل هذا الجواب إلا أن يكون الإمام عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد التريمي الحضرمي فأن لم يكن هو اقتنعت . أو كما قال ، فقال عبدالله بل أنا هو رضي الله عنهما اهـ . ثم تسائل أبو مخرمة عما يريده الخطيب بإمام الحرمين هل هو إمام الحرمين شيخ الغزالي وهذا غير ممكن لفارق الزمن ، وأخيرا أجاب بأن المراد غيره ممن تلقب بهذا اللقب . ولكن بالسير التاريخي يظهر أن المراد به ابن أبي الصيف المعاصر لذلك الإمام وهو يدرس ويلقب بهذا اللقب وتقول بعض المصادر[1] : لعله أحد أبناء الإمام الحسين ابن علي الطبري ، والله أعلم .

وهناك في المدن الشهيرة بحضرموت من غير تر يم كالشحر و شبام و الهجرين ودوعن وغيرها علماء آخرون كالشيخ سعد بن علي تاج العارفين والشيخ محمد بن سالم أبي وزير والإمام محمد بن أبي النعمان الهجراني ، إلا تر يم مدينة علمية بحضرموت في ذلك العهد . فقد بلغت فيها النهضة العلمية في ذلك العهد أوج كمالها ومع ذلك فتذهب منم بعوث إلى العراق واليمن والحجاز وغيرها للأستزادة من المعارف العلمية كما يؤخذ ذلك من تراجمهم[2] .

---

[1]. عقود الألماس للحداد .
[2]. مثل ترجمة الشيخ سالم بافضل الذي غاب عن وطنه إلى العراق نحوا من أربعين سنة تقريبا .

النهضة الأدبية

ولم تخل البلاد فيه من نهضة أدبية وقد ارتفعت إلى الذروة أثناء القرن السادس وامتدت إلى أواسط السابع إذ فيها أمثال محمد بن أبي الحب الشاعر الناثر وابن عقبة الشبامي الشاعر .

المجتمعات الدينية

وقد وضعت في هذا العهد تنظيمات للمآتم وليالي رمضان فتقرأ خطب محمد بن أبي الشهيرة في مأتم الميت وأخرى عند دفنه وثالثة عند ختم القرآن عليه بعد ثلاثة أيام . وهناك قصائد ومدائح نبوية ووعظية تنشد بازجال خاصة في ليالي رمضان بعد التراويح والوتر و في غيره حزب ما بين العشاءين ولا يزال كل ذلك باقيا إلى اليوم . وهو وامثاله مدون عند المعتنين به . ولا شك أن لهم تقاليد اجتماعية في أعيادهم وأفراحهم منها ما هو باق إلى اليوم كزغردة النساء في الأفراح وأمثالها والقيام بأغنيات وحركات بمناسبة القنص والحصاد وما إلى ذلك .

وبينما من رجال العلم في هذا التقوى في هذا العهد من وصفناهم نرى في الناحية الأخرى من هم بضدهم على طول الخط من الأشرار والمخربين ومثيري الفتن والقلاقل ومحترفي الإجرام ككل زمان ومكان ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

من نوابغ الدور الراشدي

يحدثنا التاريخ عن هذا الدور بأنه ثري بالأئمة والعلماء وقد كتبت عن أفراد منهم يكادون يكونون هم الذين تحصلنا من المراجع على تراجم لهم أو سع بالنسبة للآخرين . وهناك أعلام آخرون مخضرمون بين العهدين الراشدي واليماني [١] ، ستأتي تراجمهم في دور آل يماني إن شاء الله .

إن الأفراد الذين عرضناهم قد برزوا في النواحي العلمية والاجتماعية والتربوية والتصوفية . ومنهم من برز في الناحية الاقتصادية والعسكرية والسياسية كما سيأتي .

الإمام صاحب مرباط

لقب صاحب مرباط لأنه تديرها أخر عمره وهي ظفار القديمة التي لها مكانتها في كثير من أدوار التاريخ وهو محمد بن علي بن علوي بن محمد العلوي .

تربيته ونبوغه

نشأ بتريم على طريقة أبناء الأئمة في ذلك العهد فأبوه علي خالع قسم هو الذي نشأه وهذبه وحفظه القرآن وثقفه . وبعد أ أتم تعليمه بتريم ، رحلإلى الخارج للإزدياد من المعارف والثاقافة والتجارب في الحياة . وعاد بعد إلى حضرموت وكان يد طولى في العلوم الشرعية والعقلية والعربية والتصوفية وقد استطاع أن يخرج كثيرا من النوابغ كابنه الزعيم علوي وشيخ الإسلام سالم بافضل والقاضي أحمد باعيسى وسعد الدين الظفاري .

---

[٣]. نسبة لآل يماني .

وتقول عنه بعض المصادر أنه انتفع به كثيرون في العلوم والمعارف من جميع الفرق الموافق [1] . وما ذلك إلا لاتساع علومه وعلو منزلته ولكثرة أسفاره واختلاطه بمن ليس على مذهبه .

زعامتـــــــــــــه

وإلى ما تقدم فله زعامته الاجتماعية ومكانته الشعبية وقوة الشخصية ، وله هيبة بين العشائر والسلاطين . وقد قدمنا أن القوافل تسير في خفارته حين تمر عليه ببيت جبير وهو في البلد المسماة بالعلوية حتى تصل ظفار ويقوم بدوره في تحسين العلاقات بين الدولتين الراشدية بداخل حضرموت و المنجوية [2] ببلاد مهرة مما له أثر في تحسين الأحوال في البلدين .

دوره في إدخال المذهب الشافعي إلى ظفار

ولهذا الإمام الفضل في إدخال مذهب الإمام الشافعي السنية إلى ظفار بعدما كان أهلها خوارج غلاة وقد استطاع بما له من مقدرة فائقة أن يحولهم عن عقيدتهم التي نشأوا عليها إلى عقيدة أخرى هي العقيدة السنية والمذهب الشافعي [3] . فقام بمثل الدور الذي قام

---

[1]. المشرع .
[2]. نسبة للعلويين ولم تدعم عمارتها طويلا .
[3]. انظر عقود الألماس في تحقيق الموضوع .

به المهاجر جده في ادخال أو نشر مذهب الشافعي بحضرموت ، وكما هاجر الأول من البصرة إلى حضرموت هاجر صاحب مرباط من تر يم إلى ظفار .
ومن البواعث له على ذلك الاضطراب والفتن إذ ذاك بحضرموت بين السنيين والخوارج أو الشافعية و الأباضية . فقد مثل نفس الدور أيضا وكلاهما من أئمة وزعماء حضرموت في عهديهما .

اقتصادياته

ولم يغفل الناحية الاقتصادية أيضا فمما عرف عنه أنه يقوم بالإشراف على أراضيه الواسعة في الزراعة و الغرس وتربية الدواجن وما إلى ذلك وأكثرها على أراضيه الواسعة في الزراعة والغرس وتربية الدواجن وما إلى ذلك وأكثرها بوادي بيت جبير ذات الأطيان الجيدة ، وبلغت مزروعاته مقادير هائلة إلى درجة أن إحدى خادماته تجد من كنس داره بتريم حين يبارحها للاصطياف ببيت جبير تجد ما قدر بما بين أربعين وثمانين قهاولا من الحب [١] سنويا .

[٤]. القهاول هو اثنا عشر مدا والمراد بالحب الذرة .

أخلاقه وكرمه

عرفت فيه الظاهرة التي في آبائه وبنيه من الاستقامة ورحابة الصدر وبعد النظر ونشر العلم والتضحية بالمال في سبيل الصالح العام ، فداره مفتوحة للضيوف والزوار وهي تجمع طوائف مختلفة من الضيوف أعرابا ومدنيين وعلماء وسياسيين سواء كان في تر يم أم بيت جبير أم ظفار ، لاتصال الشعب به ومحبته الشديدة له .

وله نفقات مستمرة على كثير من العائلات المحتاجة فهو يوزع أكثر أمواله دائما ما بين صدقات على المحاويج وقرى ضيوف وأمثالها .

توفى رحمه الله بمرباط وكان قد هاجر إليها كما ذكرنا فانتعشت به وانتفع به أهلها وكانت وفاته سنة ٥٥٦ هـ .

شيخ الإسلام سالم بافضل

هذا هو الشيخ سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل وينتهي نسبه إلى سعد العشيرة بن مدحج وبعضهم ينسبه إلى الأنصار ، ولكن المعروف والمتواتر هو الأول تتلمذ في حضرموت على بعض علمائها وتخرج بالإمام محمد صاحب مرباط فيها [١] .

يمتاز الشيخ سالم بالتوسع في العلوم الشرعية والعقلية والعربية ومما يدعوا إلى الإعجاب به بطول غيبته عن وطنه حضرموت لمدة قدرت بنحو أربعين عاما كلها أو جلها قضاها منهمكا في زيادة التحصيل في العراق . وقد عاد إلى وطنه تر يم وبذل نفسه لنشر العلم ونصرة المذهب السني مع أنصاره بمقارعة الحجة بالحجة كما كان يعمل غيره من علماء السنة منذ عصر المهاجر . وتذكر بعض المصادر [٢] أنه جادل المعتزلة أيضا وإذا صح هذا ــ

---

[٥]. ولا يبعد أخذه عن خالع قسم وعن تلميذه يحيى بن عبد العظيم الحاتمي .

[١]. صلة الأهل للشيخ محمد بن عوض بافضل مخطوط .

فمعناه وجود من يعتنق عقائد المعتزلة في ذلك بحضرموت ، واستصحب معه أحمالا من الكتب القيمة لينتفع بها طلاب العلوم والمعارف .

تلاميذه

وللشيخ سالم تلاميذ أصبحوا فيما بعد أئمة كبارا وفي مقدمتهم الإمام بن بصري الآتي ذكره والإمام علوي بن محمد صاحب مرباط وأخوه علي وغيرهم [١] وقد عد الفقيه المقدم من الآخذين عنه بالرغم من صغر سنه فقد توفي والفقيه في سبع سنوات .

فلسفة الشيخ سالم

والشيخ سالم شاعر فيلسوف في شعره وقصيدته الفكرية تدل على اطلاع واسع في التشريع وعلى دقة التفكير وعمقه ، وهي تنيف على مائة وثلاثين بيتا [٢] مطلعها :

أيا فاتحا بابا عظيما من الفكر   هنيئا لك الحظ الجزيل من الأجر

ويقول فيها عن الفلك : –

وفي البدر فكر كيف يبدو هلالـــه   وكيف تناهى نوره ليلة البـــدر
ومن بعد هذا صار ينقص ضوءه   إلى أن يرى مثل القلامة للظفر
ومن أعجب الأشياء تحويل نوره   إلى ما عليه كان في أول الشهر
وهذا من الرحمن لطف بخلـــقه   ليحصوا به عد الحساب بلا نكر
وسبحان من حلى السماء بزينـــة   وأتقن ما فيها من الأنجـم والزهر
ومنها نجوم لشياطين حصـــــب   ومنها الذي يهديك في البر والبحر

---

[١]. انظر المشرع وصلة الأهل .
[٢]. حبذا لو تصدى لشرحها أحد علماء الطليعة فانه سيجد مجال القول ذا سعة .

ومنها الذي جيري على الشرق دائما   ونحو غروب الشمس أكثرها ما يجري [1]

ويولج في الليل النهار ويولج النهار   على الليل البهيم الذي يـــسري

وسبحان من للطول والقصر الذي   تعاقب منه فيهما أبدا مــجري

وسبحان مجري الكل منها بقدرة   فتسبح في أفلاكها أسرع الجر

ووصف فيها عناصر الطبيعة من جماد وماء ونار ومعدن ونبات وحيوان وأثمار وبحار وغيرها ثم ذكر الإنسان ومزاجه وخلقه وغرائبه ووظائف وأعضائه ومما قال عنه :-

وأعجب أمر ما ترى العين وسعه   على صغر منها لدى الفتح والشغر

وأنبع عينا لا يغور معينهـــــا   بفك من الريق الرحيق بلا حفـــر

وفيه لسان ناطق ومترجــــــم   وفيه بيان الذوق للحلو والـــــمر

ولم يشتبه صوتان قط لسامــــع   ولا اللون من شخصين من سالف الدهر

وأعطاك أسنانا فمن بين طاحــن   ومن بين ذي قطع ومن بين ذي كسر

وأعطاك للبطش اليدين فكيف لا   تطيل اعتبارا في أناملك العشـــــر

وركب فيك الرجل للمشي حكمة   فشكرا لجدواه وأنعامه الغمـــــر

وفصل في الأعضاء منك مفاصل   مهيأة للمد والقبض والهصـــــر

وسبحان من أحياك بالروح رحمة   وكنت من الأرحام في ظلم القعر

فصرت إذا في بطن أمك قاعدا   ووجهك مصروفا إلى جهة الظهر

فلما دنى وقت الولادة نكســـت   أعاليك سفلا حين أزعجت للزحر

فصرت إلى الدنيا ومالك حيلة   فقيرا ضئيل الجسم كالفرخ في الوكر

فأحنى عليك الأم لطفا ورأفة   وغذاك منها ذلك الوقت بالـــدر

فنومك موت وأنتباهك بعــــده   حياة فكن مما وعدت على حذر

٤. أي في نظر العين .

وفي باطن الأعضاء منك عجائب تطول فلا تحصر بعد ولا حصر

ثم قال :-

وفي القلب فكرا فكيف صار ممنعا ومحتجبا في الصدر كالملك في القصر

ومهما ترمه بالتماس تحســــــــه بروحك من تلك البخارات بالســـحر

وفي الروح فأمسك فهو من أمر ربنا ودعه لما فيه من المنع والحظـــــــر

ومنها ما يشبه إلى حد كبير الأبيات المنسوبة للإمام الغزالي التي يروى عنه أنه خاطب بها الإمام الزمخشري حين سأله عن تفسير بعض الآيات التي تقصر عن فهم حقائقها الإفهام وهي : -

قل لمن يفهم مني ما أقـــــول قصر فذا شرح يــــطــــــول

ثم سر غامض من دونــــــــه قصرت والله أعناق الفحـــــول

أنت لا تعرف أياك ولـــــــــم تدر من أنت ولا كيف الوصول

لا ولا تدري صفات ركبـــــت فيك حارت في خفاياها العقــول

أين الروح في جوهرهـــــــــا هل تراها فترى كيف تجـــول

وكذا الأنفاس هل تحصرهــــا لا ولا تدري متى عنك تـــزول

أين منك العقل والفهـــــم إذا غلب النوم فقل لي يا جهـــول

أنت أكل الخبز لا تعــــــرفه كيف يجري منك أم كيف تبول

إلـــــــــى آخرها .

والمنظومة الفكرية جميلة في موضوعها وفي سلاستها وهي موجودة في بعض كتب التاريخ [١]

---

[١]. انظر صلة الأهل .

أعماله العامة

كان رضي الله عنه يقوم على الدوام بأعمال عامة بحضرموت فمن نشر العلم والثقافة ودفاع عن السنة النبوية ، إلى بناء بعض المساجد إلى تنظيم للأوقات الخيرية وذلك بتخصيصه ما بين العشاءين وما قبل الفجر كليهما لتلاوة سبع القرآن ليليا في المساجد مما لا يزال مستمرا في أغلب البلاد الحضرمية ، وله أيضا مصنفات في التفسير ويظهر أن الأيام سطت عليها ولم تبق منها باقية . ومما عرف من مصنفاته الفقهية منظومة اللمية في مناسك الحج ، وهي تعطي صورة عن مستوى رفيع في النظم وحسن الأسلوب وله وصايا نافعة في السلوك والتصوف والعبادة .

مركزه الاجتماعي

وللشيخ سالم مركز اجتماعي فقد اجتمعت فيه فضائل اكتسبها بنفسه وأعانته عليها مواهبه فهو واسع الاطلاع قوي العارضة كما يتجلى هذا في كلامه وكما يلزم من جدله لخصومه ، وقد عاش بين شيوخ وتلاميذ من الطراز الأول في حضرموت أمثال شيخه الإمام صاحب مرباط أمثال تلاميذه الذين ذكرنا بعضهم وفي مقدمتهم الإمام سالم بن بصري . وطال به العمر وخطا في الشيخوخة فزاد ذلك من تعظيم القوم له ، ولقد لقبه بعض المصنفين بشيخ الإسلام ومما قيل فيه القصيدة البليغة لتلميذه القاضي محمد ابن علي الظفاري وهي قوله : –

أبرود وشي في المواسم تنشـــــر		فمهفهف ومسهم ومحبـــر
أم عقد در بالشذور مفصـــــــــل		زان الآلي نظمه والجوهر
أم روضة أنف تبسم نورهـــــــــا		لما بكي فيها السحاب الممطر
أم طرس حبر كاد من أنــــــواره		يبيض منه الحبر حين يسطر
فالنظم سحر والبلاغة عســـــجد		واللفظ روض بالمعاني مثمر
فكأنه نيل الآمان لخائـــــــف		أو كالفقيد بـه البشير يبشــــــر
أو كالشفاء لمدنف أو كالوصـال		بــــه المتيم بعد يأس يظـــــفر
أهداه أوحد عصره من لم يزل		فوق السماك له يشاد المفخر
جرت تر يم على مجرة ذيلهـــــا		عجبا وحق لها الفخار الأكبر
فالدهر من بعد العطول متـــوج		من مجده ومطوق و مســـور
نال ابن فضل في الفضائل رتبة		لم يستطعها منجد أو مغـور
فقه ابن إدريس وأعراب الخليـــل		وما حوى سقراط و الإسكندر
فبسالم سلمت شريعة أحمـــــد		عما يؤود قناتها أو يكـــــسر
اضحى يدل على الرشاد مبينا		سبل الهدى وعن الضلال يحذر
لا زال للإسلام ينظم شملـــــه		والدين يحمي سربه لا ينفــــــر
ثم الصلاة على النبي وآلـــــــه		خير البرية والبشير والمنـذر

وفاته

توفى بتريم سنة ٥٨١ والمشهور أنه لم يقتل و إنما مات حتف أنفه ولو قتل لذكر ذلك من تصدى لترجمته من المؤرخين القدماء [١] كما ذكروا ذلك لما ترجموا لمن قتل من كبار العلماء ممن لم يكن الشيخ سالم أقل شأنا منهم ، ومن زعم قتله فأنما تمسك ببيتي شعر من قصيدة الشيخ عبدالله بن أبي بكر باشعيب وهما : –

والشيخ سالم الذي أحيا المدارس في الحجر

قتلوه ظلما وهو في محرابه يتلو السور

وكتب تعليقة عليهما بأنه يقصد الشيخ سالما أبا فضل بهما ، ولم يعلم مصدر الشيخ أبي شعيب ، ومن مؤرخي هذا العصر من تبعه منهم من استغرب كلامه ومنهم من جعله محتملا [٢] . ومثله في الغرابة ما قيل عن استشهاد الفقيه المقدم في جماعة من العلويين مع أنه غير واقع [٣] .

خيرة العلماء سالم بن بصري

هو سالم بن بصري بن عبدالله بن بصري بن عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر ولعلك لا تدري لماذا هو خيرة العلماء ؟ علماء عصره فإذا لقبناه بهذا اللقب فأنه يستحقه عن جدارة وذلك في الحادثة التي أطبق عليها المؤرخون [٤] من امتحان أحد المتولين على تر يم له بوصفه المثل لعلمائها وأخيارها وبوصفه خيارها وسننقلها فيما بعد .

[١]. مثل صاحب الجوهر وأبي مخرمة .
[٢]. تبعه السقاف في تاريخ الشعراء الحضرميين واستغربه الشيخ محمد بافضل في صلة الأهل وجعله محتملا الحداد في عقود الألماس .
[٣]. أنظر عقود الألماس .
[٤]. منهم صاحب الجوهر عبد الرحمن الخطيب وأبو مخرمة والشلي في المشرع .

أما ذلك الوالي فهو إما الزنجبيلي أو أحد بني النعمان أو غيرهم ممن يرى رأي الخوارج في إحدى الهجمات على تر يم فيستولون عليها مؤقتا [١] عندما تقع الاشتباكات بينهم وبين الراشدين . وقد عرف هذا الإمام ابن بصري بأنه على راس أهل السنة ضد الخوارج . ويبعد أن يكون الوالي من آل راشد السنيين وبفرض أنه منهم فلعله لا يعدو شجعنة الثاني الذي له بعض التصرفات الشاذة وقد أسلفنا ذكره .

علومه وثقافته

نشأ بيئة علمية بتريم وحفظ القرآن واشتغل بدرس العلوم من تفسير وحديث وفقه وأصول وغيرها من العلوم العقلية و النقلية على أئمة علماء منهم الشيخ سالم بافضل . ثم رحل إلى اليمن والحجاز للأخذ عن علماء آخرين وتخرج في علومه وأذن له في الإفتاء والتدريس على طريقة السابقين ، وهذا الأذن بمثابة شهادة على التخرج فدرس الطلبة والمستفيدين في الحرمين الشريفين .

ثم عاد إلى وطنه تر يم ونشر بها علومه ومعارفه وآرائه وجعل يروي فيها الأسانيد العالية ويفسر القرآن ويقدم أبحاثا دينية وعلمية واجتماعية ووفد عليه الطلاب معجبين به وتخرج الكثيرون منهم على يده كالعلامة محمد ابن أبي الحب وعلي بن أحمد بامروان والقاضي أحمد باعيسى والشيخ علي ابن محمد الخطيب والفقيه المقدم .

وبالرغم من كثرة العلماء في ذلك العصر أثناء القرن السادس الهجري إلى حد أنهم بلغوا بتريم ثلاثمائة ــ بالرغم من ذلك قد اعترفوا جميعا يوما ما بأن هذا الإمام هو خيرهم في علمه وخلقه وتصوفه وتقاه كما تشهد بذلك الواقعة التي وعدنا بنقلها .

---

[٥]. دواما يستولي خصوم آل راشد على تر يم فيجعلون عنها ثم يعودون إليها كما في سنة ٥٨٤ وسنة ٥٩٠ .

والي تريم يمتحن علمائها الممثلين في ابن بصري

تحت هذا العنوان ننقل حادثة المترجم له مع الوالي وهي تدل فيما تدل عليه على مثاليته رحمه الله ، وقد نقلناها عن صاحب المشرع حرفيا وقد نقلها غيره ممن سبقه وهم لا يختلفون في جوهرها فلنتركه يسوقها بتسجيعاته وبياناته قال : (ويدلك على تفاصيل فضله ومبلغ مقداره بمختصر القول وفصلهوما ذكره المؤرخون أنه اجتمع في زمنه بمدينته ثلاثمائة مفتي وطلب السلطان منهم أن يعلموه بأفضلهم فأتفقوا على أن صاحب الترجمة أفضلهم . وناهيك بها شهادة بفضله واعترافا بسمو مقداره ونبله : ثم أمتحنه السلطان بأشياء تزعزع رواسي الجبال وتخجل أكابر فحول شعرا .

كادت تزول الراسيات لهولها و لواقعها تتزلزل الآراء

فتلقاها غير مكترث بها حتى سطعت فيها أنوا كواكبه وأشرقت فيها شموس مناقبه فمن تلك الامتحانات أن امرأة بارعة في الحسن الجمال أفتتن بها الكثير من الرجال فأرسل إليها السلطان وقال لها إن فتنت فلانا أعطيتك مالا جزيلا وكساء فاخرا جليلا فالتزمت له ذلك وقالت : (هو أقرب من يمنيك إلى شمالك ، فزينة بنتها بأحسن الزينة واللباس وحلتها بأجمل حلي وحلاس فجلست له بمحل المرور عند خروجه لزيارة القبور وقالت له : إني لي بنتا مريضة أريد منك أن تقراء عليها شيء من القرآن وتدعو لها ، فذهب معها فلما دخل الباب أغلقته عليه وعلى بنتها وتعلقت البنت به وراودته في نفسها فخلع السيد نعله وضربها بها وصار موضع الضربة حزازة جذام [1] فصاحت البنت ، بأمها فدخلت عليها وفتحت الباب وخرج السيد وقد نجاه الله من قبيح دنسها ووقي من الوقوع في ظلم حندسها ، فأتت المرأة ببنتها إلى السلطان ورأى في يديها كقطع السنان

[1]. وجع وألم تقطع الجلد كما يتسع له اللفظ فأن أريد بهذا اللفظ الجذام الحقيق فيعد من الخوارق .

فأرسل إلى السيد معتذرا إليه وسأله أن يصفح عنه ويرضى عليه ، فجاء السيد سالم إليه ووجد المرأة وبنتها بين يديه . فلم يغضب السيد من ذلك ولم يتأثر مما هنالك و اعتذروا مما فعلوا وندموا على ما صدر منهم وتأسفوا وأقروا بذنوبهم و اعترفوا فقبل عذرهم ووعظهم وحذرهم وطلبوا منه الدعاء للبنت بالعافية .)

هل قتل هذا الإمام

التحقيق أنه توفي ولم يقتل كم أجمع على ذلك المؤرخون الذين هم أقرب إلى عصره ومن يليهم باستثناء بعض نسخ التاريخ شنبل فقط [1] ، وعلى التنزل بأنه قتل فهو ليس قتيلا لآل راشد لأن الوالي منهم إذ ذاك عبدالله بن راشد وهو صديقه وعلى طريقته ، على أن تر يم إذ ذاك وفي الفترة التي توفي فيها مهددة بالحصار والهجمات من قبل أعداء عبد الله بن راشد وقومه [2] وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ .

الشاعر الناثر محمد بن أبي الحب

هو العلامة محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي الحب بضم الحاء من آل أبي الحب المنسوبين إلى الأنصار أو إلى قريش على اختلاف في ذلك . وهذه العائلة معروفة بتعداد العلماء و الصلحاء فيها فأبوه وأعمامه وأبناؤه فضلاء علماء . وقد هاجرت هذه الأسرة من ظفار إلى تر يم في القرن السادس ، وهي من الأسر التي تقوم بإلقاء الخطب في حضرموت

---

[2]. هو تاريخ لحوادث السنين مختصر مخطوط لمؤلفه العلامة السيد أحمد بن عبدالله شنبل المتوفى سنة ٩٢٠ هـ ولدي نسخة منه صرح فبها بأنه توفي في يوم الجمعة سنة ٦٠٤ هـ ولم يذكر الشهر .

[3]. وبهذا يمكن أن يجاب على بعض تساؤلات الأستاذ سعيد باوزير في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية .

كما يقوم بها الخطباء المنسوبين إلى عباد بن بشر المار ذكره وذكرهم ويقول بعضهم [١] عن آل أبي الحب أنهم خطباء مقابر لا خطباء منابر ولعل مما يؤيد ذلك خطب المترجم له في المآتم وعند الدفن وهي خطب بليغة مؤثرة جدا ، وهناك أيضا أسرة عرفت بالخطابة وهي أسرة آل أبي ططة .

ثقافته

يعد ابن أبي الحب أحد أعلام الفقه والعلم والزهد والورع إضافة إلى الأدب والشعر كما يعد من الوجهاء الذين لهم وجهاتهم عند ذوي السلطنة وله قضية لطيفة استشفع فيها بواسطة بيتين من الشعر إلى والي تر يم ، وذلك أنه جد في وضع ضريبة على حضائر العطب [٢] فشكى إليه أربابها فكتب إلى الوالي يقول :

مساكين أهل العطب وارحمتي لهم
فقارا عجافا من صرير المعاجل [٣]
يرومون أهل العطب أن يلحقوا الغنى
وأين الثريا من يد المتنـــــــــاول

فقبل الوالي شفاعته وألغى الضريبة.

---

[٤]. هو الخطيب في برد النعيم .
[١]. القطن .
[٢]. المعاجل جمع معجل وهو بلغة أهل حضرموت ما تدور عليه العجلة من حديد أو خشب حتى يسنى عليها .

خطبه وأشعاره

أما خطبه فهي بليغة جدا ويجري فيها وفي ترسله على طريقة التشجيع شأن أبناء عصره ومن بعدهم إلى وقت قريب ، وأبلغها الخطب الوعظية المتداولة بتريم التي تقرأ بمناسبة الوفيات ، وعلى خطبه الأخرى أيضا ورسائله صبغة تصوفية ووعظية .

ونورد على سبيل المثال فقرات من رسالته للإمام المحدث ابن جديد الآتي ذكره قال : (سلام على حضرة سيدنا الفقيه الأجل ورحمة الله وبركاته من أخ له مقيم على عهده ، مستقيم على وده لا يألوه جهدا في الناصحة ولا يفصم عروة المصالحة ، يقيم كتابه منه مقام المصافحة وخطابه له مقام المناوحة يلاحظ بعين أفكاره على داره ويخاطبه بلسان تذكاره ، على بعد مزاره) ثم عزاه في أخيه عبدالله المتوفى بتريم عزاء جميلا إلى درجة أنه أثر على المعزى فعاد إلى وطنه . والرسالة برمتها مذكورة في بعض كتب التاريخ [1] .

و أما أشعاره فهي متينة بليغة ينتقي لها معاني جميلة فيصبها في قوالب فصيحة ، ومنها قصيدته وصف تر يم حين يقول :

تجنب أرضك الوبأ الوخيــــم	وجانب سوحك السدم السديــــــم
فلا زالت مصححة النواحــي	فلا يلقى بها أبدا سقيـــــــــــــم
رياح لواقح الأرواح فيـــــها	ولا يوم تهب بهـــــــــــا عقيم
تعدها السموم فلا سمـــــــوم	تهب بل السموم هو النسيـــــــم
ومن كانون في كن مكيـــــن	فليس على مواردها يحـــــــوم
مجاج مياهها فيه شفـــــــاء	إذا مجت على الأرض الغيـــوم
نسيم جنوبها أبدا صحيــــــح	وطبع الجو فيها مستقيـــــــــم
وطبع مياهها في الصيف برد	وأيام الشتاء هي الحميـــــــــم
تعادل حرها والبرد فيهــــا	فلا برد يضر ولا سمـــــــــوم
وطبع البرد فيها فيه لطــــف	بطيب نسيمه تنمو الجـــــسوم

[1]. أنظر المشرع .

وحر الشمس فيها ليس يؤذي ... وبرد شتائها أبدا سليـــــــــــــــم

بلاد طاب مسكنها و طابـــت ... مباركة لها رب رحيـــــــــــــــم

فلو نظرت فلاسفة إليهــــــــا ... لقالوا جنة الدنيا تر يـــــم

حمها الله من بلد وأبقـــــــــى ... (أبا بكر)[١] ودام له النعيـــــــم

وله مراثي أحسن فيها منها مرثيته في الأمام سالم بن بصري المعروفة في بعض كتب التاريخ ، وقد وصف في بكاءه عليه رحمهما الله تعالى فقال :-

أيا سالم قلبي عليك محـــــــــرق ... فلا تعذلوني أن دمعي قـــد ذرف

أكفكف دمعي من حياء وحشمة ... ومهما كففت الدمع من ناظري وكف

وكنت إذا ما أنهل دمعي بعبـرة ... وقلت يا دمع حسبك كف كـــــــــف

أأجحده إحسانه وصنيعــــــــــــه ... و أنساه لما أصبح اليوم في الجــرف

ومن الذي ينسى صنائع سالــــم ... وكم منة أسدى وكم محنة صــــرف

فموت ابن بصري على الدين ثلمة ... وفقد ابن بصري لظهر العلا قصف

لقد كان بدرا يستضاء بنــــوره ... وبحرا من المعروف من زاره غرف

وكان أبيا لا ينال منالـــــــــــه ... ولكن إذا للحق صرفته أنصــــرف

---

[٢]. قال بعض المؤرخين أنه يعني به عبدالله بن راشد .

وفاته

توفي بتريم سنة ٦١١ هـ والتحقيق أنها لم تعرف ولادته وإن ذكرها بعضهم على سبيل التقريب [١] .

المحدث أبو جديد

هذا هو الإمام علي بن محمد بن احمد بن جديد الحسيني العلوي وقد ولد ونشأ بتريم في بيئة علمية راقية، فكان هو وأخواه عبد الله ، وعبد الملك من المبرزين في العلم والتقى والصلاح ، وقد أخذ عن علماء تر يم ومن أبرز شيوخه بحضرموت من غير العلويين الشيخ سالم بافضل .

رحلته الأولى

وقد قام برحلة طويلة عن بلده للاستزادة من المعلوم والمعارف وغيرها فأقام باليمن والحرمين والشام والعراق وغيرها ولها شيوخ فحول وأقران في كل ما ذكرناه ، قالوا [٢] أن شيوخه قد بلغوا نحو الألف .

ومنهم بعدن القاضي إبراهيم القريظي الذي أخذ كتاب المستصفى عن مؤلفه محمد بن سعيد بن معز [٣] ومنهم بمكة بقية الحفاظ أبو عبدالله محمد بن إسمعيل ابن أبي الصيف نزيل الحرمين ، وقد أجازه على الطريقة القديمة بأن يأذن الشيخ لتلميذه في التدريس

---

[٣]. هو صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين ويقول شنبل في تاريخه أن وفاته سنة ٦٠١ .
[١]. أنظر المشرع .
[٢]. هو من الكتب المحبوبة المتداولة في فنه أحاديث وأعمال نبوية .

وقد حدث الإمام بن جديد بمكة بالكتب الستة [1] وأراد الاستيطان بها ولولا أن أعيان بلاده طلبوا عودته فعاد .

تخصصه :

أبو جديد هذا متبحر في العلوم العقلية والشرعية والأدبية إلى درجة أنه تصدر للردود على بعض الفرق المخالفة للمذهب السني ومنهم المعتزلة وقد تخصص في علوم الحديث والقرآن وهو من أكابر حفاظ الحديث ومفسريه .

أول من حذف السند:

وقد كان المحدثون حين يلقون أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسندونها عن أشياخهم حتى يصلوا بها إلى رسول الله ، ولكن الشريف أبا جديد حذف السند اختصارا ويعد في اليمن أول من حذف السند وإن إشتهر غيره في بعض الأقطار بأنه أول من حذف السند .

وقد خرج أحاديث كثيرة وجمع أربعين حديثا في فضائل الأعمال كما جمع غيره من كبار المحدثين أربعين .

عودته إلى تر يم :

قلنا في ترجمة ابن أبي الحب أنه كتب له تعزية بليغة فيمن كتب إليه ، تأثر بها وكانت في أخيه عبدالله المتوفى سنة ٦٠٨ وقد ترك أيتاما وله مركز علمي ووجاهة فعاد المترجم له على إثر وصولها إلى تر يم .

---

[3]. هي صحيح البخاري ومسلم وسنن لبن ماجة والنسائي وأبي داؤود .

الاحتفاء به :

وقد احتفى به إخوانه المواطنون احتفاء كبيرا لما يعقدونه على وجوده بها من الآمال التي من أهمها شر العلوم والمعارف ، وفعلا أبدى كفاءة تامة وتصدر للعلم والإصلاح الإصلاح الاجتماعي وتخرج عليه كثير بها كما تخرج عليه كثيرون في مهاجره سيأتي ذكر بعضهم .

لقد بذل أبو الحسن هذا كل إمكانيته لنشر العلم وصنف ودرس وبذل كتبه للطلبة وقد جاء منها بكثير من الخارج ــ كل هذا قام به بالرغم من قيام الفتن والحروب بحضرموت .

رحلة أخرى :

ثم رحل هو وأخوه عبد الملك إلى اليمن إلى الشيخ العالم الصوفي مدافع ابن أحمد العيني أحد تلاميذ الشيخ الشهير

عبد القادر الجيلاني الحسني فامتزجا بالشيخ مدافع بقريته المسماة الوحيز [1] وتزوجا ابنتيه وانتفعا به كما انتفع بهما خصوصا في الناحية العلمية والطريقة الصوفية وتوفي أخوه بها سنة ٦١٤ .

[1]. بالحاء المهملة المكسورة و الزين .

استبداد الملوك

وبينما ابو جديد مع الشيخ مدافع على عادتهما في احتساء كؤوس العلم ومزاولة العبادة إذ مر الملك المسعود بن كامل الأيوبي في طريقه للصيد بقرية الوحيز فرأى بها جمهور كبيرا فسأل عنهم فأخبر بأن فيهم رجلا عاما معتقدا من الصالحين الأخيار يعنون الشيخ مدافعا وهؤلاء من محبيه وملتمسي بركته، فقصده الملك للزيارة فكان ذلك في وقت اشتغال الشيخ با وراده وأذكاره في الصباح فقد اعتاد أن يملأ بها ما بعد صلاة الصبح إلى ان يصلي الضحى بدون أن يخاطبه أحد ، وأتفق مجيء الملك وأتباعه والشيخ على تلك الحال وخادمه يدخل ويخرج ويقول الساعة يخرج الشيخ بدون أن يشعر الشيخ بوصول الملك إليه وانتظاره ذلك الانتظار الذي طال حتى مل الأمراء وتبرموا وغضب الملك وغادر القرية ولم يقابل الشيخ بل أمر بإلقاء القبض عليه وعلى أبا جديد صهره لأنه محبب إليه وحبسهما في حصن تعز ثم أنزلهما إلى عدن ثم نفاهما إلى الهند ، فحملتهما سفينة عصفت بها الريح قرب ظفار فنزلا فيها حيث قرب ظفار فنزلا فيها حيث قابلهما الأهالي أحسن مقابلة وأخذوا عنهما وألحوا عليهما في أن يقيما بينهم فاعتذروا ووعداهم بأن ذلك ربما يكون بعد وصولهما إلى الهند ورجوعهما منها .

ثم استأنفا سفرهما إلى الهند حيث نزلا بندر دابول من الهند ، فاستقبلا من الأهالي استقبالا حسنا وظهرت وجاهتهما هناك وأخذ عنهما كثير من الطلاب حتى عادا أدراجهما بعد شهرين إلى ظفار ومكثا بها مكرمين ينشران العلم والدعوة إلى الله ، وتوفي الشيخ مدافع بها سنة ٦١٨ هـ .

أما أبو جديد فعاد إلى اليمن ينشر بها علومه وأبحاثه وقصد زبيد بصورة خاصة . ومن تلاميذه محمد بن إسماعيل الحضرمي ومحمد بن مسعود السقال والإمام ناصر الحميري

والشيخ أحمد بن محمد الجندي والشيخ محمد بن إبراهيم الفشلي والإمام عمر بن علي صاحب بيت الفقيه وغيرهم .

الإقامة بمكة

أنتهي المطاف بالإمام أبي جديد إلى مكة المكرمة حيث أقام بها يحدث ويدرس ويفتي كعلم من أعلامها حتى توفي بها ٦٢٠ رحمه الله .

أبو جديد والخوارج

استأنف الخوارج صولاتهم وجولاتهم في أيام أبي جديد هذا أواخر القرن السادس الهجري وأوائل السابع وبينهم وبين السنين عداء تقليدي وكانوا يحقدون عليهم و ينالونهم بأنواع الأذى . وقد استندوا إلى الغزاة الخارجيين من أمثال الزنجبيلي ثم عمر بن مهدي وقد سبق الكلام عنهم و تظافر من الداخل والخارج كما يحدثنا التاريخ على التخريب وسفك الدماء وإذاء الصالحين والعلماء . وبلغت ببعض ولاتهم [١] الأحقاد والحماقات إلى درجة محاولة الطعن في أنساب العلويين وهم على راس أهل السنة رغما عنة صراحتها ، فضغط عليهم وكلفهم بإثباتها بالطريقة القضائية [٢] إمعانا في الإيذاء . عند ذلك قام صاحب الترجمة بالدور الكافي لإسكات خصومهم في صراحة وتحقيق أنسابهم وأتى بالإثباتات الشرعية من العاق والحجاز إلى حضرموت فقام أئمة وعلماء

---

٢. لم تصرح لنا المصادر باسمه ولا يعدو أن يكون زنجبيليا آو نعمانيا أو مهدويا نسبة على عمر بن مهدي

[٢]. ولم يلتفت إلى التواتر الذي عليه العمدة في أنساب كل القبائل .

حضرموت بدورهم بتأكيدها ولم يعرف منهم مخالف [١] . والواقع أن آباء العلويين بن علوي سواء الحضارمة منهم والعراقيون والحجازيون مشهورون

بالإمامة والزعامة في عصورهم بحيث لا يمكن أن يندس بينهم أحد كما يشهد ذلك التاريخ [٢] .

أبو جديد والمؤرخون

توفرت المراجع التاريخية المعاصرة له وغير المعاصرة والحضرمية وغير الحضرمية في الترجمة لأبي جديد لعلو كعبه في العلوم والأخلاق ولذيوع شهرته وطول رحلاته ، فممن ترجم له في تواريخهم من المشاهير الجندي وابن سمرة والعواجي والملك الأفضل اليمني في العطايا السنية و عبدالله بن عمر بامخرمة في تكميل طبقات السبكي والطيب بامخرمة في قلادة النحر وصاحب المشرع وغيرهم رحمة الله عليهم أجمعين .

---

[٤]. انظر التفاصيل في الجوهر وتاريخ أبي مخرمة وغيرهما قال في الجوهر للخطيب وفي قلادة النحر وغيرهما واجمع على ذلك أي النسبة الشريفة العلماء والصالحون وقد أخطأ البكري في التاريخ السياسي ـ أ ـ حيث وضع فيه ما يخالفهما ويخالف الحقيقة والتاريخ أيضا مما إدعى وجوده في النسخة التي بدار الكتب المصرية من تاريخ با مخرمة . انظر في الرد عليه رسالة المؤرخ السيد عبدالله بلفقيه المطبوعة والمسماة تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري في تحككه بنسب الإمام أحمد بن عيسى فقد حقق فيما هو والسيد علوي بن طاهر الحداد الموضوع على درجة الكشف عن تلك النسخة وبيان الافتعال عليها ثم أن مبدأ با مخرمة لا يقول بما نسب إليه أما غيره من المؤرخين كالأستاذ سعيد با وزير في كتابه صفحات من التاريخ الحضرمي فقد نقلها كما هي والتاريخ كله نقل وليس لنا أن نقيم فيه لغير الحقيقة أي اعتبار .

[١]. ولهم شجرات عديدة يضبطونها منذ أوائل القرون إلى اليوم ولغيرهم من القبائل الحضرمية شجرات معروفة أيضا وقد قلنا أن العرب من الأمم التي تعتني بأنسابها فعسى أن يكون من ذلك حافز للتأسي بالآباء من كرام العرب الماضين .

السلطان الراشد عبدالله بن راشد القحطاني

هو أحد الأفراد القلائل الذين جمعوا بين العلم والحكم والعدل والفضل وقد مر الكلام عنه من الناحية السياسة أيام سلطته .

نشأته وعلومه ومعارفه

نشأ ابن راشد في وسط علمي وفي بيئة مثقفة متدينة بموطنه تر يم وقد ولد بها سنة ٥٥٣ وتحفظ بها القرآن الكريم من صغره وتوجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية حيث يوجد بها أئمتها ورجالها وه إذ ذاك كثيرون .

وقد تتلمذ ابن راشد للخصيصين في العلوم الشرعية من التريميين كالشيخين يحيى بن سالم بافضل وفضل بن أبي جواس وغيرهما .

رحلته إلى الحجاز

وفي سنة ٥٨٨ سمع الأحاديث من كبار الأئمة المحدثين المشهورين وهو ابن أبي الصيف المقدسي و ابن عســــــاكر [١] .

وأما قبل ذلك في سنة ٥٨٠ فقد قرأ صحيح البخاري على الإمام محمد ابن أحمد بن النعمان تلهجراني الرحالة الشهير [٢] .

---

[٢]. انظر تاريخ شنبل .

[٣]. نفس المصدر وعقود الألماس أما تاريخ أبي مخرمة فقال سن ة ٥٨٣ وكل هذه المصادر لم تذكر الموضع .

مشاركته في الناحية الثقافية

لقد كان ابن راشد عالما جليلا قبل أن يكون سلطانا وبعد أن كان ، ويوجد من رجال أسرته علماء كبار كعمه عبد الرحمن بن شجعنة وأخيه عبد الرحمن ابن راشد فنشأ معهم و أدرك أئمة العلويين الذين في مقدمتهم الإمام سالم بن بصري ، والمحدث علي بن محمد بن جديد و أخوه عبد الملك وغيرهم ، وقل أن تجد من علماء و صلحاء وأدباء تر يم الكبار أحدا إلا وله به رابطة زمالة أو مشيخة أو صداقة أو معرفة ، ومن أولئك الأعيان المشار إليهم العلامة ابن أبي الحب وقد أرسل الأخير إليه رسالة بليغة صدرها بهذين البيتين :

أبا علم الأفضل والجود والكـــــرم　　　وعلامة الآداب والعلم والحكــم

ويا عصمة الله التي الناس ترتجي　　　له دولة يرعى بها الذيب والغنم

وموضوع هذه الرسالة تهنئة وتشجيع على العدالة وقد نقلت بعض المصادر [١] فقرات منها بعد هذين البيتين .

أعماله العمرانية :

ولم يقتصر هذا السلطان على الأعمال العسكرية والسياسية والعلمية بل أخذت كثيرا من أهتمامه النواحي

العمرانية فقد عرف عنه أنه جدد عمارة الحصن الشهير بحصن الرناد ، ويقال له إذ ذاك مصنعة الرناد .

كما بني سور تر يم في عهده وذلك سنة ٦٠١ . قال بعض المؤرخين أنه بنى من قارة العز إلى حدر [٢] .

---

[٤]. تاريخ الطيب با مخرمة .

[١]. تاريخ شنبل وقارة العز بالزاي معروفة جنوب تر يم وأما حدر فلم يعرف موضعه بالضبط ويؤخذ من اسمه أنه في ناحية الشرق من تر يم حيث ينحدر الوادي وتسمى تلك الجهة حدرا ! وبهذا يكمل سور تر يم

أعماله العسكرية :

السلطان ابن راشد قائد حربي له شجاعته وإقدامه وتدل الحوادث الحربية على معرفته بكيفية القتال وأساليب الحروب وما تقتضيه من هجوم وانسحاب وتقدم وتأخر كما أسلفنا الكلام عن بعضها .

لماذا اعتزل الولاية ؟

إن ابن من النوع الذي يريد أن يقدم خدمة خالصة لله وللوطن بواسطة الحكم والسلطنة فهو مثالي جعل الحكم وسيلة لا غاية كما هو واجب ديني وأنساني ولهذا نجده ــ كما قدمنا ــ في فترة زاهية من عصره (ولايته) قد قر عينا حيث استطاع بعض الوقت أن يهدئ الاضطرابات ، وأن ينشر العدل والسلم والرخاء فقال قولته الشهيرة :

لا يوجد ببلادي حرامي ولا سارق ولا محتاج ، وقد تقدم ذكرها وذكر الفترة التي قيلت فيها .

ثم للسبب نفسه حيث رأىلا أنه لن يمكنه استعمال تلك الوسيلة تنازل عن الحكم مرغما للظروف الحربية والسياسية التي تكلمنا عنها ، ولم يغادر تر يم كما لم يخلع رداء السلطنة إلا كارها حيث ضغطت عليه قوة ابن مهدي وطرده بجيشه . وبقي معتزلا مدة شهور بقارة العر [١] قرب مريمة متعبدا ربه متألما من عدم موالاة أهل حضرموت له على الحق ، كما صرح بهذا لما قيل له في ترك الولاية فأجاب بهذه الجملة : ما وجدنا آل

من الناحيتين الجنوبية والشرقية ويحيط باكثر الشمال والغرب جبال شاقة والعز بالعين المهملة والزاي المعجمة .

[٢]. بالعين والراء المهملتين .

حضرموت يوالوننا على الحق [1] ، إلى أن قتل سنة ٦١٦ عن ثلاثة وستين عاما . وقاتله في هذا العام ــ كما تقول بعض المصادر [2] هو ابن مدارة الذي خرج بمعية بعض قواد ابن مهدي حتى فتك بابن راشد تحت طاحس [3] ودفن قرب قرية مريمة وقبره معروف هناك يزار رحمه الله الأبرار .

ومن المؤرخين من يروي أنه سافر ليصل بين قبيلتين متخاصمتين فقتل في الطريق ظلما لكنه قدم تاريخ وفاته فجعلها سنة ٦١٢ [4] ولعل التحقيق ما ذكرناه أولا .

هؤلاء هم من أعظم أساطين العلم والاجتماع والسياسة في عهدهم بحضرموت ولهم إتصالات وروابط وأكثرها علمية و ثقافية بالبلاد العربية و الإسلامية الأخرى ، ولهم اثر كبير في نشر المبادئ والقيم الخلقية والتعاليم الإسلامية بين طوائف الشعب . والشيء الوحيد الذي لم يستطيعوا أن يقوموا به هو نشر الأمن والودة في ربوع بلادهم وإيقاف حملة السلاح ومحترفي الغارات عند حدهم ، حتى السلطان عبدالله بن راشد نفسه الذي أمسك زمام الحكم قد إضطرته هذه الطائفة المتسلحة بما أحدثته له من مشاكل ــ أن يتنازل عن الحكم .

ومهما يك من تغلب قوى الشر على قوى الخير في أيامهم فأن مباديهم الاصلاية ومثلهم الخلقية لا تزال قائمة حية وسيكون لها الفوز في النهاية ، ولينصرن الله من ينصره .

---

[٣]. روى هذه القولة حرفيا تاريخ أبي مخرمة .

[٤]. تاريخ شنبل .

[٥]. نفس المصدر ولم نطلع على ما يفيد زيادة عما ذكره ولكن يظهر بمقتضى سياقه أن القاتل من الخوارج آو ممن يرون رأيهم . ويؤيد هذا أيضا ما في عقود الألماس .

[٦]. هو تاريخ بامخرمة وتبعه الأستاذ ابن هاشم في تاريخه لكنه قال أن وفاته سنة ٦١٥ فخالف الروايتين ولم أعرف مصدره وخلط بعض المعاصرين بين الراويتين فأخذ من إحداهما شيئا ومن الأخرى شيئا آخر .

انتهى الجزء الأول من كتاب أدوار التاريخ

الحضرمي في ذي الحجة سنة ١٣٨١ هـ

مايو سنة ١٩٦٢ م

الطبعة الثانية منقحة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

أدوار التاريخ الحضرمي

تأليف

محمد بن أحمد بن عمر الشّاطري

الجُزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه

وبعد فاني أتشرف بأن أزف إليك أيها القارئ الكريم الجزء الثاني وهو الجزء الأخير من كنابي ـ أدوار التاريخ الحضرمي ـ وسوف تتجلى لك فيه نفس الروح العربية الإسلامية التي تجدها في الجزء الأول لأنها هي الروح التي أضفت في الأصل على تاريخ رجالنا وجماهيرنا ومجتمعنا وهي التي دفعت بآبائنا العرب المسلمين إلى بناء مجد ضخم وحضاره واسعة وتاريخ مجيد ، ومهما استوردنا نحن أبنائهم بأنفسنا اليوم روحا غير هذه الروح من الخارج فانها سترجح بنا ـ لا محاله ـ إلى الوراء بدلا من أن تقدمنا إلى الأمام وقد صدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي قاد العرب المسلمين في خلافته إلى ميداين النصر وفتح لهم أبواب من الحضارة والتقدم حيث قال رضي الله عنه (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما طلبنا العزة بغيره أذلنا الله) وصدق طيب الله ثراءه فقد أعز الله العرب الذي وعاه وآمن به وطبقه هو وزملائه الراشدون ومن جاء بعده من أبطال العروبة والإسلام وشعوبهم وجماهيرهم بينما كان اليوم يضيع بين جامد وجاحد ولكن لا بد له من رجعة بحول الله وبهمة بنية المخلصين وحيوية تعاليمه ومبادئه السامية .

وجريا على طريقته المتبعة في الجزء الأول فقد عنيت في هذا في النواحي الاجتماعية أكثر وترجمت لنوابغ ومصلحين من رجال المراحل و الأدوار القادمة ، كما ترجمت هنا شخصيات عظيمة من النوع نفسه الموجود هناك في الجزء الأول إحتفظا بالميزان الذي أزن به الشخصيات وهو ميزان الإصلاح والنزاهة وغزارة العلم والثقافة والخلق القويم ليكون

قدوة صالحة للجيل الجديد ، وأما مجرد الحكم والسياسة فأنه لا يرجى شيئا بل أن معظم أصحابهم قد جنى على المجتمع بقدر ما خدم المصلحون كما أشرت من في خطبة الجزء الأول فتفظل بالرجوع إليها لتجد فيها هذا وغيره مما يتعلق بتقديم الكتاب .

وبحكم قيام بمهمة إنجاز هذا الجزء فقد إطتلعت ـ فيما يتصل به ـ كما حصل من قبل ـ فيما يتصل بالجزء الأول ـ على مؤلفات ورحلات و استطلاعات ومقالات وبينات تعرضت لتاريخ هذا القطر والحديث عنه فشوهت بعض الحقائق وصورت بعض المواقف بغير الواقع وجعلت هالة من التجميد والتعظيم على شخصيات هزيلة طفيلية ستلفها الأجيال القادمة لفا كما تلف النكرات المنكرة وترمي بها في سلة المهملات بعيدا عن احترامها و اعتبارها[1] لأنها ليست أهلا للصمود ولا للخلود وستطفو على حقيقتها للناس بعد أن يصلوا إلى درجة الوعي والفهم للتاريخ على أنه حقائق ووقائع لا عواطف و أغراض وعلى أنه الصدق بعينه وإذا لم يكن كذلك فليس بتاريخ وقد صححت كل ما هو من هذا القبيل مما له علاقة بمراحل وأدوار هذا الجزء عمليا بما وضعته فيه متنا وتعليقا من الاقتصار على تقرير الحقيقة والواقع كما عملت فيه قبله [2] .

و هذا الانحراف التاريخي الذي أشرت إليه كما يجري عندنا يجري في العالم بأسره إلا أنه بين الأمم الحية لا يقوى على الثبات ولا على الثبوت حين يعرض على محك النقد النزيه ويجري في معظم بلادنا العربية بصورة أبشع وأوسع نشئ بواسطتها ـ الجيل الجديد ـ على معلومات تاريخية خاطئة سعيا وراء الأغراض واستخفافا بعقليات الشعوب المتخلفة المغلوبة على أمرها فكثير من حملة تاريخها الحاضر لا ل يستطيعون

---

[1]. لعل من هذا الصنف فيما مضى وما رأيته من مؤرخي الحضارمه القدماء كصاحب الجوهر وصاحب قلادة النحل وصاحب المشرع حين يذكرون بعض الوقائع أو الحكايات التي لها صلة بأي من الحكام السياسيين رأيتهم يتحاشون عن ذكر اسمه وكأنهم يرون أن هؤلاء لا يستحقون أن يذكروا ويجب أن تطهر الكتب من أسمائهم ، مع أن في ها النص على أسمائهم فوائد تاريخية عامة لا تنكر وفي هذا العصر كم من الرجال سياسيين محيت أسمائهم وأزيلت صورهم بحجة أنهم أشرار خونة .

[2]. والتمس المعذرة من القارئ فيما يجده مضبوطا بالتقريب لا بالتحديد لأني متقيد بالمصادر ومسايرتها فهي لا تساعد أحيانا على الضبط الدقيق حتى بالنسبة لهذا العصر فأنك تجد المجالس البلدية مثلا لا تحصى المواليد والوفيات والسكان وبعض الدوائر الحكومية لا تدقق في اختصاصها .

وقد أشرت في خطبة الجزء الأول إلى الفرق بين المجهودين لا الفردي والجماعي وإلى واجب المسؤلين نحو التاريخ .

التحليق في سماء الجو التاريخي النزيه المتعطر بالصدق وشرح الحقائق وإنصاف الرجال .

لهذا فأن التاريخ الحقيقي لتلك البلاد العربية إنما سيأتي بعد تبعا لنضجها وديمقراطيتها وتقدمها في جميع المجالات الحيوية الأخرى وبالأخص الخلقية منها .

أرجو من القارئ العربي ـ بصفة خاصة ـ أن يستشعر حين يقرا هذا الكتاب أن يقرأ تاريخ بلاده وتاريخ رجاله حقا لأسباب عدة من أهمها التشابه الكثير بين الأقطار العربية وبين رجال تاريخها فالبلاد العربية الإسلامية في الأصل بلاد واحدة وشعوبها أمة واحدة تشعر بشعور واحد في ماضيها و حاضرها و مستقبلها ورجالها رجال الأمة والبلاد كلها وأن شتت شملها المغرضون الجناة والمتجنين عليها من بنيها ومن الأجانب الطامعين في خيراتها ولأن التخصص في تاريخ قطر ما من أقطار العروبة والإسلام يساعد ـ كما قلت في الجزء الأول ـ على إبراز تاريخنا العربي الإسلامي أجمع يتعاون عليه الاختصاصين كل عن قطره .

بل أن التاريخ العربي ـ كالتاريخ العالمي ـ كله متشابه ومتشابك ولا بد أن يكون فيه الغالبون والمغلبون والظالمون والمظلومون والمستعمرون و المستعمرون ـ يتداولون ـ كأفراد و كجامعات ـ هذه الصفات وهذه الأخلاق وهذه الرتب (وتلك الأيام ندولها بين الناس) .

الدهر كالدهر والأيام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا .

إلى أن يجيء الدور الذي يرتفع فيه بنو البشر تدريجيا عن حضيض الأحقاد والمشاغبات والحروب حتى يبلغوا في النهاية إلى مستوى ملاكي يتعايشون فيه كأخوة قد عمهم الخير والرخاء وشملتهم السعادة والنعيم المقيم .

فالتاريخ كل التاريخ يعطينا أي جزء منه العبر والعظات والدروس الكافية للسلوك الحسن في هذه الحياة حتى نصل على أفضل ما يمكن منها و (أن في ذلك لعبرة لأولي الألباب .)

دور السلطنتين اليمانية و الكثيرية الأولى

سلطنة آل يماني من سنة ٦٢٠ هـ تقريبا إلى سنة ٩٢٠ هـــ تقريبا
وسلطنة آل كثير الأولى من سنة ٨٠٠ هـ إلى سنة ١١٣٠هـ تقريبا

من أجل ربط الوقائع والحوادث التاريخية نعيد إلى الأذهان كلامنا في الجزء الأول من هذا الكتاب عن تنافس مسعود بن يماني مؤسس دولة ـ آل يماني بمساعدة إخوانه وعشيرته وابن شماخ وعبد الرحمن بن إقبال على السلطة بحضرموت و اقتسامهم هذا القطر ومداولتهم مناطقه التي يلعبون بها لعب الصبيان بالكرة ، ثم تملك السلطان سالم بن إدريس الحبوظي حضرموت في تلك الفترة ، [١] .

والسلطان الحبوظي المشار إليه قد استعان بآل كثير وهم لا يزالون قبائل متفرقة ونظمهم في جنديته ، وبعد أن أرتفع عن حضرموت إلى ظفار وقتل بها استقلت إذ ذاك بالقرى التي بين أيديها [٢]

سلاطين وأمراء آل يماني

---

١. [١]نظر صفحة ١٧٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب ط بيروت ففيها بعض التفاصيل في هذا الموضوع وسالم بن إدريس الحبوظي هو أبرز الثلاثة المنافسين على السلطة بحضرموت وفي تاريخ ابن هاشم نقلا عن كتاب هدية الزمن وغيره شرح لقضية النزاع الذي حصل بين الحبوظي هذا وبين الملك المظفر الرسولي إلى كان من نتيجته فتح ظفار وقتل الحبوظي وخلاصته أن الرسولي أرسل هدايا في سفينة إلى فارس ـ يصحبها بعض التجار فمالت بها الريح إلى ميناء ظفار حيث استولى عليها الحبوظي ليعوض بها ما فاته من أموال كان قد أنفقها على أهل حضرموت التي انتقضت عليه في حياته كما يقول صاحب هدية الزمن ويقول أيضا أنه أغرى راشد بن شجعنة صاحب الشحر الذي يؤدي خراجا سنويا للملك المظفر أغراه بعصيانه وبالميل إليه هو كجواب عملي (رد فعل) لخطاب تلقاه من المظفر فيه ترهيب وترغيب يقول فيه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا إلى جواب كتابي يقول فيه هذا الرسول فأين العذاب ولم يكتف بهذا بل تهيأ لمهاجمة عدن فكانت النتيجة أن جهز المظفر له جيوشا برية وبحرية على جيش الحبوظي الذي قتل في المعركة وقبض على أسرته ونفيت إلى زبيد وظفر المظفر بظفار وبقية حضرموت مدة غير طويلة ثم أنحسر ملكه عنها كما يعلم مما مر في الجزء الأول ومما سيأتي في هذا الجزء حيث استولى الكثيريون وغيرهم عليها .

[٢] .

أسرة آل يماني هؤلاء تنتمي إلي بني ظنه بن حرام بن ملكان الكنانية نسباً واليمانية موطناً أول[1] ولعل جدهم سمي يماني لأنه أول من جاء حي يعقوب باليمن إلى حضرموت وتقول بعض المصادر أنهم انتقلوا إلى حضرموت من جبل السراة هم وآل كثير وال جابر وبني سويد وقبائل أخرى لم يبق لها اسم ولا رسم اليوم بحضرموت انتقلوا في القرن السابع[2] و الواقع أنهم هم وآل كثير موجودون بحضرموت من قبل هذا العهد بدليل وجود أعمال لهم و تحركات حربية قبل ولعله أراد بالسابع السادس فأخطأ خطياً .

وأول والي منهم أو سلطان هو مسعود بن يماني من لبيد المار ذكره في الجزء الأول . ومقر دولته تريم غالباً وكان شجاعاً مقداماً وصفته بعض المصادر بأنه ملك حضرموت بأسرها ووصل غزوه إلى شبوه[3] وقال مصدر آخر أنه كثير اللهو والملذات[4] لكنها تجمع على أنه تاب بعد وتفقر[5] على يد الشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب بصاحب الوعل[6].

وتوفي سنة ٦٤٨هـ رحمه الله[7] وشيدت عليه أول قبة بنيت على قبر بتريم بانيها ابنه عمر الذي تنازل عن الملك له كما صرحت بذلك بعض المصادر[8] وهو معاصر للإمام الفقيه المقدم .

أما أبنه عمر بن مسعود هذا فهو الذي حاول أن يجند جيشاً من الغر الموجودين بالساحل ليضرب بهم قبائل حضرموت المناوية له ففشل وبقي يجند من يستطيع من أبناء القبائل

---

[1] أنظر البرد النعيم فيما نقله عن تاريخ الأهدل .

[2] عقود الألماس.

[3] أنظر البرد النعيم وتاريخ الطيب بامخرمة .

[4] تاريخ ابن هاشم .

[5] لزم طريقة الفقراء الصوفية .

[6] لتلقيبه بهذا اللقب حكاية طريفه هي أنه لم يجد أضخية يضحي بها في العيد ويوسع بها على عياله لضيق حاله المادي وكان يرجوا الله أن يسخر له أضحية فصادف خروج وعل كبير من الجبل الذي يقع جنب داره ولعله جبل الفريط بتريم ودخل داره فأقفلوا عليه الباب وضحى به الشيخ ، وبعضهم يعدها كرامة له من الله ولهذا سمي بصاحب الوعل توفي سنة ٦٤١هـ .

[7] كما في البرد النعيم ويوجد في تاريخ ابن هاشم صـ ٨ ـ ٢٧ تصريح بان وفاته سنة ٦١٨هـ ولعله خطأ مطبعي ولكنه في صـ ١٤ جعلها سنة ٦٤٨هـ وهو الصواب .

[8] البرد النعيم وتاريخ ابن هاشم٢ وهو يماني الأول كما في المشجر .

البدوية والحضرية وبقي عمر يستعمل أساليبه في إشغال العشائر المعادية له بعضها ببعض ليسلم من أذاها وهو الذي حاصر سالم بن إدريس الحبوظي تريم في عهده عدة اشهر فأصيب أهلها بأزمات شديدة ولم تصل فيها الجمعة أشهرا لشدة الخوف ولكنها رغم ذلك لم تسلم وأرتد الحبوظي إلى شبام ثم إلى ضفار . وقضى حياته في حروب وفتن حتى توفي سنة ٦٧٥ فتولى بعده ابنه يماني بن عمر وطالت ولايته لمدة ٢٩ سنة ولكنها مع الأسف لم تصف له لحدوث الإضطرابات التي لا تنفك عنها حضرموت من عشائرها وتوفي سنة ٧١٤هـ فتولى السلطنة بعده ابنه عبدا لله بن يماني وهو ثمرة من هاتيك الشجرة التي لم تثمر سوى العجز عن كبح جماح القبائل والمتمردين فكانوا يناوشونهم ويختل بذلك الاستقرار والأمن في دائرة سلطنته آبائه في مقاطعة تريم وما جاورها حتى توفي سنة ٧٤٥هـ أو ٧٤٢هـ على خلاف في ذلك حيث قام بالأمر بعده أخوه أحمد يمثل الدور الذي مثله سلفه في المناوشات والإصطدامات مع أعدائهم .

ومن أبرز خصومة قبيلة قارة الصنهاجة التي تبعد عن تريم بنحو ١٠ أميال والتي تبادلوا معه الاستيلاء عليها وتم لهم البقاء فيها والنصر عليه وهو معاصر لولى الدويلة العلوي وقد تنازل آخر أمره عن سلطانه لأبنه محمد المعاصر للإمام عبد الرحمن السقاف وتوفي سنة ٧٩٦هـ ، وكان ينافسه ابن عمه راصع بن دويس[١] بن يماني الذي تحرك بعد وفاة محمد هذا مطالباً بالسلطنة ومن جانب آخر يرى عبد الله بن محمد أنه أحق بعد أبيه وثارت الحرب بين ابني العم ولكل منهما مؤيدوه وأنصاره . وبدلاً من ذلك ضرب كل منهما بما عنده من قوة قوة الآخر حتى ضعفت السلطنة وزالت هيبتها من النفوس وكل منهما يحكم ويرسم ضد الآخر خصوصاً فيمن تحت سلطته وقد يتهادنان مؤقتاً ثم يعودان إلى الاشتباك بتأثر بعض القبائل المعادية لهم وفي طليعتها آل كثير الذين بدأوا يتجمعون في هذا القرن ويلمون شتاتهم ليكونوا لهم دولة تمسك بزمام الأمر في القطر .

---

[١] بضم الدال وفتح الواو تصغير دوس ولعله (كدواس) بمعنى الشجاع والأسد .

ثم تنازل راصع لعبد الله بن محمد بن أحمد ليكون الأخير هو السلطان الأول للأسرة اليمانية وبالرغم من نزاع راصع مع عبد الله فإن راصعاً لم يقصر في الهجوم والدفاع في سبيل سلطنة آل يماني كلهم المعرضة للأخطار فحارب نهدا وابن ثعلب وآل كثير وطبق المثل القائل أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الأجنبي .

وأشهر أبنائه دويس بن راصع الذي أصبح فيما بعد السلطان رقم واحد في الأسرة ويعد بالنسبة إلى سابقيه من سلاطينهم السلطان السابع أو الثامن[1] وهو معاصر لنقيب العلويين الإمام عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف[2] وللسلطان عبد الله بن علي الكثيري السلطان الثاني لني كثير وخصمه القوي الذي سجل التاريخ وقائع حربية بينهما في حياتها أثناء القرن التاسع الهجري ثم بين خلفائهما من الأسرتين وبين كل منهما وبين القبائل التي احترفت السلب والنهب والإجرام والإرهاب في القطر الحضرمي الذي لم ينعم أهله بالأمن الشامل إلا في أواسط هذا القرن الرابع عشر الهجري حين رأت الحكومة البريطانية أن من مصلحتها أن تحقق له هذا الحلم الذي طالما تمناه لتأخذ منه أغلى ثمن على ذلك وهو الاستقلال لا حباً في سواد عينيه .

وبقيت كل من السلطنتين في حالة من يمشي ويتعثر ويسقط ويتكسر حتى قضى على سلطنة آل يماني بدر بن عبد الله الكثيري أبو طويرق حوالي سنة ٩٢٧هـ حين هجم عليهم وهم في معقل سلطتهم تريم وآخر سلطان منهم عبد الله بن محمد بن أحمد بن سلطان[3] .

وقد شردوا إلى اليمن وغيرها ولم يبق إلا شرذمة منهم وعبيدهم وأتباعهم كرعايا محتكمين لآل كثير وربما يظهرون لهم العناد فيخضعونهم بالقوة كما أن السلطنة

---

[1] هذا ينبنى على عدّ راصع بن دويس سلطاناً وعدمه .
[2] وعاصره كذلك سلطان بن دويس الذي أمضى على وتيقة النقابة العلويه كما سيأتي .
[3] أنظر نسبه في المشجر

الكثيرية بقيت محتضرة من أوائل القرن الثاني عشر الهجري وسلاطينها في الحقيقة ليس عندهم سوى لقب سلطان وانطبق عليهم قول الشاعر

أسأ مملكة في موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

بقيت كذلك حتى قضت نحبها في أواسطه وآخر سلطان رسمي منهم جعفر الخامس بن عمر بن جعفر[1] وقد كتبنا لكل منهما مشجراً بحسب المصادر بين أيدينا لهواة الإطلاع على ذلك .

مشيخة فرعية لآل يماني وسلطنة فرعية لآل كثير

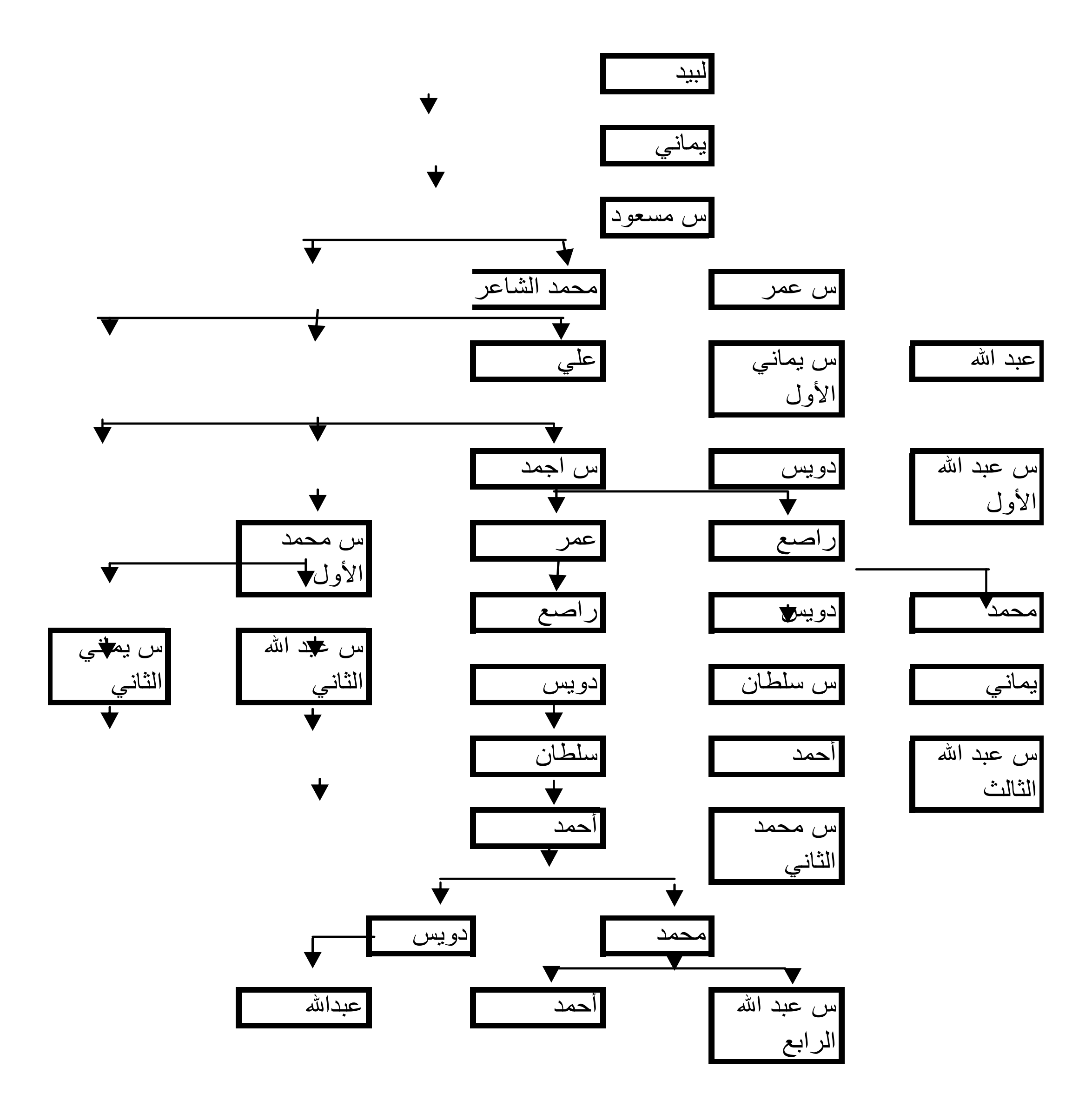
واستطاع بعض البقية الباقية من آل يماني أن يحتفظ لنفسه بشخصية ومركز بين القبائل القاطنة بضواحي تريم من آل تميم بحكم ما لآبائهم من سلطنة دائرة فأسسوا لهم سلطنة بقسم وامتدت حتى حدود المهرة ودعى الشيخ الذي يحكم هذه الرقعة بلقب المقدم ، وأول من برز منهم في القرن الثالث عشر الهجري عبد الله بن أحمد بن يماني الذي ينتهي نسبه إلى آخر سلطان من آل يماني السابقي الذكر ثم أبنه أحمد ثم أبنه علي ثم أدمجتهم الحكومة البريطانية في السلطنة القعيطية الحاضرة .

كما أن لسلطنة آلك كثير الأولى واقعاً مماثلاُ لسلطنة آل يماني حيث بزغ نجم واحد من الكثيرين دعي بالسلطان جعفر بن علي من أحفاد ابي طويرق حاول في أوائل القرن الثالث عشر الهجري هو وأمراء من بعده أحياها بعد موتها وكان لا بد من إثارة حروب واصطدامات في مواضع من حضرموت الوسطى ولكن ذلك لم يدم طويلاُ فقد تعذر عليهم بلوغ مرامهم وبقي اليافعيون وغيرهم متسلطين على البلاد .

سلسلة البارزين من سلاطين وأمراء آل يماني الأولين

[1] وجعفر بن عمر هذا هو الأخير المعنى بقول القائل (الدولة الكثيرية أولها جعفر وآخرها جعفر) ولكن جعفر الأول لا يحمل لقب سلطان وانما هو مؤسس من مؤسسيها وهو جعفر بن بدر جد السلطان الأول علي بن عمر بن جعفر لا جعفر آخر من الجعافرة الموجودين في قائمة السلاطين كما يفيد السير والبحث انظر المشجر .

وقد رمزنا إلى من تحققنا توليه السلطنة بحرف س ويلاحظ استعمالهم لأسماء خاصة تتكرر في عمود نسبهم وهذه ظاهرة موجودة في الأسرة المالكة والمتسلطنة منذ بني أمية إلى اليوم فهم يغرقون في تقليد الأسماء المتشابهة .



محمد الشاعر غلب عليه الشعر والأدب وكانت له فيهما هواية بلغت به إلى الإعتذار عن قبول العرض المتواضع بعد أخيه عمر وربما انضمت إلى ذلك أسباب أخرى فتولى يماني ابن أخيه عمر.

السلطان عبد الله الأول لقبه صاحب البرد النعيم بالسلطان العدل ولعله يقصد العادل.

دويس هذا هو لقبه الشهير في تاريخ هذه الأسرة أما أبنه سلطان فقد أشتهر بالعدل والإنصاف أيضاً كما يؤخذ من بعض المصادر .

السلطان عبد الله الرابع هذا هو آخر من تولى السلطنة منهم بتريم وإليه ينتمي الموجودون بقسم من آل يماني فجدهم يماني بن راصع بن عبد الله المشار إليه وذكر في البرد النعيم

إربعة من بنيه وأحفاده ويمكن إلحاقهم بالمشجر المختص بالأسرة قبل انتهاء دورها كما يلي

عبدالله

محمد

راصع جد المقدم بقسم

علي

عبد الله

السلاطين الكثيريون ونظام حكمهم

ينتمي آل كثير بن ظنة إلى قبيلة سبأ القحطانية لا إلى همدان كما يظن البعض[1] .

وقد سبق إلى الذهن أن السلاطين الكثيريون يتولون عرش السلطنة واحداً بعد واحد ككثير من ملوك وسلاطين وشيوخ في البلاد العربية ولكن الواقع التاريخي بالنسبة للسلطنة الكثيرية في معظم عمرها هو اقتسام جزء واحد أو أجزاء من حضرموت بين عدد من السلاطين لك منهم يرى نفسه نداً للآخر وإن صادف أحياناً أن يكونوا أخوة يساعد الأصغر منهم الأكبر في إدارة بعض البلاد لكن ليس معنى هذا أن منزلته منزلة الأمير من الملك بل أنه يرى نفسه نداً له وكفؤاً لان يجلس على كرسي السلطنة لو أرادها كما جلس عليها ذلك الآخر بدون أن يفكر في شرعية السلطنة وعدمها وبدون أن يفكر أتباعه من غوغائيين في ذلك .

فمنذ عهد السلطان الثاني للسلاطين وهو عبد الله بن علي بن عمر لان أباء علي بن عمر المتوفى سنة ٨٢٥هـ أول سلطان كثيري بحضرموت بعد التمهيد لعرشه من قبيلته طبق ما مر في القريب منذ عهد السلطان الثاني نجد أحد وهو محمد يحكم مستقلاُ ويتسلطن

---

[1] المشهور هو الأول وهو أنهم ظنيون سبأيون كما ذكرته بعض المراجع ومنها تاريخ ابن هاشم ولكن في رسالة الأنساب للعلامة أحمد بن حسن العطاس ما يفيد الثاني .

على ظفار وهو أي عبد الله سلطان حضرموت ونجد السلطان الكثيري السادس وهو بد بن عبد الله بن علي بن عمر يناوئه ابن أخيه بدر بن محمد بن عبد الله ويتسلطن في ناحية أخرى له حتى قتل العم ابن أخيه بسيئون سنة ٨٥٨هـ وفي زمنه يحكم بور مستقلاً سلطان آخر وهو جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر وهو أخو بدر فيما يظهر .

ومثل آخر السلطان بدر أبو طويرق نجد له أندادا من أفراد السلاطين يناوؤنه فقد أستقل دونه السلطان علي بن عمر بن جعفر سلطان شبام كما حدث نزاع مرير بينه وبين أخيه محمد بن عبد الله سلطان ظفار وبينه وبين المحمدين بالتثنية وهما محمد بن بدر ومحمد بن عبد الله الكثيريان وهكذا أولاد وأحفاد بدر فيما بعد[١] .

ومن هنا نعرف أنه ينقص هذه السلطنة الوئام تحت راية سلطان واحد يطيعه الجميع ويخضعون لأوامره وينقصها مقر لولاية العهد كما ينقص أكثر سلاطين حضرموت وغيرها من ولايات الجنوب.

الإستاد ابن هاشم وتاريخ السلطنة الكثيرية

وقد عد الإستاد محمد بن هاشم بن طاهر العلوي رحمه الله في الجزء الأول من كتابه المسمى تاريخ الدولة الكثيرية[٢] أسماء عشرات السلاطين على حساب السلطنة ولكننا إذا دققنا النظر رأينا بعض الأسماء التي ذكرها لم يتحقق أصحابها بهذا اللقب ـ وإن كان لا يحسد عليه أحد ـ لعدم اتصافها به بمقتضى واقع التاريخ ، كبدر بن عمر وقد جعله

[١] تشبه من هذه الناحية الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين الأيوبي الشهير المتوفى سنة ٥٩٨هـ حين تقاسم من بعده رجال أسرته المملكة في الشام وغيرها وأصبحوا كما قال القائل
وتفرقوا شيعاً فكل مدينة   فيها أمير المؤمنين ومنبر
وكانت النتيجة الحتمية الزوال السريع للدولة الأيوبية .

[٢] من المؤسف إني لم أتمكم من مطالعة هذا الكتاب مطالعة دقيقة في حياة أستاذنا بن هاشم حتى أتمكن من البحث معه بحثاً مستوفى حول ملاحظات كثيرة عليه ، ولكنني في مناسبات عابرة ذكرت له ـ بل الله ثراه ـ بعض الأخطاء التاريخية فيه فوافقني على وجوب تصحيحها وكان يود يؤلف الجزء الثاني ، وكتب بضعة دفاتر صغيرة منه وأدركه كف البصر والشيخوخة ، فلم يتمكن من عمل شيء آخر ، وبقيت الدفاتر عند حفيده رحمه الله عليه .

السلطان رقم ثلاثة وكمحمد بن علي بن عمر الذي عده السلطان الرابع عشر مع أنه لم يتأكد توليته السلطنة[1] وكبدر بن علي بن عبد الله وقد جعله السلطان رقم واحد وثلاثين مع حصر الاهتمام بالناحية السياسية وإغفال النواحي الاجتماعية الأخرى وهذه ظاهرة موجودة مع الأسف في معظم مؤلفات المؤرخين الحضارمة السابقين واللاحقين .

نماذج لسلاطين آل كثير

كتبنا عن أفراد من السلاطين الكثيريين بما تميزوا به عن الآخرين فكانوا بارزين ، وتغير بذلك شيء من مجرى التاريخ ، بينما نرى البقية لا يتجاوزون الحدود الضيقة التي تنطبق على معظم السلاطين الحضرميين الذي أمضوا عهودهم في النزاع المسلح مع خصومهم ، وفي حياة قبلية ضيقة . فمن أولئك البارزين بدر بن طويرق.

[1] واستشهاده بما جاء في الغرر لخرد أنه يظهر خطأ لان الكلام منصب على محمد بن علي بن عمر السلطان الرابع المتوفي سنة ٨٣٥هـ المعاصر لعمر بن عبد الرحمن المحضار المتوفي سنة ٨٢٣هـ صاحب الحكاية التي رواها له خرد لا محمد بن المشار إليه في المتن وبالنسبة لهذه التعليقة وما في الصفحة التالية أنظر صفحة ٢٢ وصفحة ٥٨ من تاريخ ابن هاشم وقد أوضحت ذلك في محاضرتي تحت عنوان (علماء حضرموت والسياسة).

بدر أبو طويرق[1] يمثل الطراز الأول للحاكم الحضرمي

وبدر بن طويرق هو تاسع سلطان كثيري بالتحقيق ، وإن أخطأ بعض المؤرخين[2] فعده الحادي عشر.

هذا السلطان هو مثل الطراز الأول للحاكم الحضرمي في السياسة والجندية والتقاليد الحضرمية والتمسك بآداب الدين وحسن الظن بالأولياء والصالحين ، وهكذا هذه الصفات لا يخلوا عنها حكام حضرموت في هذا الدور ، وإن تفاوتوا في وفرتها وقلتها.

فتاريخه شهد له بالتفوق في السياسة داخلاً وخارجاً فهو يكاتب الدولة العثمانية والحكومة الزيدية في عصره مكاتبة السياسي الكبير والدبلوماسي الخطير بالنسبة لذلك العهد ، وقد أعطته الدولة العلية (فرمان) مرسوماً بتوليته حضرموت ، من باب عدن إلى نهاية ظفار ، ولكن مفعول ذلك لم يدم لاتساع أقاليم الدولة العلية ولصعوبة المواصلات بينهما وبين حضرموت ، فلم تهتم به كما يجب .

وفي القيادة العسكرية يعد أكبر قائد حضرمي سواء من ناحية وضع الخطط أم في مباشرة الجلاد والفروسية ، وقد جلب له ضباط من الأتراك صغيراً خاصاً منهم مجهزاً بالبندقيات التي لا عهد للحضارمة بها وكان الجيش والسلاح الجديدين أكبر الأثر في انتصاره وإضعاف معنوية خصومه ولكنهما لم يلبثا أن أصبحا عاديين وانتشر السلاح الجديد بين القبائل ، ويظهر أن الجيش التركي لم تدم ميزته وسطوته التي انشيء لها ثم انحل فيما بعد .

---

[1] اشتهر بهذا اللقب لأنه طرق معظم أراضي حضرموت فاتحاُ ومستولياً وطويرق تصغير طارق وقد يكون للتكبير كقوله دويهية تصغر منها الأنامل.

[2] هو الإستاذ محمد بن هاشم في كتابه المسمى (تاريخ الدولة الكثيرية) لأن الواقع أن من تقدمه من السلاطين الرسميين هم ثمانية .. وقد أدرج بينهم بدر بن علي ومحمد بن علي وهما ليسا سلطانين وإنما هما أميرين ينفذان أوامر من عاصرا من السلاطين .

البرتغاليون وبدر

وقد دحر البرتغال في عدة مواضع من حضرموت أهمها موقعة ٥ رمضان سنة ٩٤٢هـ إذ هجموا على الشحر وهو بها ونزلوا إلى البر ودارت معركتان برية وبحرية وفي كلتيهما انتصر السلطان واسر منهم نحوا من سبعين رجلاً واستولى على سفنهم وعددها اربع عشرة سفينة أو أكثر وأرسل بعض الأسرى إلى الدولة العلية الإسلامية التي ما برحت دوماً في جهاد ضد هؤلاء البرتغاليين الذين يعدون أكبر دولة غربية يجوب أسطولها عرض البحر العربي وبحر الهند في ذلك العهد تمهيداً للتجارة فالإستعمار ، أما بقية الأسرى فقد قتل بعضهم واستبقى البعض الآخر وقتلهم اخيرا بعد أن رأى منهم ما لا يسر ويقال أن ذلك بعد سهرة نادمهم فيها[١].

ومن المعارك الشهيرة قبلها بين البرتغاليين والحضارمة في عهد أبي طويرق موقعة فجر الجمعة ٩-٤ سنة ٩٢٩هـ فقد ارست ١٤ سفينة برتغالية في ميناء الشحر ونزل منها الجيش البرتغالي وعاث في الشحر فسادا بالنهب والسلب والحرب ، وقد قاتلهم السكان واستشهد منهم الشيخ العلامة أحمد الشهيد بافضل وكثيرون من أعيان وجمهور الشحر وبعد يومين أقلعوا إلى سواحل الهند[٢].

[١] انظر تفاصيل في تاريخ الطيب بافقيه وتاريخ ابن هاشم ويظهر أن البرتغاليين كرروا اعتدائهم على السواحل الحضرمية إلى أواخر القرن الحادي عشر ويقول عالم حضرمي كتب مقالاً للأمير شكيب أرسلاني في الجزء الثالث من تعاليق حاضر العالم الإسلامي وهو بأشراف العلامة علوي بن طاهر الحداد أنه نودي للنفير العام لجهادهم سنة ١٠٩٧هـ وأجاب إليه كثير من المجاهدين من العلويين وغيرهم وقد منحهم الله النصر فهزموا البرتغاليين بعد أن أحتلوا الشحر سنة وبضعة أشهر وقد أستشهد بتلك المعارك عدة من العلويين منهم السيد عبد الله بن محمد السقاف ويقول أن الحضارمة تدربوا على قتال البحر لكثرة أسفاهم في البحر الهندي ولمصادمات سفنهم لسفن البرتغال فيه ويقول أن أهل الفقه والعلم يتسابقون للجهاد إذا وصلهم الصريخ من الساحل يتبعهم العامة فيرابطون فيه حتى تنصرف أساطيل العدو

[٢] انظر التفاصيل في تاريخ الطيب بافقيه وصلة الأهل ,

أسطول حضرمي

وكون أبو طويرق أسطولا أو شيد أسطولا حضرميا حربيا وتجاريا من سفنه القديمة ومن السفن التي غنمها من البرتغال للعمليات الحربية فيما بين سواحل حضرموت وعدن وغيرها وللعمليات التجارية فيما بينها وبين سواحل الهند وشرق أفريقية كغيرها من السفن الأهلية[1] وقد سبقه إلى إتخاذ جملة من المراكب التي تجوب هذه السواحل وتنظم شبه الأسطول التجاري فيها الأمير محمد بن سعيد بادجانه الكندي الشهير المتوفي في نهاية القرن التاسع الهجري بعد توليه على الشحر وحيريج وغيرهما من سواحل حضرموت وتاريخه معروف[2] ووالدته من أبرز الحضرميات الشهيرات بالدهاء وقوة الشخصية والشجاعة وتدبير الأمور .

عصر بدر وبلاطه

وكان عصر بدر أزهر عصور السلطنات الحضرمية ويعد العصر الذهبي لها فقد أخصب بأكابر العلماء والفقهاء والأدباء والمؤرخين وبأعاظم الصوفية كالإمام أحمد باجحدب نقيب العلويين والعلامة الكبير الفقيه الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة وأبيه عمر بن عبد الله وأخيه المؤرخ الطيب بن عبد الله بامخرمة والشيخ معروف باجمال وأحمد بن الحسين العيدروس[3] والشيخ أبو بكر بن سالم وابن عبسين والشيخ علي با يزيد ومن هؤلاء من يعارض بدرا في سياسته كالشيخين عمر بن عبد الله بامخرمة ومعروف باجمال

---

[1] ممن عرف بامتلاك بعض السفن التجارية الإمام شيخ بن عبد الله العيدروس ساكن أحمد أباد بالهند ومؤلف العقد النبوي وغيره ممن تدلنا عليهم بعض المراجع كالنور السافر .

[2] انظر الشامل وغيره,

[3] وليس الشيخ أبابكر العيدروس العدني وقد أخطاء من قرنه بهؤلاء لان وفاته سنة ٩١٤هـ من قبل سلطنة بدر المولود سنة ٩٠٢هـ كما أن عبد الصمد باكثير الشاعر إنما ظهر بعد سلطنة بدر بكثير وقد لاحظت هذا على باوزير في صفحاته .

وقد عاقب الأول بالنفي إلى الشحر والثاني بربط حبل في عنقه والطواف به في أزقة شبام وذلك لأن كلا منهما يبذل مجهوداً سياسياً عظيماً في الدفاع عن بلده وإستقلالها عن سلطنة بدر ، ببقائها في إدارة أهلها وبلد بامخرمة هي الهجرين وبلد باجمال شبام ، وقد يجتمع في بلاطه عدد من أمثال هؤلاء الأعيان فتنشد فيه الأشعار وتعرض المسائل العلمية للمناقشة ، وتبحث المسائل السياسية وكان المخصص لها من بين هؤلاء العلماء الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة فهو وزيره المقرب ومستشاره المحبب وقاضيه المدرب .

مدرسته وعملته

ولبدر مدرسة كبرى وجعلها مسجداً عامرا في نفس الوقت بالشحر حبس عليها أموالاً كثيرة وعين لها مدرسين أكفاء وذكروا من بينهم أسم الشيخ العلامة علي بن علي بايزيد وأنه بمثابة مدير لها وأنها تقصد للإستفتاء والتعليم وكان تأسيسها ٩٥٩هـ ولم تزل باقية إلى اليوم لأداء الصلوات .

أما العملة فقد ضربها في شكل ريالات من الفضة فئة الريال وفئة نصف الريال وفئة ربع الريال وللريال أجزاؤه النحاسية وحدتها بقشه يتألف من ثمانين منها وذلك سنة ٩٣٤هـ[١] ويظهر أن الريال أوقيه (أونس) وتستعمل فيها الدنانير العباسية والدراهم العباسية أيضاً والرسولية[٢].

---

[١] صرح الطيب بافقيه في تاريخه بأن صدور الأمر من بدر بضرب الفلوس في الشحر وبالتعامل فيها سنة ٩٣٤هـ أما السنتان الأخريان فمن تاريخ ابن هاشم .

[٢] سيأتي الكلام عن العملات المتأخرة فيما بعد .

آخر حياة بدر ووفاته

أمضى السلطان بدر أبو طويرق حياة حافلة بجلائل الإعمال كما عددنا الكثير منها ولم تمكنه مشاغله السياسية والحربية من القيام بمجهودات كبيرة في النواحي الثقافية والعمرانية بمقتضى ما عرف عنه من الطموح وبعد الهمة ولكنه مع هذا يعد أقوى وأبرز سلطان عرفته حضرموت في الجملة .

ولسوء الحظ كانت له تصرفات في آخر عهده عدت محل انتقاد من أسرته وأقرب المقربين إليه ولعل المجهود العقلي والجسدي الذي يبذله هذا السلطان من عنفوان شبابه إلى نهاية شيخوخته هو السبب فيما يذكره المؤرخون إجمالاً عنه من تلك التصرفات ولم يجسر سوى ابنه عبد الله في إلقاء القبض عليه بسيوون يتقدم جماعة أعدهم لذلك وبقي في الإعتقال نحوا من عشرين شهراً وتوفي سنة ٩٧٧هـ وكانت مدة سلطنته نحوا من نصف قرن ومدة عمره نحوا من خمسة وسبعين عاماً رحمه الله .

الفرسان الثلاثة

إن فرسان النصف الأول من القرن التاسع الهجري في ميدان السياسة والحرب هم بدر بن عبد الله بن جعفر أبو طويرق السلطان الرسمي للسلطنة الكثيرية وعاصمته سيئون وقد مر ذكره آنفاً .

وعثمان بن أحمد العمودي زعيم الأسرة العمودية وقصبته سلطنته بضة بوادي دوعن.

وعلي بن عمر بن جعفر الكثيري أحد كبار الأمراء الكثيريين وقد أستقل بسلطنة شبام وعزلها عن السلطنة الكثيرية مدة من الزمن وحارب أبا طويرق وصالحه ثم تعكر الصفو بينهما وأخيراً القي عليه القبض أبو طويرق وسجنه .

إن الفارس المجلي في هؤلاء الثلاثة هو أبو طويرق ويليه الشيخ عثمان ثم علي بن عمر الكثيري ومن المؤسف أن يكون للتصادم الموجود بين هؤلاء الثلاثة أثره الكبير في

اضطراب حبل الأمن في جميع القطر الحضرمي من أعلاه إلى أسفله وفشل المساعي في إيجاد نوع من أنواع السلم الدائم بين هؤلاء ومن ينحاز إلى كل منهم من رؤساء العشائر وزعماء القبائل ، وإن إستطاع بدر أن يتغلب على علي بن عمر في النهاية سنة ٩٥٨هـ بعد حروب طالت بينهما في المنطقة الوسطى بين هينن وسيئون فإنه لم يستطع أن يتغلب على عثمان العمودي الذي دامت الحروب بينهما سجالاً متخذين من دوعن وحضرموت الوسطى والساحل ميادين لهما نحو عقدين من السنين يصطلحان فيهما مؤقتاً ثم يستأنفان القتال .

ومما يستحق الذكر أن أبا طويرق استعان في تثبيت ملكه بقوه وخلافة الحكومة التركية بالقسطنطينية والعمودي استعان بقوة وإمامة الأئمة الزيدية باليمن لتقوية مركزه فكونا جبهتين متضادين جعلتهما يتحققان أن الصلح النهائي في صالح الطرفين فعقداه سنة ٩٥٦هـ وبقي كل منهما بعده في موضعه لا يتعرض للآخر.

السلطان المتصوف

وهذا هو السلطان علي بن عمر بن جعفر المشار إليه فهو أكبر منافس كثيري لأبن عمه أبي طويرق كما مر فقد أقام له سلطنة بشبام والغريب أنه أقام دعائمهما على ماليته الخاصة بعد أن هجم عليها بأتباعه وأدخلها في حوزته وشخصيته شخصية اقتصادية عملية ذكروا أنه أحيانا يباشر الأعمال اليدوية بنفسه وأنه كون ثروة من النخيل والمزارع ينفق منها على خزينة دولته المتواضعة بشبام فرارا من فرض الضرائب على سكانها وأنه تغلب عليه الروح الصوفية والعلمية ولديه أصدقاء ومستشارون من نوعه أكبرهم الشيخ معروف باجمال وكأنهم يحاولون تطبيق نظام دولة عادلة تشتمل على شعب متصوف قنوع على رأسه هذا السلطان الخيّر المحبوب.

ونحن حين ننظر إلى هذا الاجراء المالي الذي اتخذه لا نستطيع إلا أن نحمل ذلك على أنه إجراء مؤقت حتى تستتب الأمور وترتب مالية الحكومة بما يضمن لها البقاء على أن مذهب الشافعي الذي هو المذهب الرسمي لهذا السلطان ولمن قبله ومن بعده لا يقول لبزوم هذا وإنما يقول بسن نظام يشمل القادرين المياسير من أبناء الشعب لتموين الدولة بحيث يكفل لها الحياة الشريفة المتقدمة بطريقة عادلة مضبوطة لا أن من أصحابه من يفرضها على حساب الرؤوس الأفراد ومنهم من يفرضها على حساب مقدار الثروة[1] وقد انتصر عليه بدر في النهاية .

السلطان الذي خلع نفسه

وهذا هو السلطان عبد الله بن عمر بن أبي طويرق الذي تولى بعد أبيه سنة ١٠٢١هـ وبدافع من تقواه واستقامته أهتم كثيراً بالإصلاحات ومعاقبة الأشرار والقبض عليهم بيد من حديد على السلطة ولكنه كان دائم التفكير في التخلص من هذه السلطة التي ليست له هواية في الاستمرار فيها وقد تأثر ما يقرأه ويسمعه ويشاهده من علماء وأولياء عصره ، فقرر في النهاية أن يلتجأ إلى الإمام الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم تائباً على ما مضى منه من بعض المظالم التي قل أن يخلوا منها حاكم وجاءه متنكراً إلى عينات في قصة مثيرة تدافعا فيها الولاية السلطان يخلع نفسه ويولي الإمام الحسين والأخير يحتقرها ولا يرضاها حتى لأصغر خدامه ومريديه وأخيراً يشير عليه بأن يولي أخاه بدرا وهكذا يزهد السلطان الحضرمي في الملك والعظمة كما زهد الكثير من قبله أمثال أحمد بن الرشيد العباسي وإبراهيم بن أدهم فكان الجميع من المنشغلين بالزهد والعبادة الخاصة ، وإذا كان في زهد هذا السلطان وإنخلاعه عن الملك راحة ونجاة له وفي صالحه الشخصي فإنه لم يكن في صالح شعبه وبلده لأن النتيجة كانت بعد فتنة وحرباً أهلية بين أبنه

[1] انظر فتاوى ابن حجر في الموضوع .

وأخيه بدر الذي مالبث أن ضيق على أبناء أخيه المستقيل وأستعان أخوه بالزيدية واستعان أبنه بالجيش اليافعي الحضرمي ، وكانت النهاية ضعف السلطنة الكثيرية ، وتنصيب سلاطينها رموزا والسلطة الحقيقية بيد أكابر العسكر المجلوبين من يافع والمتوطنين بحضرموت فيما بعد حتى تلاشت في النهاية فمثلوا دور الأتراك مع الدولة العباسية كما يمثل الصغير دور الكبير .

أما والده عمر بن بدر أبي طويرق فهو ممدوح الشاعر عبد الصمد باكثير الذي قال فيه القصائد الطنانة وتفنن بها في مديحه الذي قال بعض المؤرخين أنه صادف أهله لا تصاف السلطان عمر هذا بالشجاعة والسماحة والعدالة[١] .

تنازع البقاء بين السلطنتين

من الطبيعي أن تستمر الإشتباكات والمعارك الحربية بين رجال السلطنتين الكثيرية الجديدة واليمانية القديمة حتى تتغلب أحدهما وتمحوا الأخرى من الوجود ولكن هذا النزاع دام طويلاً وكان له أثره على تقدم القطر وأهله حين توجه كل منهما طاقاتها وقواها وتستنفذها ضد الأخرى واستمر هذا الحال على هذا المنوال زهاء قرن وربع القرن تدور الحرب بينهما سجالاً في المعارك الأولى وأكثرها في منطقة تريم عاصمة السلطنة اليمانية ولكن الوقائع الأخيرة كانت الغلبة فيها للسلطنة الكثيرية الجديدة وأخيراً إستطاع السلطان بدر أبو طويرق أن يقضي على سلطنة آل يماني سنة ٩٢٧هـ وسنسرد أهم الوقائع الشهيرة بين السلطانين المتعاصرين من هاتين السلطنتين .

---

[١] أنظر ترجمته في النور السافر وفي تاريخ ابن هاشم

معركة بين سلطانين داخل تريم

في سنة ٨٣٥هـ هاجم السلطان الكثيري عبد الله بن علي السلطان اليماني دويس بن راصع بن يماني في تريم وكانت قد أظهرت لآل كثير الاستسلام حين تشتت شمل اليمانيين ونشبت بين الطرفين معركة عنيفة داخل تريم حين أوغل فيها الكثيري يقود مائتي فارس[١] وخمسمائة راجل من جنوده وقابله السلطان ابن يماني بدوره بجنوده واستحر القتل بينهم في قلب البلد وفي ساحة الجامع وفي الشوارع والأزقة ويظهر أن آل يماني دافعوا دفاع المستميت لما كان الغزو في عقر دارهم وقتلوا جماعة من أعيان الكثيريين منهم بدر أخو السلطان المشار إليه وشنفر الكثيري[٢] وأضطرب الأهالي وبلغت القلوب الحناجر لهول المجزرة ومع هذا لم يتم إخضاع تريم إخضاعاً عاماً فقد شخص السلطان الكثيري عنها لمحاربة بعض أعدائه بظفار .

وعادت الحرب بينهما سنة ٨٤٢هـ إذ أعلنها دويس نفسه من تريم ضد خصمه المشار إليه فخرج إليه من ظفار وحاول حصرها وتضييق الخناق عليها ببناء المعاقل ومنها حصن العز المعروف جنوب تريم ولكن لم تستسلم فأضطر آل كثير إلى القفول والتخلي عنها .

موقعة ثالثة

وفي سنة ٨٤٥هـ هاجم آل يماني يقدمهم أبناء السلطان دويس راصع ومعهم آل أحمد والصبرات وآل ثعلب وبعض آل كثير أنفسهم وهذه كلها قبائل حضرمية متحضرة تسكن وادي حضرموت هاجموا السلطان محمد بن عبد الله الكثيري وقاموا بتخريب كثير أقيمت

---

[١] انظر تاريخ شنبل وتاريخ ابن هاشم ويلاحظ وجود غلطة مطبعية فيه حين قال مائتي ألف فالألف زائدة .

[٢] ترى هل ينتسب الشنافر لشنفر هذا أن لشنفر آخر والشنافر قبائل معروفة وهم آل كثير والعوامر وآل باجري وقد عضدوا السلطنة الكثيرية الحالية عسكرياُ ابان قيامها وأل جابر منهم أيضاً .

بينهم هدنة لمدة شهرين على أثر أنتهائها حاصر السلطان الكثيري تريم وأخرج منها أبناء دويس بن راصع وهذا الحصار إمتداد لهذه الموقعة وهدأت الأحوال نحو عقد من السنين .

موقعة رابعة وخامسة

وبدأت المناوشات بين الفريقين المتحاربين سنة ٨٥٤هـ وكانت جموع اليمانيين كثيفة هذه المرة وانضم إلى أبناء دويس راصع بن يماني مشتركاً في القيادة معهم ومن أبرز حلفائهم قبيلة الصبرات الشهيرة وقبيلة الظلفان عدوة آل كثير التقليدية .

أما السلطان محمد الكثيري المشار إليه فقد أرسل إليهم جيشاً بقيادة أبنه علي وكاد أن يلتحم بينهم القتال في المنطقة الممتدة ما بين سيؤن غرباً وإلى عينات وقسم شرقاً لولا أن تدخل المصلحون من أهل الوجاهة بينهم وعقدوا هدنة لمدة سنة قالوا أن أهل المسفلة ويعنون بالمسفلة المكان الأسفل من الوادي قالوا أن أهل المسفلة أي اليمانيين ومن لف لفهم هم الذين خرقوا أتفاقية الهدنة ونشبت الحرب من جديد بين الطرفين في المنطقة وحدث التخريب في البلاد والرعب بين العباد حتى أنتصر الكثيريون وهزموا أعدائهم من مواقعهم وفي أثناء ذلك توفي السلطان محمد فشجع اليمانيون على استئناف الهجوم وخلف السلطان الكثيري أخوه بدر ليقوم بالدفاع عن السلطنة وليطارد عدوه هو بنفسه وكان إن التقى به في الموقعة الشهيرة بواقعة باجلحبان[1] حيث يتسع ذلك السهل للمعارك الحربية وقد وجد الفريقان فيه ميدانا صالحا لابداء ما في مقدرتهم من فنون القتال والصدام ولكن وجحت كفة الكثيرين إذ استطاعوا أن يقضوا على خصومهم ومن أبرز من قضوا عليهم راصع بن دويس وراصع بن يماني وعمر بن جسار وكان يوم بيوم تريم الأول الذي رجحت فيه كفة اليمانيين فيه وأصلح بينهم بعد اشهر الإمام عبد الله العيدروس

---

[1] موضع معروف يبعد عن تريم ٣ أميال .

العلوي وقد اخطأ البعض[1] حيث نسب الصلح التالي لهذه الموقعة إلى والده الإمام السكران لأن السكران توفي سنة ٨٢١هـ والمحضار توفي سنة ٨٣٣هـ[2] فكيف يمكن أن يتم هذا الصلح على يد أحدهما ولكن المحقق هو صلح العيدروس الذي أشرنا إليه ولم يعرف هل هو صلح الغدير نفسه أم لا ؟ وهل تم صلح الغدير على يد العيدروس الذي أشرنا إليه ولكن من المحقق أنه لم يتم على يد أبيه كما يظن البعض المشار إليه ولا على يد عمه لما ذكرناه.

هذه نماذج للوقائع والحروب المستمرة بين السلطتين فيما بينهما وفيما بين كل منهما وبين القبائل الأخرى شأن أسلافهم الماضين .

وهناك في أعلى حضرموت وفي سواحلها يمثل نفس هذا الدور بين قبائل وأمراء يتطاحنون على السلطنة والنهب وبذلك لا تنفك حضرموت ـ كل حضرموت ـ عن أن تكون كالمرجل تفور وتغلى بالفتن والقلاقل حتى عهد قريب وهو ما يقرب ربع القرن من الزمن .

ظواهر تقليدية في معظم سلاطين حضرموت

منزلة بين المنزلتين

وسلاطين حضرموت الا النادر منهم سواء في هذا الدور أم في الأدوار السابقة واللاحقة في درجة بين الدرجتين ومنزلة بين المنزلتين فهم أقل شأنا من الملوك وأصحاب الأبهة والإرستقراطية واكبر شأنا من شيوخ القبائل وأصحاب الرئاسة والسيادة في عشائرهم وقبائلهم وفيم صفات وأخلاق متناقضة فأكثرهم لا يتورعون عن سفك دماء الأبرياء وعن

[1] هو الأستاذ ابن هاشم في تاريخه .

[2] أنظر المشرع الروي وغيره والمحضار والسكران أخوان والعيدروس هو ابن السكران ووالد أبي بكر العدني المتوفي بعدن سنة ٩١٤هـ وهؤلاء أئمة علويون معتقدون وشهيرون في الأوساط الحضرمية وغيرها أنظر تراجمهم في الكتب المختصة وربما تأتي معلومات عن إصلاحاتهم العامة عند المناسبة .

الاستبداد والإقطاعية وفرض الغرامات والضرائب بدون مساواة ولا عدالة بينما هم يتظاهرون بتقديسهم للشريعة المحمدية الغراء ويتمسكون باحترام رجال الصلاح والتقوى والعلم ولهم عقيدة طيبة وحسن ظن كبير فيهم خصوصاً في كبراء العلويين ولكنهم مع هذا لا يلقون بالاً لإرشادهم ونصائحهم وتوجيهاتهم إذا لم تصادف هوى في نفوسهم إلا إذا خافوا هياج الرأي العام ضدهم أو إذا اضطرتهم بعض المواقف الحربية أو الظروف العصبية إلى ذلك وأكثر ما يكون في عقد الصلح أو الهدنة فيما بينهم وبين خصومهم .

ومن أمثلة ذلك استشارة بدر بن عبد الله بن عمر بن أبي طويرق للإمام عمر العطاس في قتال الزيدية لما بدأوا في اكتساح حضرموت فأشار عليه بأن لا يقاتلهم قائلاً انهم سبيل ليل ولكنه جامله في مجلسه وخالفه بعد خروجه عنه وقاتلهم فكانت النتيجة انكسار جيش السلطان وطلبه الأمان من الإمام فأمنه وتولى عمه بدر بن عمر صديقهم على حضرموت وانحسر عنها الزيود وانتهت الفتنة بين البدرين .

ومعظمهم أيضاً متمسك بأداء الواجبات والسنن الدينية وملازمة الجماعة وحضور المجالس الخيرية والوعظية تقليدا لبيئته بدون أن يتأثر بها إلى درجة الإقلاع عن الظلم والجور والشعور بالتبعة (المسؤولية) الخطيرة الملقاة على عاتقه وبذل الجهود الجبارة في الإصلاحات العامة فهم كما قال الله (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) .

ومنها إهمال نظام ولاية العهد في الأسر السلطانية فيتركون ذلك في الغالب للصدف والمقادير ولهذا نجد كثيراً من أولئك السلاطين أول ما يفكر حين يجلس على عرش السلطنة فيمن حواليه من منافسيه عليها وهم أفراد أسرته من أخوة وأعمام وأبنائهم إليهم نظرة الأسد إلى الفريسة ولا يهدأ له بال حتى يلقى القبض على منافسه ونجد في هاتين السلطنتين أمثلة كثيرة متكررة على ذلك ، شأن كثير من الاسر المالكة قديماً وحديثاً .

أما المشيخة القبلية أو التقدمة على القبيلي ويقال لصاحبها مقدم فإنها تقع بالترشيح ثم التعيين في مجلس رسمي يعقد لذلك يتفق عقلاء القبيلة وأعيانها على شخص فيولونه اياها ولكنها تختص أحياناً ببيت من البيوتات أو بأفضلية السن ومثل هذا يجري بالضبط في تولية المنصب ، والمنصب بمعنى ذي المنصب أي المقام الإصلاحي الذي أسسه جده وسيأتي الكلام عنه .

الحياة الثقافية بأنواعها في هذا الدور

قد أسلفت الكلام في الجزء الأول من هذا الكتاب عن الناحية الثقافية في الأدوار السابقة وذكرت عن رجال الثقافة والمعارف في الدور الراشدي السابق على هذا الدور أن يغلب عليهم روح العلم والشرع أكثر من روح التصوف[1] عكس هؤلاء الذين يتوسعون أيضاً في التفسير والحديث وعلومه وفي فقه الشافعي وفي العلوم العربية بأنواعها والعلوم العقلية والكونية إلى درجة عالية جداً لا يقلون فيها عن مستوى إخوانهم من نوابغ الأقطار العربية والإسلامية الأخرى[2] ومن نوابغهم في الهندسة والفلك العيدروس الأكبر وعبد الله بن عمر بامخرمة إلى نبوغه الفقهي ومؤلف المشرع ووالده والإمام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وفي التصوف قد تفوقوا على غيرهم من المتصوفة ، وتذوقوا هذا العلم الشريف النظيف وفهموه على حقيقته بدون أن يغلوا فيه كما غالى آخرون فلا رياضات لازمة ولا طريقة خارجة عن دائرة الكتاب والسنة ولا مرقعات ولا سياحات مرهقة ـ للعموم وقد طبقوا هذه الحكمة الشهيرة وهي من تصوف قبل أن يتفقه تزندق[3] ولاتساعهم في العلوم

---

[1] انظر صـ ١٨٣هـ من الجزء الأول من هذا الكتاب طبع دار الكتب بيروت .
[2] وحتى علم الحرف (وهو لعم الطلاسم والعزائم والأوفاق وهو علم مستقل له قواعده وكتبه وجاله كالبوني وابن سبعين) في علماء حضرموت من يعرفه وترجم لبعض هؤلاء في المشرع الروي وغيره والكلام حول تأثير هذا الفن وعدمه يطول وليس هذا محله .
[3] هذه المقولة منسوبة للإمام مالك ونسبت للجنيد أيضاً .

الشرعية استطاعوا أن يستخلصوا منها الروح المطلوبة وساروا على نهج رجال الصدر الأول ومن يليهم من السلف وعبر شاعرهم[1] عنها بقوله

واتبع كتاب الله والزم سنة   واقتد هداك الله بالأسلاف

وفي أوائل القرن السابع عشر تسربت طريقة الفقراء الصوفية إلى حضرموت بعد ما انتشرت في ذلك العصر وعلى رأسها الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني في الشرق وشعيب أبو مدين في المغرب العربي بتلمسان وأبو مدين هذا أرسل تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن محمد المقعد إلى حضرموت لنشر طريقة الصوفية بها لأن علماء حضرموت السابقين كما مر في الجزء الأول تمثلوا بالتصوف العام الذي يشتمل على نظافة القلوب وملازمة الطاعات والإعراض عن حطام الدنيا قبل أن تسن له الطرائق بها اشتملت عليه من تسليك ورقائق وحقائق وتحكيم وإلباس واجازات وتلقين وذكر وغير ذلك من اصطلاحات القوم التي بلغت ذروتها في هذا القرن المشار إليه .

مندوب صوفي يصل حضرموت

وبما أن الشيخ عبد الرحمن المقعد عاجلته الوفاة بمكة ولم يستطع التوجه إلى حضرموت لتنفيذ مأمورية الشيخ أبي مدين فإنه حين أحس بالوفاة أوصى إلى الشيخ عبد الله المغربي بأن يقوم بالمهمة وبأن يتصل بالشريف محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط[2] بتريم وهو الفقيه المقدم والذي لقب فيما بعد بالإستاذ الأعظم وبأن يقوم بدور إلباسه خرقة التصوف التي يحملها إليه وبغيرها من تحكيم للشيخ أبي مدين والتزام بطريقته ويظهر أن هذين الشيخين إنما قاما بدور الوساطة فيما بين الفقيه المقدم وبين أبي مدين ثم توجه

---

[1] هو العلامة والشاعر الشهير عبد الله بن علوي الحداد .
[2] تقدمت في الجزء الأول ترجمة صاحب مرباط وستأتي ترجمة الفقيه المقدم .

الشيخ المغربي إلى قيدون للقاء الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وتحكيمه للشيخ أبي مدين وهكذا انتشر التصوف بحضرموت فيما بعد ولكن بصورة مهذبة منتقاة وبعيدة عن الغلو ومجانبة الشرع وبالرغم من هذا فإنه لم يخل المطاف عن شخصيات حضرمية كبيرة نسب إليها ما يخاف ظاهر الشرع من تبجحات وشطحات[1] كما نسب إلى غيرها من صوفية الأقطار الأخرى[2] ولكن ذلك لم يأتي عن سوء قصد طبقاً لما عرفوا به من مثالية وإيمان متين فإذا أسيء تفسير هذه الشطحات فقد عذر أصحابها لأنهم قالوها في حالة غيبوبة[3] ولعل هذا أسلم وأحزم من أن نضعهم موضع التهم رحمهم الله .

لقد كان الفقيه حين التزم بهذه الطريقة شاباً يتلقى دروسه عن شيوخ حضرموت وكان مبرزاً في معارفه ومواهبه ويضع سيفه على فخذيه وسمي الفقيه لنبوغه الفقهي فمال إلى التصوف وكسر السيف وغضب بعض أشياخه المتخصصين في الفقه[4] لميل الفقيه إلى طريقة الصوفية التي اصبح زعيمها فيما بعد وناشرها بالصورة التي أشرنا إليها وساعده أقرانه أمثال الشيخ سعيد العمودي وهكذا تلقاها عنهم من بعدهم[5] أباً عن جد وتلميذ عن استاذ حتى هذا القرن إلا أنه مع الأسف نجد في كل جيل لاحق نقص في المستوى عن الجيل السابق من ناحية الغزارة العلمية وكمال الاستقامة وأن كان قد يوجد فيه أفراد ممتازون لا يدانيهم أحد من متوسطي الأجيال التي سبقت وبلغ الحال بجمهور الأجيال المتأخرة وحتى عصرنا هذا نقص الوعي العلمي والصوفي إلى درجة جعلت الفرق فاضحاً وواضحاً بينهم وبين جمهور من سبقهم فشاهدنا كثيرا منهم يشتغلون بسرد كتب التصوف في المجامع ويتصوفون تصوفاً معكوساً يستغنون عن الاشتغال بالعلوم الشرعية والعربية

[1] كالشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات وكالفقيه نقسه.
[2] كالحلاج والسهروردي وترجمتهما في تاريخ ابن خلكان .
[3] انظر المشرع وغيره من الكتب الحضرمية العديدة في تفصيل هذا الموضوع .
[4] هو الشيخ علي بامروان .
[5] ممن ينسب إلى جميع فئات الشعب الحضرمي وغيره من المتصلين به ولكن الأكثرية هم من فئة السادة والمشايخ كما هو واضح وواقع .

والعقلية والكونية فتقلص ظل العلم والثقافة والعبادة والتصوف الحقيقي بهذا الإقيلم الذي هو بأشد حاجة إلى نهضة علمية خلقية تجمع بين محاسن القديم والحديث .

فنحن لا نجازف وإنما نقر الحقيقة إذا قلنا أن رجال العلم والثقافة كثيرون في هذا الدور ويعدون بالآلاف وأكثر يتخصصون في العلوم التي أشرنا إليها إلا أن روح الصوفية الفلسفية التي تأثروا بها جعلت أكثريتهم الساحقة ينكرون ذواتهم ولا يهتمون بالمظاهر ولا بكثرة التأليف رغما عن غزارتهم العلمية وعمق معرفتهم ولا بتنسيق العبائر وبهرجة الألفاظ ونجد كتب التواريخ مشحونة بتراجم العديد منهم[1] ومثلهم في عملهم بعلومهم والتزامهم بالمبادئ الإسلامية وملازمتهم للطاعات وتهذيب النفوس مثل الفني الخبير في فنه بحيث لم يترك فيه زيادة رحمهم الله .

ومما يدعوا إلى المزيد من الإعجاب أن يعم النبوغ والتفوق جميع أفراد كثير من أسرهم ويلحقون الأحفاد بالأجداد فيهما فمثلاُ الإمام السقاف نجده هو وبنوه الثلاثة عشر وأحفاده وآباؤه كلهم متفوقون علماً وخلقاً ووجاهة وزعامة لا يشذ منهم شاذ وفي آل بافضل وآل أبي مخرمة وغيرهم نوابغ كثيرون ونجد حين نطالع بعض المصادر[2] عائلة آل عبد الله بن شيخ العيدروس مخصبة بالفطاحل الأفذاذ حتى قال قائلهم وهو الإمام عبد الرحمن بن مصطفى بن زين العابدين العيدروس المتوفي سنة ١١٩٢هـ بالقاهرة بعد أن برز بين العلماء الحضارم والمصريين وغيرهم[3]

عالم فاضل أبي فأبوه	هكذا نسبتي إلى المختار
وأنا أرتجي كمثل جدودي	ذاك أقصى المنى من الغفار

---

[1] كتاريخ أبي مخرمة وبرد النعيم والغرر والمشرع والنور السافر والسناء الباهر وصلة الأهل ...الخ

[2] كالمشرع والطراز المعلم ومرآة الشموس وقد تكلم في هذا الموضوع باوزير في صفحاته في ترجمة عبد الله بن عمر بن مخرمة .

[3] كتب رسالة عن حياته قبل سنوات أحد الجامعيين العراقيين لنيل شهادة الدكتوراه بها ولم يذكر لي أسمه .

وكل هذا نتجة للمؤثرات التربوية والوراثية التي قررها العلماء المختصون وهؤلاء ضربوا الرقم القياسي فيها وكنتيجة للاخصاب بالمعارف والثقافة والاستزادة منها وقد خصصت مكاتب كبيرة للمراجعة والمطالعة منها مكتبة السادة آل عبد الله بن شيخ المشار إليهم بتريم مكتبة آل العمودي ومكتبة آل هندوان وقد اشتملت كل من هذه المكاتب على مجلدات كثيرة نادرة ولديهم نساخ معروفون للكتب ذكرت المراجع أفرادا منهم[١] ومع الأسف أن المكتبتين العيدروسية والهندوانية أتلفها فيما بعد النجديون الذين غزوا حضرموت ويعرفون بآل بن قملة[٢] وضاع ذلك التراث العلمي الثمين وجاءت مكتبات أخرى فيما بعد ربما عرضنا لذكرها عند المناسبة .

أما مواضع التعليم والتدريس فاكثرها في المساجد والزوايا كامتداد لحالة من قبلهم وعندهم مدارس وكتاتيب وقد استمر بعضها من القرنين الثامن والتاسع إلى اليوم ككتابي باغريب وباحرمي بتريم[٣] وغيرها في المدن الأخرى إلا أنه يجب على القائمين بهما وبأمثالهما إدخال النظم والتحسينات العصرية المفيدة عليها .

ولما زار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الله اليافعي حضرموت أثناء القرن الثامن وهي تزخر بجحاجحة العلماء وأكابر العباد أغتبط وأنشد

مررت بوادي حضرموت مسلما فألفيته بالبشر مبتسماً رحبا

وألفيت فيه من جهابذة العلى أكابر لا يلقون شرقا[٤] ولا غربا[٥]

أوقافهم وميراثهم

---

[١] في برد النعيم وفي المشرع الروي .

[٢] قوم من بادية نجد هاجموا حضرموت هجمات خاطفة ثلاث أو أربع مرات في أوائل القرن الثالث عشر وأعظمها سنة ١٢٢٤هـ هي الهجمة الثانية وعمت معظم حضرموت وفيها وقع التخريب والتحريق والتغريم ولم تدم أكثر من شهر ونصف .

[٣] يقال أن مؤسس الأول العيدروس الأكبر والثاني عبد الله بن شيخ العيدروس حفيد حفيده .

[٤] تجوز بالفاء وبالقاف .

[٥] انظر البرقة .

واندفاعاً وراء حبهم للخير والمصلحة العامة نجد لهم أوقافاً متنوعة متعددة ومن أهم ما يعتنون به الأوقاف على طلبة العلم وعلى الأربطة والمعهد العلمية وعلى الضيوف والمساجد وعلى الأيتام والمنقطعين وعلى الفقراء والمحتاجين وعلى السقايات المبنية على الطرق للشرب وعلى خزانات المياة للترب وللغسل وعلى أكفان الموتى وعلى اللقطاء ولإفطار الصوام في رمضان ولتعبيد الطرق فعلى كل من هذه الجهات ما أشبهها أوقاف عظيمة لهم في وطنهم وفي مهاجرهم ومنهم من ينفقون أعز أموالهم لوقفها وفي وجوه البر والإحسان حتى اليوم ولكن هذه الأوقاف مبعثرة لم يحصل لها التنظيم المطلوب إلا أنها بذلك محاولات في هذا العصر لجمع شتاتها تحت إدارة خاصة تتصل بمصلحة القضاء ولكنها لم تعمم بعد ، والمساجد كثيرة في مدنهم وتريم أوفرها مساجد حتى بلغت في القرن الرابع عشر نحو ثلاثمائة قد تجمع عدة مساجد منها في بناية مسجد واحد وقليل منا ما خرب وقل أن يوجد مثل هذا العدد في مدينة إسلامية[١] كما سيأتي[٢].

تأثرهم بالإمام الغزالي وكتبه

وكان الإمام محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة٥٠٥هـ مثلهم الأعلى وكتبه في التصوف وغيره هي كتبهم المفضلة خصوصاً الإحياء وقد قال قائلهم عنه من لم يقرأ الإحياء ما فيه حياء[٣] وبلغ بهم الأمر إلى قراءته عشرات ومئات المرات بل حفظه منهم العلامة الكبير محمد بن علوي الشاطري المتوفي سنة ٨٩٧هـ عن ظهر قلب[٤] ويروى عن بعضهم ترغيبات وتباشير لمن عمل بما في الإحياء ووعاه ومع هذا يقول قائلهم إن في الإحياء قولات لو استطعنا أن نمحوها بماء عيوننا لفعلنا.

---

[١] عدها البعض ثلاثمائة وستين والبعض أربعمائة وهو العلامة الداعية أحمد بن محمد المحضار ولم تضبط طريقة هذا الإحصاء .

[٢] انظر آخر (حياة الأسرة)

[٣] هو الإمام السقاف رحمه الله .

[٤] قال صاحب المشرع الروي أنه يلقيه درساً من حفظه وقال بعض الشيوخ أنه يفرق بين واوه وفائه العاطفتين .

تعليم البنات

وبالطبع فقد نشأت بناتهم نشأة علمية وربين على تدبير المنـزل ومعرفـة القيـام بحقـوق الـزوج وتربيـة الولـد وتجلـت فـيهن معـاني المدرسـة الأولى وممـا يـذكر في التـاريخ أن العيدروس الأكبر فتح مدرسة خاصة لتعلـيم البنـات بتريـم في القـرن التاسع وفي خـلال كتبهم نجد مشاركة بناتهم وزوجاتهم لهم في العبادة والمعرفة وأكثرهن يدرسن ويتـثقفن على يد آبائهن وأزواجهن في البيوت .

الأدب والشعر

وقد برز منهم أدباء وشعراء يظهر في طليعتهم الـشاعر الفحـل ابـن عقبـة الـشهير الـذي أشرنا إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب[1] وهو صاحب القصيدة البليغة التي مطلعها

أصبرت نفس السؤ أم لم تصبر بيني ومن تهوين يوم المحشر

وهو مخضرم بين الدولتين الراشدية واليمانية

ثم نبغ فيما بعد عبد الصمد باكثير المتوفي سنة ١٠٢٥هـ وهو صـاحب القـصائد العمريـات نسبة إلى ممدوحه عمر بن عبد الله الكثيري المار ذكره قريباً .

ثم لمع نجم الإمام عبد الله بن علوي الحداد صاحب الديوان الشهير الذي طبع عـدة مـرات وفيه قصائد ممتازة خصوصاً في ضـروب الزهـد والفلـسفة والـوعظ وهـو وإن كـان لا يتقيـد أحياناً بالقواعد إلا أن فيه روحاً شعرية عالية .

والمستوى العام الأدبي في هذا الدور يتقارب مع المـستوى العـام إذ ذاك في الـبلاد العربيـة ونجد من الكتب المفضلة عندهم مقامات الحريري ويـسمونها طبقـات الحلـوى ، وديـوان

[1] وقلت فيه أنه شبامي كما عرفه بعضهم واشتهر أيضاً بأنه هجراني نسبة إلـى الهجـرين التـي أقـام بهـا حقبة من الزمن .

المتنبي وكانوا يتمثلون بحكمه ويكاد بعضهم أن يحفظه والكثير منهم ولع بنظم القصائد الدراجة[1] والفصيحة ويغلب على أدبهم النزعة الصوفية الشاملة للبيئة كلها إذ ذاك .

المصنفات والإنتاج القلمي

قد أشرنا فيما مر آنفاً إلى قلة مصنفاتهم وإنتاجهم القلمي بالنسبة إلى سعة معارفهم وغزارة المادة الثقافية عندهم ولكنها حين نستعرضها في تراجمهم ليست يسيرة فقد صنفوا في كل العلوم الشرعية والعقلية والكونية واللغوية وغيرها منها المطبوع ومنها ما لا يزال مخطوطاً ومنها ما فقد ونجد ظاهرة في القرن العاشر هي كثرة المؤلفات التاريخية فيه إذا قارناه ببقية العصور الأخرى بإستثناء هذا القرن الرابع عشر الذي نعيش فيه فقد تعرض لكتابة التاريخ فيه كثيرون فيهم الغث والسمين وفيهم المخلص للفن وفيهم المغرض وعلى المطلع أن يمحص الحقائق التي ستتضح حين يوضع عليها المجهر (ميكرسكوب الكشف) ونجد أسماء معظم المصنفات التاريخية وأصحابها في القرن العاشر في البيان التالي:

[1] من أكابر الشعراء في الشعر الدارج الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمةالمتقدم ذكره والشيخ سعيد الشواف صاحب ديوان قصعة العسل المتوفي بمكان يقال له (وردة مسبح) بتشديد الباء الموحدة بالمشتاص أواخر القرن العاشر وبلغ عدد أبياتها خمسة آلاف بيت في مدح المتصوفة وتعداد أسماء كثيرين من كبار العلماء والأولياء طبعت طبعاً هندياً .

الكتاب	الأجزاء	المصنف	
قلادة النحر (تاريخ بامخرمة	٣	الطيب بامخرمة[1]	مخطوط
تاريخ شنبل	١	أحمد بن عبد الله شنبل العلوي	مخطوط
ترياق القلوب الواف	١	عمر بن محمد باشيبان العلوي	مخطوط
أنس السالكين	١	أحمد بن عبد الله باهارون	مخطوط
غرر البهاء الضوي	١	محمد بن علي خرد	مطبوع[2]
النور السافر	١	عبد القادر بن شيخ العيدروي[3]	مطبوع
تاريخ حوادث السنين	١	الطيب بافقيه	مطبوع
تاريخ باقشير			
تاريخ باسلخة[4]			

وهذه الكتب وأمثالها مما تقدم أو تأخر وإن كانت لا تعطى المعلومات غالباً إلا من وجه واحد فإننا نستفيد منها ما جاء فيها عرضا وما استنبطاه من فوائد اجتماعية أخرى.

التحدث عن الكرامات

[1] ترجم له في النور السافر وأما الثاني ومن بعده إلى التاسع فكلهم علويون توجد تراجمهم في المشرع وغيره لمن أراد الإطلاع عليها.

[2] كذا قال لي بعض من أثق به إلا أني لم أطلع على نسخة مطبوعة .

[3] هو ميلاد الهند في مدينة أحمد أباد ونشأته بها ولكن في أسرة حضرمية علوية مثقفة شهيرة وبين جالية متمسكة بحضرميتها وله مصنفات عديدة مفيدة طبع الكثير منها ويستغرب وجود أشعار في بعضها غير موزونة رغما عن إطلاع صاحبها واتساعه .

[4] ترجم لباقشير في النور السافر وأما باسخلة فترجمته في السناء الباهر كما يقول بعض الأدباء والسناء الباهر لصاحب المشرع وهو ذيل النور السافر للعيدروس .

ونجد بعض المؤرخين المشار إليهم يتحدثون كثيراً في كتبهم عن الحوادث الخارقة للعادة الواقعة على أيدي المشايخ الأتقياء وهي الكرامات التي يعتقدها المسلمون بل وغير المسلمين من أرباب الديانات الأخرى لأنها من فضيلة المعجزات إلا أن الملاحظ هنا هو أنهم يتسامحون في معنى الكرامة ويسوقون أحياناً ما يجري كحادث يدل على الصلاح من رؤيا منامية مثلا وما يدرك الذكاء وبعد النظر على أنه كرامة ونشأ من هذا بعض القراء تخيل غريب عن الكرامات فظنوا أنها تقع في تلك العصور يومياً وعلى الدوام لأنه يقرأها دفعة واحدة بينما جمعت عن مشايخ عديدين في عدة قرون فلا تقع إلا نادرا ، ويظهر أيضاً أنهم يجدون في ذكرها عزاء وروحنة وتقوية لروابطهم ومن أجل أن يجتهد المريدون في الأعمال الصالحة وفي العبادات والرياضات حتى يصلوا إلى درجة شيوخهم الذين تكلموا عنهم بوقوع الكرامات المتكررة ، ولكن المعروف عن معظم أولئك الشيوخ أنهم يبتعدون عن إبداء الكرامات ويقولون ـ الإستقامة أعظم كرامة ـ ولا تقع منهم إلا نادراً شأن الأكابر الصالحين والعلماء العاملين في كل قرن من قرون الإسلام وفي كل صقع من أصقاعه وأن شوه بعض قصار النظر تاريخهم المجيد بما لا يتفق مع الحقيقة والواقع عندما ندرس نواحي حياتهم الطيبة رحمة الله عليهم .

مكتبة حضرمية

ويمكن تأسيس مكتبة عامرة بآلاف المجلدات الخطية والمطبوعة في مختلف الفنون من مصنفات علماء الحضارمة[١] لو كان عند المسؤلين عن الثقافة من حكوميين وأهالي في هذه البلاد شعور بواجبهم نحو هذا التراث العلمي العظيم .

[١] لا نقصد بهذا شيئاً من الإقليمية الضيقة ولكن لحفظ التراث الخاص كالتراث العام .

فن وتصوف

وبواسطة شيوخ حضرموت وعلمائها وفي مقدمتهم الإمام الفقيه المقدم والأئمة من سلالته والمشايخ الآخرون تغلغل التصوف النظيف المهذب في الأوساط الحضرمية[1] منذ القرن السابع الهجري كما سبق فالجو جو تصوف يختلط أحياناً بفن غنائي وطرب برئ يجدون فيهما متنفساً وترويحاً للنفوس التي أمضها الكبت والتفكير العميق وأتعبت أجسامهما المجاهدات والجهود المضنية في سبيل العلم والإصلاح والعبادة .

فأناشيد الأفراح والألعاب الشعبية وأناشيد أبناء المدارس والكتاتيب ككتابي أبي غريب وأبي حرمي بتريم وإلى عصرنا هذا لا تسمع فيها غالباً إلا الأذكار والدعوات والعظات في قوالب أهازيج وآزجال فيه الحزين وفيه المنعش والمطرب إلى حد ماء كما هي في نفس الوقت مهدئة وهم يحفظونها جيلاً بعد جيل وتوجد في بعض الدواوين .

ومن أبدعها وأرقها أذكار السحر المشجية حين يقوم بآدائها منشدون مختصون لهم أنظمة وترتيبات خاصة وكثيرا ما تنشد في المساجد آواخر ليالي رمضان ولا يزال هذا كله موجودا ولكن لم يعط عناية تذكر لضمان استمراره وتحسينه .

حضرة السقاف

وللإمام عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨١٩هـ جلستان أو حضرتان في الإسبوع خاصتان بإنشاد الأناشيد الصوفية بعد أداء العشاء مباشرة ليلتي الإثنين والخميس بمسجده مع الدفوف والشبابات يتولى ذلك بنوه وأحفاده[2] ثم ارتأى حفيد حفيده وهو العلامة الكبير أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى سنة ٩٦٨هـ جلب منشدين ومطربين

[1] انظر تواريخ حضرموت كالجوهر والغرر وقلائد النحر والطراز المعلم ويسمى السلسلة العيدروسية والعقد النبوي وغيرها .
[2] وتوجد من هذا الشكل حضرات متعددة بحضرموت .

من مصر ومن عرف[1] وألف منهم جوقة عدد أفرادها سبعة حيث استوطنوا تريم وقاموا هم وأحفادهم بهذه المهمة باستمرار وإلى اليوم ولكنهم لم يشاءوا أن يدخلوا على هذا العمل الفني تحسينات ويطوروه تطويرا لائقاً به خصوصاً وأنهم أصبحوا منذ القرن الثالث عشر يدعون في حفلات بعض الزواجات أما في الجنائز فيقومون برفع أصواتهم بالذكر الحزين الذي يستدعي الخشية والإعتبار أمام الجنازة بتريم منذ أوائل القرن العاشر حيث أبتدع هذا الذكر السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله مولى خيله[2] ولكن العلامة أحمد بن حسين العيدروس المذكور آنفاً خالفه فلم يستحسن العمل به لنفسه ولا لأتباعه من بعده ولعل وجهة نظره أنه يرى في هذا شيئاً من الإبتداع بالنسبة لهذا الموقف ، وليس الفن بدعاً في متصوفي حضرموت فإن المتصوفة في كل في العراق وفي مصر والمغرب والحجاز يمزجون التصوف بالفن ويتذوقون المعاني الغزلية ويفسرون الألفاظ ويطبقونها على المحبة الإلهية التي يرمزون إليها بما يملاء المجلدات لو أردنا استقصاه وهو يدل حس مرهف وذوق سليم وسمو في الخيال كما يتجلى ذلك في ديوان ابن الفارض ومن على شاكلته رحمهم الله ، وقد بلغ الأمر ببعض شيوخ التصوف بحضرموت أن يدور بالسماع ـ ويعنون به الغناء المشكل من عدد وعدد وليس فيها آلة وترية ـ في الشوارع[3] وبالبعض الآخر أن يغني الساعات الطويلة ببعض الأشعار المطربة كقوله

ألا يا صاحب الخمر قتلت الناس بالسكر

ومع هذا كله فلم يتأكد استعمالهم للعود وأمثاله من آلات الطرب إلا نادرا ويدلنا على هذا ما ذكره بعض العلماء من حادثة طريفة يرويها عن مصدرها[4] فيما يلي

---

[1] ولهذا يسمون آل بامصري وآل باعرفان ويشترك معهم غيرهم أيضا .
[2] انظر ترجمته في المشرع .
[3] وهو أبو بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف قالو ولقب بالسكران كناية عن سكره بمحبة الله .
[4] المصدر هو كتاب القرطاس لصاحب المشهد العلامة علي بن حسن العطاس مخطوط وقد وجدتها فيما بعد بصورة أوضح .

الحادثة الطريفة

زار إمام من تريم شهير مقاطعة دوعن ولما كان في الخريبة اقترح عليه أن يؤلف كتاباً في حل العود فقال أن حضرة الشيخ علي باراس فعلت ذلك فعملت مأدبة وأعدت جلسة طرب بعد تناول الغذاء وممن حضرها مع الإمام المشار إليه الحسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس بعد وفاة أبيه والشيخ علي باراس ولما أتى بالعود وبدأ يداعبه تهيأ الشيخ علي باراس للقيام تورعاً من سماعه فقيل له ألا تجلس لسماع العود فأجاب بأن العود يقول له بأوتاره قم قم قم ثم خرج ولكن الحسين بن عمر العطاس تبعه وأبدى له تعجباً من مغادرته الجلسة مع حضور ذلك الإمام وغيره من كبار العلماء الثقاة فيها فقال لو كان شيخي عمر بن عبد الرحمن العطاس يسمع العود لحضرت وسمعته ثم أمضى الحاضرون جلسة طربهم حتى انتهت .

الزراعة والإعمار

وهم يعتمدون كما في الأدوار السابقة في زراعتهم على الآبار وعلى العيون (المعايين) وتوجد في الساحل أكثر وعلى الأمطار ويعملون سدودا يقوم بها خبراء منهم ويضعونها بميزانية مضبوطة على قدر وضعية الأودية والأراضي التابعة لها وتوزع المياه بطريقة تستفيد منها الأراضي الزراعية وترتوي أولاً بأول ولهم كما يفعل آباؤهم من قبل قوانين وسوابق (سوارح) يقيدونها فيما بينهم بالنسبة للمخابرين ويسمونهم النشراء[1] وللملاك ويسمونهم الطبانة[2] فيما على كل وله من لوازم التعمير والإصلاح وتوزيع الحواصل وغالباً يكون لمالك الأراضي نصف حاصلها والنصف الآخر للعامل فيما يسقى بالسيل وفيما يسقى

[1] جمع نشير بفتح النون وكسر الشين .
[2] جمع طبين بفتح الطاء وكسر الباء .

بغيره تكون الأرض بأجرة معلومة من الطعام تدعى (العجيز) وكثيراً ما تكون بمقدار عشر الحاصل وقد مر الكلام عن الغراس في الجزء الأول .

أما في نفس ملكية الأطيان فهم يرجعون عند النزاع عليها إلى الشرع الشريف بمقتضى مذهب الإمام الشافعي رحمه الله .

وكثير من أئمتهم وأعيانهم يباشرون الزراعة بأنفسهم كالشيخ العلامة سعد بن علي مدحج المتوفى سنة ٨٥٧هـ والإمام محمد جمل الليل نزيل روغة المتوفى سنة ٨٤٥هـ وتوجد إذ ذاك قبيلة بأكملها ن العلويين يدعون آل الحراث لما يزاولون من أمور الحراثة[1] وتوجد أسر حضرمية كثيرة جمعت بين الزراعة والعلم والعبادة فعاشت في سعادة وراحة ضمير .

زراعة القطن والحرير وصناعتهما

ويعتنون بزراعة القطن ويغزلونه بواسطة مغازل خشبية معروفة من صنع البلد منتشرة في البيوت وتستعملها السيدات والعذارى المحجبات في البيوت لغزل خيوط معدة للنسيج يسلم إلى الحاكة حيث ينسجون منه جميع أنواع الثياب التي تكفي السكان وتصدر إلى الخارج منها المصبوغ ومنها الصافي وبلغ النسيج الحضرمي في بعض مراحل هذا الدور درجة قصوى من الإحكام وقد تضاف إليه الخيوط الحريرية ويرسل إلى البلاد المجاورة كاليمن والحجاز بأثمان باهظة[2] وكانت توجد آلاف المحاويك بمدن وقرى حضرموت حتى بلغت في الشحر ألفاً وثلاثمائة محواك (منسجه) وبحارة واحدة من

---

[1] هم موجودون في الشجرة العلوية العامة ومن آبائهم إبراهيم الحارث المتوفى ٨٨٤هـ كما في شجرة الأمهات .

[2] مما تناقلته بعض الأوساط العلمية أن قافلة توجهت من حضرموت إلى اليمن تحمل بعض البضائع ومعها رجل يحمل حزمة كبيرة فيها أردية فلما دخلوا صنعاء ضربوا رسما (عشورا) على القافلة وتركوا الرجل وحزمته لشأنه بدون تفتيش فلما بيعت القافلة وبيعت الأردية وجدوا ثمن الأردية التي سلمت من العشور أضعاف قيمة القافلة التي لم تسلم منه مما يدل على جودة النسيج الحضرمي وارتفاع ثمنه .

حارات تريم أربعمائة[1] ولهذا احتج بعض أئمة حضرموت على التجار حين جلبوا بعض الأقمشة من الشرق الأقصى فيما بعد[2] .

أما بقية المزروعات والمغروسات فقد ذكرناها في الجزء الأول من هذا الكتاب ، ولأجل صبغ الثياب بعد النسج والغزل وقبله كانت تزرع الحشائش التي يستخرج منها الأصباغ (النيله) وغالباً ما تكون سوداء وحشيشتها هي الحوير الشهير وكانت تزرع منه مساحات كبيرة لهذا الغرض .

وتختلف مراحل هذا الدور في كثرة الإنتاج وقلته إلى درجة الجدب تبعاً للأمن والأمطار وضدهما من خوف وجفاف ففي آواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن مثلاً تدلنا المراجع التاريخية على جودة المحاصيل وكثرتها وإنتاج الدواجن وزيادتها وتقول بعض المصادر أنه كان في بعض عياض الشحر وهي قرية النقعة تدر شجرة ليمون واحدة شهرياً آلاف الحب وقت الموسم في أثناء القرن الثامن[3] وذكرت مصادر أخرى[4] أن الإمام الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣هـ وستأتي في ترجمة الفقيه المقدم كان يكبس (يرزم) من التمر بعد الاستثمار والصدقة في جرار معدة له ما يقدر بمائة ألف وعشرين ألفاً رطل سنوياً ولحفيده ولحفيدة الإمام عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم أطيان وتمور لا تكاد تحصى ولا يدخر منها إلا القليل لأنه يشرك فيها الفقراء والمعوزين وقد جمع السيد عمر بن محمد العلوي من ودك الغنم التي كان يرسلها له ثلاثين منا في شهر واحد[5] ومن أوقافه على مسجد باعلوي بتريم ما قيمته تسعون ألف دينار ذهباً من الأطيان والنخيل والآبار[6] كما أن النقود الذهبية والفضية في تلك الحقبة كانت فائضة وحضرموت معمورة الغياض والرياض .

---

[1] لقد أدركنا ونحن أطفال الكثير من ذلك ويعد قليلاً بالنسبة لما مضى .
[2] ومنهم العلامة عمر بن حسن الحداد سنة ١٣٢٠هـ في أمالية كلامه مخطوط .
[3] انظر الجوهر والمشرع والبعض يفسر هذا تفسير الخوارق للعادة ومهما يكن فهو خصب واقع معتاد .
[4] منها الجوهر .
[5] انظر المشرع وغيره والمن ٢٨ رطلاً .
[6] انظر المشرع أيضاً وتوجد أمثلة لذلك لم نطل بذكرها .

السدود

وقد استعان الحضارمة في هذا الدور ببعض المهندسين الهنود في بناء بعض السدود وممن ذكرتهم المصادر الإمام العلامة عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفى سنة ١٠١٩هـ حيث جلب معه اعانة من بعض أمراء الهند الموالين للعلويين[١] تقدر بمبلغ ثلاثمائة ألف ريال نقدية جعل ثلثا منها لإصلاح مساقي ثبي طبق تقرير وضع لتوزيع المياه يسمى (الفذ) ولا يزال العمل عليه جارياً إلى اليوم بعد أن بنى سدود ذلك الوادي وقام بتوزيع مياهه مهندس هندي اشترك معه بعض الخبراء والعمال الحضارمة ومع الأسف أننا لم نظفر بتفصيل شافي عن هذا الموضوع الإعماري المهم فلا ندري عدد المهندسين ولا الخبراء بالضبط وهل ذلك الأمير الهندي أرسل المهندس من قبله ؟ إلى غير ذلك من المعلومات التي نخن بحاجة إلى الإطلاع عليها.

أما الثلث الثاني من هذه الإعانة فقد صرفه في سبيل إنقاذ لفيف من علماء حضرموت ضاقت بهم المعيشة في حضرموت فقرروا مغادرتها للإكتساب في الخارج فلما استأذنوا ذلك الإمام المشار إليه في السفر وعرف السبب أمرهم بالبقاء وأشعرهم بأنه هو سيقوم بالمهمة بالنيابة عنهم حتى لا يتقلص ظل العلم ورجاله من حضرموت .

والثلث الثالث كان موجها ليصرف في سبيل نفقاته وإصلاحاته واعطياته الشخصية للأرامل والأيتام والضيوف وغيرها .

وأنتج ذلك خصب المقاطعة خصباً هائلاً إلى درجة أن أصبحت في كثير من المواسم سوادا بالأشجار والثمار كسواد العراق في خصوبته وصارت بساتين الرملة خضراء كرملة فلسطين في نضارتها[٢] .

---

[١] ملوك وسلاطين وأمراء الهند أكثرهم من المظفرين والمغول كما يستفاد من النور السافر وغيره ولم يذكر لنا اسم صاحب هذه الهبة منهم بالرغم من ذكر أسمائهم في المراجع في مناسبات أخرى ولعله الملك عنبر تلميذ والده .

[٢] توجد رملات كثيرة في حضرموت ومنها هذه وفي اليمن والشام ومصر وإليها ينسب الشهاب الرملي الفقيه العلامة وابنه محمد ولعلها السبب في تسمية الرملة رمله .

المساكن

أما مساكنهم فيبنونها باللبن المخلوط بالتبن غالباً ويصنعون نوافذهم وأبوابهم من جلاميد خشب السدر المتينة وهم يضيقون النوافذ من الخوف على أنفسهم من هجوم أعدائهم عليهم ليلاً منها وبعضهم يجعل مشرف النوافذ على قمرة (شمسة) داخل الدار مبالغة في ستر نسائه[1] وبعض المدن والقرى نجد فيها عدة ديار متصل بعضها ببعض وعليها سور واحد بسبب الحروب المستمرة بينهم كما شوهد هذا في دوعن وفي جفل[2] وغيرهما ولكن تبدلت تصاميم بيوتهم في أوائل القرن الثاني عشر الهجري حيث بنى بعض وجهائهم قصور فخمة كالإمام زين العابدين الأصغر العيدروس بتريم فإنه بنى قصرا فخماً على ربوة بسحيل تريم إذ ذاك وقد أدخلوا عليها بعض الفن المستورد من الهند للإتصال المستمر بين حضرموت والهند .

ومن القبب التي بنيت بمباشرة وإرشاد بعض المهندسين الهنود قبه نبي الله هود وهو نفسه بنى منارة مسجد بلفقية بحارة الرضيمة بتريم حيث جلبه السيد أبوبكر بن محمد بلفقيه من الهند لهذين الغرضين حوالي سنة ١٠٩٧هـ إلا أن المصادر لم تذكر لنا أسم ذلك المهندس ولم تفصل لنا المشروع ولم تزل كلمة (بنقلة) الهندية تطلق في حضرموت على نوع من المباني الجميلة بها .

---

[1] يشاهد ذلك فيما بقي من ديار أثرية لها عدة قرون منذ بنيت كدار العيدروس الأول جنوب شرقي مسجد علي بتريم وكدار الحداد جنوب شرقي مسجد باعلوي .
[2] بكسر الجيم والفاء قرية معروفة لبعض آل كثير قرب حوطة أحمد ابن زين .

النقوش والتلوين

ومن الفن عندهم زخرفة وتنقيش الأبواب وأعمدة الغرف فيعملون لها أشكالا من الثقوب في شكل دوائر وخطوط منتظمة منسقة وقد يكتبون على الأبواب آية من القرآن الكريم وقد شاهدت بنفسي بوابة كبيرة كتبت عليها سورة يس بخط واضح لدار الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس الذي بناه له تلميذه عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء في القرن التاسع وتعد أثراً من الآثار وتقول بعض المصادر[١] أنه كلف ٨٠٠ دينار وأنه مؤلف من ثلاثة قصور وهو اليوم على وشك الخراب ويطلون السقوف بألوان حمراء ويشكلون أعوادها الصغيرة أحياناً من أحمر وأبيض وأسود أما في دوعن فمن الفن عندهم إقامة كتلة خشبية مرصعة بقرص المسامير حوالي باب المنزل من الداخل بحيث تملأ الجدار ويسمونها الواجهة .

ولكن البيوت الآخيرة تغيرت وصارت أقرب إلى الطراز الحديث في هندستها وتنسيقها مما مضى .

الاكتفاء الذاتي

وعندهم ما يكفيهم في عماد حياتهم ومعيشتهم من ناحية المطعم والملبس والمسكن من الضروريات وحتى الكماليات ونجد الأواني والأدوات المستعملة بينهم من الفخار والأخشاب والخوص أشكالاً وأنواعاً في مختلف الشؤون المنزلية والزراعية والمعمارية وبين الأوساط ذات البساطة المعيشية وقل أن بجلبوا غيرها من الخارج فهم يعتمدون على ما تنتجه أرضهم الطيبة من تمور متنوعة وأطعمة مختلفة وثمار وخضار[٢] ويعتمدون في

---

[١] هو المشرع .

[٢] تقدم الكلام عن عدد أنواع التمور وأصناف الأطعمة والفاكهة والخضرة في الأدوار الماضية في الجزء الأول ولم تزل موجودة بها في هذا الدور ، ويتخذون اللحم القديد كما تتخذه قريش وتخذون نوعاً منه في تريم وما جاورها يسمى (المحشي) وذلك بان يقطع اللحم قطعاً صغيرة ويوضع في أباريزهي شبرم وفوم

ملابسهم على ما تنتجه المحاويك آلات النسيج التي تحول القطن الذي تنتجه أرضهم إلى نسيج ثم إلى أقمشة وقد يصبغون البعض منها بواسطة النيله التي تنبت في بلادهم بل يصدرونها كما يصدرون أنوعاً من نسيجهم إلى الخارج وأكثرها إلى اليمن والحجاز كما مر آنفا وبقية صناعاتهم مما تنتجه بلادهم فأونيهم من الخشب ومن الفخار ويعملون منه باتقان الجرار الكبيرة والصغيرة لخزن الحبوب والتمور وللماء ويصنعون منه الفناجين بأنواعها والأباريق إلى جنب مايصنعون من آلات الأواني من المعادن الأخرى كالحديد والنحاس المجلوبين من الخارج وما يحملونه وبالأخص في القرون المتأخرة من مهاجرهم من الأثاث والأدوات المتنوعة الأخرى ويقومون بصب الرصاص في قوالب خاصة ووضعه في الخراطيش ويصنع أقماعها إلا أن الرصاص نفسه يجلب عن طريق اليمن وغيره جلاميد كبيرة وبكميات وفيرة والخوص المحلي لا يزال إلى الآن يقوم بدور في تموينهم وبالأخص الطبقة الفقيرة منهم بالحصر والقفف والزنابيل والأطباق (المسارف) كل هذه بأنواعها وأشكالها الجميلة ، إلا أن متوجات البلاد المتقدمة قد شملهم غزوها في هذا العصر الحديث وكاد يقضي على المنتوجات المحلية .

أنهم بهذا الإكتفاء الذاتي مستقلون الإستقلال الإقتصادي الحقيقي[1] عكس ما حدث فيما بعد من حاجتهم وإعتمادهم على الخارج .

مخللان مسحوقان معاً وبكمية أكثر مع كمون وملح وهرد وفلفل أسود بكمية أقل ويضاف اللحم المقطع معهما حتى يتشرب منها ثم يوضع في المستقيم (المخضة) بعد أن ينظف تماماً ويربط ويعلق في الهواء بأعداد قليلة أو كثيرة وهم في ليلة عاشوراء يبدأون بأكل المحشي المتخذ من لحوم الأضاحي وفي أي وقت شاءوا بعد ، ويجمعون أرجل الذبائح لمدة عام ثم ينظفونها ويغلونها مع الدجر كل تاسوعاء من محرم ولتزرير ملا بسهم كانوا يصرون نوى النبق في قطع قماش ويتخذونها أزرار عندما يكونون في ضائقة .

[1] توجد رواية خطية منتشرة تسمى (رحلة المغربي) تشتمل على وصف لجوانب إجتماعية بحضرموت في القرن التاسع تقريباً على لسان سائح مغربي صوفي وفيها يشير إلى الإكتفاء الذاتي في الجانب الإقتصادي وهنا يطرح سؤال وهو هل الرحلة المغربية حقيقة أم رواية خيالية ؟ والجواب أنهم اختلفوا فمنهم من قال بالأول وأنها توصلت من المغرب بواسطة بعض السادة الأدارسة وأنه جعلها على لسان المغربي ليكون أدعى إلى قبلوها وأخبرني الأستاذ محمج بن هاشم أن السيد حسنا اخبره بأنه هو واضعها ويدل الغموض والإجمال والمبالغة في بعض الجوانب على ذلك ومن أحسن ما قاله مؤلفها فيها عن السلف الصالح بتريم أنهم بالملائكة أشبه .

مقارنة إقتصادية بين الأمس المشار إليه واليوم

فأنت ترى فيما سبق أن الحياة الإقتصادية بسيطة في أدواتها وفي أغذيتها فلم تتطلب منهم صعوبة في تحضيرها ولا نقداً كثيراً في الحصول عليها وبقدر ما نقل التعقيدات في الحياة وفي العقول بقدر ما تتوفر السعادة وفي بعكسها اليوم تتطلب نظاما (روتين) معقداً وألوناً من الأطعمة لا تؤدي إلى التغذية المطلوبة وأشكالاً من الملابس والمساكن وأنظمة دقيقة بعضها غير طبيعي في الحياة وبالرغم من بذل الجهود في تسهيلها وتذليلها وتوفيرها فإن آباءنا القدامى ينعمون ويسعدون بوسائلهم البسيطة تلك أكثر مما ننعم ونسعد نحن بوسائل هذه المدنية الحديثة في هذه الحياة المعقدة الجحود لما يقصد من الحياة .

الفلاح الحضرمي

والفلاح الحضرمي كالعامل الحضرمي نشيط وصبور ومتسك بأداء فروضه وسننه الدينية وقنوع ومع هذا فقل أن تجد فلاحاً أو عاملاً حضرمياً وقتئذٍ إلا ويملك شيئاً من النخيل الذي يعدونه عماد ثروتهم ويعتنون بغرسه عكس ما عليه اليوم من ضياع هذه الثروة الحيوية الهامة ولعدم وجود الحكومة الوطنية والرشيدة التي يهمها هذا الأمر وغيره من وسائل التقدم والإزدهار .

عادة مستهجنة

وإذا كان الفلاح الحضرمي يعتني بالتمر وشجرته الباسقة المتجة فإنه يخطي أحياناً في بعض عملياته نحو تربية النخل أنه يفرط في التقارب بينه كما يترك للنخلة الواحدة عددا من الأولاد ويترك الرطب عليها حتى يجف وقليل من الفلاحين من أنتبه لهذه الأخطاء وتجنبها .

أما العادة المستهجنة التي أتخذها الحضرمي في داخل وطنه وليس الفلاح الحضرمي فقط فهي عادة التقليف والدوس وهي استئجار النساء لأخراج النوى من التمر بأفواههن ثم جمعه في شمس الظهيرة على موضع نظيف وتغسيلة ثم دوسه بالأقدام حتى يصير ناعماً كالهريسة ثم يتخلله الهواء في جراره الكبيرة المسماة بالأزيار حيث يضغط عليه ويغطى فلا يتخلله الهواء وفي هذا من القذارة ومخالفة الإرشادات الصحية ما لا يخفى إذ لا يخلو عن وجود لعاب فيه من الأفواه وعرق من أجساد الفلاحين التي تصهرها شمس الظهيرة .

ومع هذا فقد كان الدافع الأصيل لهذه العادة دافع نبل وكرم ، ذلك أن بعض الأضياف تناول تمراً كثيراً عند بعض كرماء الحضارم وهو السيد بامقلف[1] فخجل الضيف من كثرة النوى وشعر به ذلك المضياف الكريم ففكر في هذه الحيلة التي يأكل بواسطتها الضيف من هذا التمر المنزوع منه النوى كما شاء بدون أن تعرف الكمية ونفذها وتابعة بعض الناس عليها إلى اليوم مع أنهم كانوا قبله يكبسونه مع نواه .

[1] أنظر المشرع في ترجمته المضياف المشار إليه .

المجتمع النسوي

السيدات والآنسات تختلف أعمالهن بإختلاف الطوائف التي ينتمين إليها ولكنهن دوماً يجتمعن إجتماعات عمومية إضافة إلى الخاصة في المناسبات العديدة من أفراح وأتراح كالأعراس والمآدب والمآتم بدون اختلاط مع الجنس الآخر كأكثر البلاد الإسلامية والعربية في هذا العهد نفسه والاختلاط بين نساء البادية ورجالها وفي الأوساط العاملة الزراعية وغيرها وبعض القبائل المتسلحة المتحضرة ، أما نساء القطاع المعروف أغلبية أهله بالعلم والعبادة ونساء التجار ومن إليهم فهن محتجبات في بيوتهن حيث يزاولن إعمالا منزلية ويقمن ببعض المهن السهلة كالغزل والخياطة وفيهن من يشتغلن بالعلم والوعظ والعبادة وهن كثيرات حيث ربين ونشأن في بيوتات العلم والتقى والفضل[١] وحيث تكثر من بينهن ربات بيوت ممتازات وأمهات مثاليات[٢] ولكن التربية فيما بعد لم تنجح ـ مع الأسف ـ كما نجحت فيمن أشرنا إليهن إذ تغلبت الرفاهية ونقصت العناية بالتربية المطلوبة فيهن .

بين إفراط وتفريط

ووصلت المبالغة في الحجاب عند بعض البيوتات في هذا الدور أنها لا تتصل حتى بالمرأة التي تستقي لها الماء وإنما تعلق القربة في دهليز الدار وتخرج فتجئ ربة البيت وتأخذها لتفرغ ما فيها وتعيدها لتأخذها الأخرى بدورها وتضع قربة محلها وهكذا دواليك وبعكس هذا بلغ الإستهتار في أواخر هذا الدور ببعض نساء بادية الحموم[٣] درجة الإحتكاك بالجنس الآخر ليس عند دوافع الرقص فحسب بل متى شاءت مما تولد عنه

[١] يستخرج من مشجرات الأمهات للعلويين وكتب الأنساب لكثير من الأسر الحضرمية .
[٢] يستخرج هذا من المشرع والنور السافر والبرد النعيم وصلة الأهل وغيرها .
[٣] هي القبائل تسكن النطقة الجبلية والساحلية فيما بين الشحر ومهرة وإلى حدود الجابري في داخل حضرموت .

وجود مفاسد وأبناء غير شرعيين ولما استفاض عندهم هذا التفريخ كما يسميه البعض بذل الوعاظ والمصلحون جهودا جبارة للقضاء على أسبابه ومنها ارتفاع المهور ولا تزال بحاجة إلى متابعة[١] ويوجد إختلاط وربما أدى إلى إحتكاك في بعض المناسبات العامة كزيارة العمودي بقيدون والهدار بالقطن وعلي بن حسن العطاس بالمشهد وغيرها[٢] .

أما الأكثرية الساحقة في الحضرميات فيمشون في حياتهن بإعتدال فلا إفراط ولا تفريط فالسفور والمشي لقضاء الحاجات والأعمال خارج المنزل موجودان عند الفئات والقطاعات العاملة[٣] وعند البعض من سواهم ولكن جميع النساء الحضرميات إذا خرجن من البيوت يستعملن على رؤسهن النقاب فوق الأقمصة ومنهن من يكشفن وجوههن فتبدو الجميلات منهن كالأقمار ومن يكشفن أعلاه فتبدو جميلاتهن كالأهلة وهناك من لا يبدو منها سوى عينيها تلمعان كما في دوعن ووادي عمد ومنهن من يسلبن ستارا رقيقا بحيث ترى ولا ترى كل هذا لا يزال باقياً إلى اليوم وندر من تجرؤ على التبرج منهن والبعض من القطاعات الحضرمية يحجب البنت إذا صارت معصرا[٤] في البيت مادامت عذراء لم تتزوج ولا تخرج منه إلا في مناسبات قليلة وقد لا يكون خروجها إلا ليلاً[٥] وللنساء تقاليدهن الخاصة في الأعراس ومجتمعاتهن العامة فهن يستعملن للعروسة المشطة وهي مجموعة من طيب وتمر تلف في شعر رأسها ويبقى فيه أياما ولا تخرج إلا بعسر وصعوبة ويمنع وصول الماء إلى شعرها عند الغسل الواجب ولهذا اختلف علماء حضرموت في حرمتها لعارض هذا المنع وإباحتها وألفت في هذا فتاويات[٦] وهن يطلن جلسات الرقص والسمر

---

[١] آخر محاولة في هذا توجيه بعثة كبيرة من تريم لهذا الغرض قبل أربعين سنة يرأسها العلامة الشهير عبد الله بن عمر الشاطري ومعه مفتي تريم العلامة الشيخ أبوبكر بن أحمد الخطيب وبمعيتهما بعض العلماء الآخرين ومكثوا لديهم بغيل بن يمين وقت الخريف نحواً من شهر وكتبوا عليهم تعهداً بتخفيض المهور بعد سنين أخرى فجددتها بعثة من جمعية الإخوة والمعاونة قبل عشرين عاماً تقريباً .

[٢] حاول بعض المسؤولين في هذا العصر عزلهن فيها وربما نجح إذا استتبع الأمر .

[٣] لم نعبر بالعمالية لان التعبير بها وإن شاع محل ملاحظة نحوية .

[٤] معصرا يعطي كلمة مراهقة ولكن العرب تعبر بالمراهق للصبي وبالمعاصر للصبية .

[٥] أخطأ المستطلع في مجلة العربي في العدد رقم ٨٧و٨٩و١٨ وما إليها مما فيه استطلاعات عن المكلاء وشبام وسيئون وتريم حين بالغ في وصف الحجاب اليوم وغيره مما يوحي بإنه يريد الإغراق في الوصف ولفت أنظار القراء وقد أرسلت إليه بعض الردود ولكنه مع الأسف لم ينشرها .

[٦] منهم الإمام طاهر بن الحسين بن طاهر وسيأتي الكلام عن دوره في التاريخ فقد قال بحلها اصالة ولكن العلامة عبد الله بن حسين بلفقيه ربط تحريمها بما يترتب عليها من تعميم الغسل الواجب رحمهما الله انظر بغية المسترشدين المسماة فتاوى مشهور في الفقه .

والروحات حتى أفتى بعض العلماء بتقليد من يقول بجواز الجمع بـين الظهـرين تقـديماً وتأخيراً في الحضر فأمر نساءه بأن يؤخرن الظهر إذا عزمن علـى الخـروج قبلـه فيجلـسن إلى ما بعد العصر[1] وتنشد النساء في جانبي العروسين كـل في منزلـة انـشودة طويلـة فيهـا تغزل ومديح لأقارب العروسين أو أنشودتين من هـذا النـوع كمـا يجـري في بعـض الـبلاد الأخرى ويودع العروسة أقاربها وجيرانها والمدعوون من غيرهم إلى بيت الزوج في مسيرة وهيلولة وقد اركبت جملاً أو حصاناً أو حمارا وقد يكون قرينها عند ركابها إلى غير ذلـك من عادات وتقاليد الزواج التي لا يخلو عنها مجتمـع ويكثـرن بحـسب أحـوال رجـالهن الإقتصادية من أنواع الحلي في المعاصم والأرجل طقوماً منوعـة وفي الرقبـة والنحـر وربمـا تملاء حلي الواحدة زنبيلاً أو علبة واسـعة[2] والعروسـة أكثـر بحيـث يتنـافى مـع الـذوق السليم ويتعب من تستعمله كالأذيال التي أشـرنا إليهـا في الجـزء الأول وممـا اسـتعملته نساء هذا الدور مما يستهجن الأصباغ المنوعة بأشكال نقـاط صـغيرة وكـبيرة علـى الوجـه ويتبارين في هذه التشكيلة على أوجـه البنـات الـصغيرات ولكـن هـذا زال في أواسـط هـذا القرن والنساء يظفرن شعورهن ظفائر دقيقة بحيث يكون في كل جانـب عـشرات الظفـائر وفي الوراء أيضاً ولكن ظفائره أقل وهناك نساء مختصات بهذا الـتظفير يقمـن بـه يومـاً في الإسبوع أو في الأسبوعين بعد أن ينظفه ويدهنه ويسمونه التعقيد وتـسمى الظفـيرة عقـدة وقبل سنوات تركت نساء المـدن هـذا التعقيـد تـدريجياً واسـتبدلنه بـبعض التـسريحات الجديدة.

[1] هو الإمام عبد الله بن علوي الحداد كما في بغية المسترشدين .
[2] يؤخذ من برد النعيم عند ذكره بعض نساء الأسرة الخطيبية وخلال بعض الأمالي والمصنفات الحضرمية .

حياة الأسرة

حياة الأسرة في حضرموت في هذا الدور حياة رضا وقناعة وترابط بمقتضى جو هـذا البلـد الذي نعيش فيه ، ولها برنامج مرسوم في البيت وفي الحقل وفي الوادي وأن اختلف شـكلاً فإنه لا يختلف أساساً فأفراد الأسرة في المنزل يجتمعون على مائدة في الوجبـات الأصـلية والعائلات المحافظة الكبيرة تخصص مائدة للرجال وأخرى للنساء وحديث المائـدة منـوع ومحلى غالباً كل بما يرتبط مع حياتها الخاصة وعملها المختصة به وإلى الحواث الحربية والسياسية وإذا تزوج الفرد الذكر تخصص له غرفة إلا الفقراء الذي لا يجـدون حيلـة ولا يهتدون سبيلا ولا يفترق الابن عن أبويه وأخوته إلا إذا إزداد العدد فحينئذٍ يفترقون إلى اثنتين وثلاث كما تفترق خلية النحل والحموات متعاونـات مـع زوجـات بنيـنهن وأقـل نقاراً بكثير مما في البلاد الأخرى كمصر أمـا حمـاة الـزوج فإنهـا تجعلـه محـل تجلتهـا وإكرامها في كل مناسبة وكلتاهما تدى بخالة وتعدد الزوجـات أقـل بكـثير مـن الأقتـصار على واحدة وقل أن تجتمع الضرائر في ببيت واحد إلى في قليل من الـبلاد كعينـات فـإنهن يجتمعن ويتعايشن معاً في دار واحدة كأنهن أخوات ولا يـزال هـذا باقيـاً فيهـا إلى اليـوم وهم يستيقظون باكرا وأكثرهم يقومون السحر يسمون ذلك قيـام الربـع يعنـون بـه الربـع الآخير من الليل فيحيونه بالتلاوة والعبادة ودرس العلم في المـساجد والـسيدات يـبقين في البيوت ومنهن من تشارك في هذا القيام ومنهن من تدرب أطفالها علـى هـذا لينـشأ نـشأة الطاعة والعبادة حتى الفجر وصلوات الرجـال كلـها في جماعـة في المـساجد حيـث توجـد بكثرة في المدن حتى بلغ عددها في تريم آخره[1] وفي القرن الثالث عشر نحـوا مـن ثلاثمائـة مسجد منها ما يشمل مساجد عدة داخل مسجد واحد وبهذا ضربت الرقم القياسي في هـذا

[1] أي آخر هذا الدور .

المضمار مما ندر وجوده في مدينة أخرى ولهذه المساجد أوقافها وقيومها ونظارها إلا ما ندر[١] .

القهوة والتبغ

ولما أنتشرت القهوة في ربوع حضرموت عن طريق اليمن وغيره ثم من جبل يافع أثناء القرن الثامن أحبوها جداً وجعلوا يتناولونها بكثرة وينوعونها ن بنية خالصة وبنية مع قشرها وخالصة (ساده) ومسكره ومزنجلة وللأسرة أوقات تجتمع فيها على حسر كئوس من القهوة في الفناجين والأباريق الخزفية والمحلية غالباً وبلغ بهم الأمر إلى بناء دكة في غرف الإستقبال فيها مواقد لطبخ القهوة من ربة البيت أو أحدى عجائزها حيث تقتعدها ولقلي البن والقشر فتفوح منهما رائحة شذية يستنشقها الحاضرون حين تدار عليهم المسارف[٢] ومن أهم هذه الأوقات وقت الضحى ويسمونه الضحوة ويسمون قهوته قهوة ضحوة وعلى هذه القهوة تدور الأحاديث المناسبة أو المذاكرات العلمية أو الأشعار المحلية الدارجة وأصبحت القهوة فيما بعد انتشارها بحضرموت ضرورية للمجالس الطويلة على اختلافها ما بين خاصة وعامة في البيوت وفي حفلات المولد ولا تزال القهوة الشراب الوحيد المفضل عندهم حتى ظهر الشاي في أوائل القرن الرابع عشر الجاري بواسطة القادمين من الحجاز[٣] فزاحم القهوة وجلب إلى حضرموت من الشرق الأقصى وغيره وصارت له مكانة لا تقل عن مكانة القهوة وتأنقوا في إعداده وانتقاء أوانيه الزجاجية اللامعة وبخارياته[٤] البراقة وعقد المجالس من أصحاب الفراغ والدعة حوله

---

[١] كما مر تحت عنوان أوقافهم وميراثهم .

[٢] أنتقدهم كثير من مرشديهم وعقلائهم حين أفرطوا في شرب القهوة واتخاذهم أوانيها فأختلت إقتصادياتهم وفي مقدمتهم الداعية الكبير والإقتصادي الشبامي أحمد بن عمر بن سميط المتوفى سنة ١٢٤٠حتى أثر عنه قوله (لو أنا نخزن في كل طبخة قهوة جفلة (أي بنة بقشرها) لأقمنا سلطاناً عادلاً .

[٣] أول من جلبه السيد حامد بن عبد الله الجنيد في مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري .

[٤] جمع بخاري وهو دلة نحاسية تصنع في بخاري في وسطها أنبوبة للجمر يغلي به الماء وإذا فار وضع على ورق الشاي بعد غسله في إبريق ويوضع على نار البخاري حتى ينضج ثم يشربون منه بعد مزجه بماء وسكر وصبه في الفناجين.

والعائلات المحافظة على الحجاب تمد ستارا بين الجنسين الأجنبيين شرعاً من أفرادها في مجالسها الآنفة الذكر.

أما التبغ (التنباك) فقد ظهر في هذا الدور أثناء القرن العاشر أو قبله ولكنه أنتشر فيما بعد[١] بين الجنود والجمالين والبدو ومن لف فهم وكانوا يدخنونه بواسطة النار جيلة (الرشبة) المعروفة ونساؤهم تتحامى التدخين ويستنكفن منه وكان أكثر رجال العلم والوعظ والإصلاح يقومون بحملات ضده ومنهم من أفتى بتحريمه للأضرار الصحية والدينية الناشئة عنه وعن مجالسه وفي مقدمتهم الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات المتوفي سنة ١٠٤٤هـ فقد أشترى جميع ماهو موجود منه بحضرموت وأمر ولاة حضرموت بمنع دخوله إليها ومصادرة ما يدخل ونودي بذلك في الأسواق حتى تم له غرضه من تطهيرها منه لوجاهته وإخلاصه[٢] ولكن التبغ (التنباك) ظهر فيما بعد وهرب وأنتشر بل وزع فيها واستعمل إلى الآن .

الاصطياف في الضواحي والأرياف

ومعظم الأسر الحضرمية تنتقل بأجمعها للاصطياف من المدن والقرى والسواحل إلى الضواحي والأرياف والأودية في فصل الصيف ويسمونه الخريف حيث يجنون الرطب الطازج الحلو المنوع يأكلون منه عدة أكلات في اليوم والليلة وبعضهم يكتفون به عن غيره طيلة مقامهم في المصيف ويقضون أوقاتهم في فرح ومرح وسمر و مزاورات وقنامة[٣] وعناية

---

[١] ولهذا أرخه بعضهم بكلمة (بغي) سنة ١٠١٢هـ .
[٢] أشار إلى هذا في المشرع .
[٣] قنامة النخل وضع ما أشتمل عليه العرجون من شماريخ ـ ويسمى الخيل بكسر الخاء ـ في سلة لحفظه من الندى والغبار والطير لهذه اللفظة أصل في العربية ويسمون السلل التي توضع فيه الخاول جمع خيل خبراً مفردها خبره بضم الخاء وهي بالفصحى بفتح الخاء مفردا أو جمعاً بمعنى المزاده ويظهر أنها مأخوذة من هذا وقل أن توجد هذه القنامة في غير حضرموت ووجودها في واديها الرئيسي أكثر ويبدؤن في القنامة (التخبير) بعد أن يستوي الرطب ليقدموا منه الهدايا والصدقات وقتها وحيث يوزع منه على الفقراء المتجمعين بين النخيل .

بصائفهم ونخيلها وأطيانها وقد يتكرم الله عليهم بالسيول والأمطار وهم فيها فيزدادون فرحاً إلى فرحهم وتنتعش آمالهم في الخصب ويسمون المطر رحمة وكأنهم يعبرون بها عن رحمة الله لهم بواسطته من ذكر المسبب وارادة السبب وهكذا يخرجون بالأصياف إلى جو نقي منعش يزداد لطافة في الليل وفي البكر والآصال .

أبناء الحارات

وفي هذا الدور وقبل منتصف القرن الثامن الهجري[١] تأسست أنظمة الحوف وفي جمع حافة[٢] بمعنى حارة وجمعها حارات حيث تقسم المدينة إلى أحياء فيقوم شيوخ وفتيان كل حي بإسعاف وخدمات إجنماعية من انتشال الغريق وأطفاء الحريق وطبخ الطعام وتقديمه وإدارة المشروبات في المجتمعات العامة من مآتم وولائم واحتفالات وكل ما يحتاج إلى جمهور كبير في حمله أو جره كالبوابات العظيمة وأخشاب المساني الكبيرة وسحب جيف الجمال والخيول وأمثالها إلى خارج المدن وحمل الجنائز وتجهيز الأموات وأغلب ذلك يقومون به مجاناً وما على من حدث عنده أي حادثة تستدعي الإستعانة بأبناء الحارة التي يسكنها إلا الإتصال برئيسهم (مقدمهم) فيسارعون فوراً إلى إجابته وعندما يقع شخص في نائبة حرق أو غرق أو هدم يتعالى الصريخ والإستغاثة بكلمة مناسبة كقولهم (والنار والبئر) فيهب أولئك لنجدته وإسعافه في الحال وإذا تم إنقاذه أنشدوا نشيد الخلاص وداروا في حارتهم صفوفا فرحين بما قدموه من تضحية وهاتفين بأسم الشيخ المعتقد الذي له مكانة روحية في قلوبهم وقلوب آبائهم الذين يطبقون هذه الأنظمة على أساس من النيات الصالحة .

---

[١] لا يعرف بالضبط متى تأسس نظام الحارات بحضرموت ولكن من المحقق أنه قبل منتصف القرن الثامن الهجري كما يؤخذ من بعض حكايات الجوهر الشفاف للخطيب .

[٢] الحافة باللغة الفصحى الجانب وجمعها حافات وحيف بكسر فسكون وحرف بضم ففتح لغة دارجة .

فالغاية التي يهدف إليها هذا النظام غاية إجتماعية نبيلة وهو أشبه بالفتوة الشعبية التي توجد في بعض البلاد الأخرى وبالكشافة في بعض صوره .

وتوجد منافسة بين أبناء كل حارة وأخرى وحماس فيما بينهم لأداء واجباتهم الإجتماعية التي يشعرون أنهم مسؤلون عنها وأنه من العيب الفاضح التقصير فيها أو أن يتدخل أحد من أبناء الحارات الأخرى في شؤون الثانية وداخل حدودها وإذا حدث ذلك فقد يؤدي إلى إصطدام عنيف بالهراوات والسكاكين وقد يؤدي إلى الإصابة بالقتل كما حدث في آخر القرن الماضي في مدينة الشحر حيث قتل سبعة أشخاص في اصطدام بين حافتين وإذا وقع الإشتباك فلا يفصله إلا جملة السلاح (القبائل) بقوة السلاح وتصبح وقائعهم كوقائع القبائل المتسلحة حديث الأندية والمجالس ولها تاريخ طويل ولكن ذلك التنافس خف كثيراً في هذا العصر كما أن الحماس لأداء تلك الواجبات يكاد يكون معدوماً .

ومن مهامهم القيام بالألعاب الشعبية كالشبواني والرزيح والخابة وهي ألعاب تقوم على الحركات المتزنة وكل واحد منها له شكله الخاص فالأول يقوم به صفان متقابلان يتغنيان بالشعر الشعبي الذي يرتجله لهم شعراؤهم الذين يتبارون فيه عدة مرات وفي نهاية كل مرة يتغنى الصفان باخر بيت ويقال أنه منسوب إلى شبوة وأما الثاني فمأخذه من أسمه إذ يرزح الفلاحون في دائرة متسعة وبغناء خاص وحركات خاصة والأخير مأخوذ من الخبب إذ يخبون صفوفاً داخل حاراتهم وفرقا ينشدون الأناشيد الشعبية ولا تزال هذه الألعاب باقية إلى اليوم .

والدن الحضرمية المعروفة بتقسيمها إلى حارات هي تريم والشحر والمكلا ويوجد في كل منها ما لا يقل عن ثلاث أو أربع حارات كما يوجد في غيل أبي وزير وسيئون ما لا يقل عن حارتين ولكل أبناء حارة حدود مخططة إلا أنه قد يجري إختلاف على بعض النقاط فيؤدي الأمر فيما بينهم إلى تقديم دعاوى وعرائض إلى رجال السلطة الذين يجدون

صعوبة في إقناع أي طرف وفي تفسير العرف الجاري في مثل هذه الأحوال وبالتالي ينتهي الأمر إلى سجن وتغريم بالجملة وبالقطاعي .

ولم تنفرد حضرموت بنظام الحارات بل يوجد في مدن أخرى وأن أختلف شكلا وحتى مكة المكرمة كان يوجد فيها هذا النظام فيما بلغني عن بعض أهلها الثقات وقد فكر بعض المسؤلين بحضرموت في إلغاء هذا النظام ولكنه عجز عن الإتيان ببديل له فأضطر إلى إبقائه على ما كان .

أول نقابة منظمة في حضرموت

توجد بحضرموت ـ كغيرها من البلاد ـ نقابة أو رئاسة للجماعات الكبيرة التي تلتقي حول عمل واحد أو مبدأ واحد أو نسب واحد كأبناء الحارات والزراع والقبائل المسلحة[١] وتتركز النقابة أو الرئاسة في إدارة الحياة العملية العامة التي تعيشها وقد أشرت إلى شيء منها خلال الأدوار السابقة واللاحقة ولكنها تجري بشكل فطري أكثر ينقصه النظام والدقة إلا أنه في هذا الدور وفي الثلث الأول من القرن التاسع الهجري تأسست نقابة منظمة للسادة العلويين وفي أن لا يحيدوا في أعمالهم وفي معاملاتهم بل (في كل شيء) كما تنص اتفاقيتهم أو معاهدتهم الأساسية عن دائرة الشرع الشريف وأن يضبطوا أوقاتهم وصدقات مساجدهم ـ وهي كثيرة ـ ويضعونها في مواضعها ومصارفها الشرعية ويعينوا لها نظارا أكفاء وأن ينصروا من أصيب منهم بمظلمة من جندي أو قريب أو غيره بالوسائل السلمية بعد أن يتحققوا من وقوع المظلمة .

---

[١] حتى أرباب القنيص (القنص) لهم نقابة .

وانتخبوا الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف نقيبها عليهم[1] ورئيساً لإدارة نقابتهم التي تتألف من عشرة منتخبين من أعيانهم وعلى كل فرد من العشرة خمسة ضمناء في أن لا يخالفوا الطريق المرسوم له في الإدارة والعمل وإذا لم يؤد واجبه بكفاءة يبدل بآخر يعينه النقيب إلى غير ذلك من الترتيبات .

ويقوم بتنفيذ مواد الإتفاقية حاكم تريم المتولي على حصن الرناد ـ قصر الحكم ـ من آل يماني أو غيرهم ومن ناحية أخرى فقد أتخذوا طريقة سلمية لتنفيذ موادها كلا أو بعضا وهي سلاح المقاطعة فإن النقيب يهجر ويمتنع عن مصافحة من ثبت إدانته بظلم أحد منهم ويتبعه الآخرون في المقاطعة وذلك لأنهم يرون في هذا ما يكفي في عودة الحق إلى نصابه لقوة نفوذهم الديني ولمكانتهم العظيمة في الأوساط كلها وذيلت اتفاقية النقابة بالإمضاءات ومن ضمنها إمضاء حاكم تريم سلطان بن دويس كما يلي (حضر وضمن على ذلك سلطان بن دويس لهم وعليهم على ما في هذه الورقة) .

ونقابة العلويين بحضرموت هذه هي من نوع نقابات اخوانهم الأشراف بالعراق ومصر والحجاز وغيرها وكان لها أثر كبير في إستمرار العلم والثقافة والتقوى والتربية الإسلامية فيهم جيلاً بعد جيل وقد تولى بعد المحضار نقباء آخرون منهم العيدروس الأكبر المتوفى سنة ٨٦٥هـ وأحمد بن علوي باجحدب المتوفى سنة ٩٧٣هـ وزين العابدين الأكبر العيدروس المتوفى سنة ١٠٤١هـ ومما يؤسف له ضياع المصادر التي توضح وتسلسل لنا النقباء والوقائع والتقارير والخدمات عن هذه النقابة وغيرها من النقابات الأخرى وحتى هذه الإتفاقية الآنفة الذكر قد أغفل التاريخ منها ويظهر أنه من أخطاء الناسخ الأول الذي تواتر النقل عنه[2] وما كتبته هنا عن النقابة العلوية مستمد منها نصاً وروحاً ولكن النقابة انقطعت فيما بعد القرن الحادي عشر وإن بقيت آثارها الأدبية حتى اليوم .

[1] إنما اختاروه لأنه أكفأهم والكفاءة عليها مدار في مثل هذا وقد أختار الرسول أسعد بن زرارة الانصاري نقيباً على من أسلم من قومه يوم العقبة ومعلوم ما للنقابة من تاريخ في الإسلام .

[2] رأيتها منقولة حرفياً بقلم مفتي تريم الفقيه العلامة الشيخ أبي بكر ابن أحمد الخطيب المتوفى سنة ١٣٥٨هـ وممن أشار إليها من المؤرخين صاحب المشرع وغيره ضمنا .

المناصب والإشتراكية الحقيقية عندهم

المناصب جمع منصب وهو المرجع في الأمور الهامة والمشاكل الإجتماعية وكما يطلق في اللغة العربية على هذا وعلى المقام والوجاهة والشرف والحسب كذلك توجد مجموعة هذه الصفات في المناصب الأول عند أهل حضرموت وشخص المنصب الذي هو المرجع متلازمة معه تلك الصفات التي أشرنا إليها والمناصب منتشرون في معظم مدن وقرى وأودية حضرموت وشغلهم غالباً التفرغ لثلاثة أعمال اجتماعية هامة وهي :

أ- إصلاح ذات البين ومن أهم أنواعه عقد الصلح والهدنة[1] بين القبائل المسلحة وكثيراً ما يخاطرون بأنفسهم ويزجون بها في المعارك لإيقاف القتال بينها واسترجاع الأموال المنهوبة في غاراتها والقبائل قل أن تعصي لهم أمراً في هذا السبيل .

ب - إرشاد الجهال والقيام بنشر المبادئ الإسلامية في محلاتهم وفي البوادي والأرياف والأماكن البعيدة عن الدعاة وينطوي تحت قولهم (نشر الدعوة إلى الله) تطبيقاً لقوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني) يتولون ذلك بأنفسهم وبمريديهم وتلاميذهم وقد يفتحون بعض المعاهد العلمية التابعة لمقامهم فتكون ملحقة به وقد يتوسعون في نشر الدعوة الإسلامية إلى المهاجر الحضرمية كأندونيسيا وملايا وشرق أفريقيا كغيرهم من الدعاة الحضارم .

جـ ـ قري الضيف فتكون ديارهم مفتوحة دائماً وكل وقت للضيوف والنزال والغرباء من الحضر والبدو[2] وهو يستقبلونهم بكل حفاوة وإكرام ويقدمون لهم أطيب المآكل وأفخرها وينحرون لهم الأنعام ويطبخون لهم الطعام في مطابخ معدة لذلك ويمهدون لهم الفرش ويغرقونهم بأخلاقهم

---

[1] الفرق عندهم بين الصلح والهدنة أن الصلح ليس له أجل أو له أجل طويل والهدنة أجلها قصير وقد يمهد أثناءها للصلح كما أشرنا إليه .

[2] نظمت هذه الثلاث المكارم ووصفت خوض المناصب للمعارك في أبيات من قصيدة رحبت بها الشاب الأديب المنصب الحسن بن سالم العطاس أحد مناصب آل العطاس في حفلة أقمناها له لمركز جمعية الإخوة والمعاونة بتريم سنة ١٣٥٤هـ وسنة ١٩٣٥م وهي

بقـــــرى واصــــــلاح وإرشــــــاد وبـــــا   نعـــم الثلاثـــة لـــم تـــزل مـــشغولا

فلتحــــي محتــــرم المقــــام فإنمــــا   مثلــــت أعمــــال الجــــدود الأولــــى

ونــــشرت روح الأمــــن بــــين قبائــــل   الأعــــراب فارتــــد الــــبلا وأزيــــلا

ولربمــــا حمــــي الــــوطيس وأســــبلت   فــوه الــسلاح مــن الرصــاص ســيولا

ولربمــــا اشــــتبكوا كــــان رمــــاحهم   شــــبك صــــيد مجرحــــا وقتــــيلا

فتخــــوض بــــين رصاصــــهم ورمــــاحهم   وســــواك لا يــــستطيع قــــط وصــــولا

السامية ومعاملتهم العالية وقد لا يكون من المنصب ولا في مقامه سوى قوت عياله فيقدمه لضيوفه في الحال بكل سرور وغبطة ولسان حاله يقول:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله	ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى	ولكنما وجه الكريم خصيب

وكثيراً ما يستدين المنصب ديونا تثقل كاهله من أجل القيام بهذه الخدمات العامة التي يرونها من أوجب الواجبات الإجتماعية التي يتوارثونها أباً عن جد وتسمى المنصبة بميزان مفعلة[1] وهم يرون في أموال هذه النصبة مالا مشاعا وحقا مشتركاً للمساكين المحتاجين وللغرباء الذين تنقطع بهم السبل فلا يردون من ورد إليهم أو نزل بساحتهم منهم أبدا بل أن المنصب نفسه قد يفني أمواله الخاصة يذيبها في الأموال المرصودة لمقامه ومقام آبائه التي تتألف من مجموعة من أوقاف ووصايا ونذر وهبات ولكنها لا تكفي غالباً لما رصدت له ويرث المنصبة الابن الأكبر للمنصب أو الشخص الذي تنتخبه الأسرة منها عند بعض الأسر وقد تأسست هذه المناصب ـ بالشكل الذي أوضحناه ـ في القرن العاشر من هذا الدور أي منذ أربعة قرون[2] وأول من عرف بتسيس المنصبة العلامة الكبير أحمد بن حسين العيدروس وأبنه عبد الله بن أحمد المتوفيان بتريم والشيخ أبو بكر بن سالم المتوفى بعينات والثلاثة المشار إليهم من أعيان القرن العاشر[3] والشيخ أحمد بن محمد العمودي والد الشيخين عمر الفقيه وعثمان منافس أبي طويرق والثلاثة من أعيان وادي دوعن في القرن نفسه .

---

[1] بسكون النون وفتح الثلاثة ما عدا الهاء .

[2] أنه يوجد من يقوم بهذه المهمات التي يقوم بها المنصب كلها أو بعضها أشخاص كثيرون منذ فجر الإسلام في حضرموت وغيرها إلا أنها ليست مؤسسة وموطدة على الأساس المشار إليه ولهذا فهي تنقطع بموتهم ولم تدم كما دامت تلك .

[3] انظر تراجمهم في المشرع وغيره .

وطبيعة حضرموت وظروفها من شأنها أن توجد فيها هذه المؤسسات العظيمة النفع ولهذا توجد روابط وثيقة بين هؤلاء المناصب الذين يتمتعون بالوجاهة وحسن العقيدة فيهم وهو ما يسميه البعض بالنفوذ الروحي[1] بين القبائل المتسلحة ولهم نفوذ عليهم في حدود معينة كما أن لبعض المناصب نفوذا وسلطة على مواطنيهم فترى النفوذ القبلي والنفوذ الديني أو الروحي كما يسميه البعض يمشيان جنبا إلى جنب في تلكم الأزمان وإلى ما قبل ثلث قرن فقط من هذا التاريخ فترى آثار الأول متمثلاً في القلاع والحصون والأكوات[2] وإليها وآثار الثاني في المساجد والزوايا والأربطة وغيرها مما يشارك فيه رجال الخير والإصلاح .

ومن أبرز العائلات التي تحدرت منها المناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم ولهم وجاهة عظيمة لدى القبائل اليافعية والمهرة والمناهيل وغيرهم وآل العطاس ووجاهتم أكثر لدى قبائل الجعدة ونهد وآل العيدروس ووجاهتهم لدى القبائل الشنفرية والتميمية وهذه أسر علوية شهيرة وللمشايخ العموديين وجاهة عظيمة لدى قبائل دوعن كما أ لآل أبي وزير وجاهة لدى قبائل الساحل ولآل أبي عباد وجاهة لدى بعض القبائل البدوية وهذه أسر شهيرة من المشايخ تحدرت فيها مناصب معرفة وهناك أسر أخرى علوية لها منصبها ووجاهتها التمس العذر لعدم الإطالة بذكرها لأن المقام يقتضي ذلك كما أني من أجله لم يمكني التفصيل بتعداد أسماء القبائل المتقبلة لنفوذ المناصب والمهم اعطاء صورة عامة عنها طبق الواقع إذ ذاك ولكثير من المناصب خدم وحشم وخيول ومماليك وعلم وطبول قل أن تفارقهم .

والمناصب الأولون يتحلون بالعلم والحلم والتقى والشجاعة ومتانة الأخلاق والخبرة بظروف الإقليم ونفسيات أهله ومع الأسف أن يفتقد كثير من خلفائهم النصيب الوافر من هذه الصفات فلا يستطيع أن يؤدي كل المهمات التي كانوا يؤديها أسلافه الماضون رحمهم

---

[1] كلمة النفوذ الروحي مستوردة ومترجمة عن الكتاب النصرانيين .
[2] الأكوات جمع كوت ولعله كوخ لأنه البناء الذي ليس فيه كوة

الله بل ربما أنحرفوا عنها وقد انتقدهم الداعية الكبير عبد الله بن علوي الحداد وغيره ومع هذا فلا ينكر ما لوجود المناصب في الماضي البعيد والقريب من أثر حميد في تسكين الفتن وإرشاد الجهال ومواساة المساكين وإنقاذ المنكوبين وإقامة الأفراح ويقال للأعيان والولاة في بعض البلاد العربية[1] فيما مضى مناصب .

الحُوَطْ

والحوط بضم الحاء وفتح الواو جمع حوطه بفتح الحاء والطاء وسكون الواو وهي الموضع الذي يختطه المنصب أو أحد المعتقدين ويحوطه ويعلن بأنه أصبح حرما آمنا على الدوام لا يمكن فيه قتل ولا قتال ولا نهب ولا ظلم من القبائل ولا السلاطين فيستجيبون ويتعهدون بذلك ومن دخله صار آمناً لأنه في حمى مؤسسه ومختطه ولهذا سميت كثير من مدن وقرى حضرموت بإسم الحوطة مجردة عن الإضافة إلى صاحبها أو معها كحوطة أحمد بن زين وصاحبها العلامة الكبير أحمد بن زين الحبشي العلوي وحوطة سلطانة وصاحبتها الشيخة سلطانة بنت على الزبيدي فإذا خاف أحد الظلم أو وقع تحت تهديد أهله نزح إلى إحدى تلك الحوط .

[1] منها لبنان .

العادات والتقاليد والآداب

لكل طائفة من طوائف الشعب الحضرمي عادات وتقاليد وآداب تزاولها فيها بينها مما يتعلق بلباسها وأشغالها وأفراحها وأتراحها ونجد الكثير منها مذكورا في هذا الكتاب في مناسبات عديدة[١] .

وهناك التقاليد والعادات والآداب العامة التي يزاولها كل أبناء الشعب ويشترك في القيام بها وكثير منها موروث ومأخوذ من الآداب الإسلامية والعربية ومن ذلك توقير الكبار في السن فيدعو الصغير من هو أكثر تقدماً منه في السن بيا عم أو يا أب أو يا خال ويا أم ويا خالة أو يا عمة والكنية شائعة بينهم كما هي شائعة عن العرب وتقبيل اليد مظهر من مظاهر الإحترام عندهم[٢] فيقبلون أيدي كبار العلماء والطاعنين في السن يقبل أيديهم الشبان والأطفال كما يقبلون أيدي آبائهم وأمهاتهم ويقبل غير العلوي يد العلوي ويلقبه بالسيد وبالحبيب إشارة إلى محبته له من أجل انتمائه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإعترافاً بما قدمه من أجداده من صفات علمية وإصلاحية لهذا الشعب وتقول بعض المصادر[٣] أن المشايخ آل أبي فضل كانت تقبل أيديهم إحتراماً لهم فلما جاء العلويون إلى حضرموت أشاروا إلى أبناء الشعب بأن يحولوا هذا التقبيل إلى العلويين لأنهم أحق به ومما يلاحظ أن العلوي لا يجد في نفسه أي ترفع بهذا التقبيل بل أن البعض من العلويين الأقدمين كان لا يرتاح إليه كالعيدروس الأول[٤] فضلا عن المثقفين في هذا العصر كما أن الذي يتناول اليد فيقبلها لا يجد أي غضاضة في ذلك عليه لأنه يزاول عادة نابعة عن العطف والإحتشام لسلالة النبي محمد ولهذا نجد الحاكم الحضرمي مثلا يقبل يد العلوي في نفس الوقت الذي يحكم عليه فيه بالسجن أو بالتغريم فكل شيء يجري مجراه عندهم

---

[١] نظر عادات القبائل والبدو وما ذكرته من عادات أخرى تحت عنوان المجتمع في الأدوار السابقة واللاحقة من هذا الكتاب .

[٢] وعند غيرهم أيضاً كبعض أهالي المغرب العربي ومصر .

[٣] هو الشيخ العلامة محمد بم عوض بافضل صاحب كتاب صلة الأهل .

[٤] توفي العيدروس سنة ٨٦٢هـ وقد ذكرته بالمناسبة في أكثر من موضع من هذا الكتاب .

ولعلماء الشرع كلامهم المعروف حول هذا التقبيل[١] الذي هو في طريقه إلى الزوال كأمثاله من العادات والتقاليد التي يعتقد البعض بأنها وما إليها أصبحت غير متلائمة مع أفكار هذا الجيل ولرمضان عاداته إلى جنب عباداته فترى زمر الأطفال والشباب يحملون المشاعل ليلاً ويطوفون به خلال الديار وينشدون بعض الأشعار الدارجة لمناسبة رمضان وينفحهم أربابها بالدراهم أو الحلويات أو غيرها وبعض النساء أيضاً يقمن بهذا الدور وتقام أسواق جنب المساجد التي يقام فيها ختم القرآن من العشية إلى أثناء الليل في بعض المدن الكبرى كما تقام موائد العشاء والإفطار بين الأقارب والجيران والمواطنين في هذا الشهر الميمون .

ومن العادات المعروفة عند بعضهم بالنسبة للمسافر أنهم يضعون كمية من التراب يطأها برجله ثم يصرونها في خرقة يعلقونها في سقف درج منزله قبل مغادرته البلد إعتقاداً منهم بأن في هذا التراب جلباً له من السفر ليعود قريباً وقد تجد في بعض الديار عددا في هذه الصرر بقدر عدد المسافرين من أهله ـ وما أكثر المهاجرين من حضرموت ـ وقد يصادف أن لا يعود هذا المسافر فتخطي هذه العادة وهي قديمة إلا أنه ليس في بالي حين كتابتها تاريخ إبتدائها وعندما يموت ميت تقوم كل أسره من أسر جيرانه وأقاربه وأصدقائه بصنع جفنة من ثريد أو أرز وتقدمها لأسرة الميت وهي بدورها تقدمها للمعزين والمساكين ومعلوم أن هذه العادة مسنونة شرعاً وقديمة منذ أيام الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنها ابطلت في بعض مدن حضرموت في الأعوام القليلة الماضية

[١] يستدل العلماء بأحاديث حول ندب تقبيل أيدي أهل البيت منها ما قاله زيد بن ثابت الأنصاري لابن عباس لما أخذ الآخير بركاب بغلة الأول قائلاً له هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل وابن حجر وغيرهما من السابقين كما سئل عبد الله بن حسن مفتي الوهابية والشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر في فتاويه عن تقبيل اليد وكلهم يجيبون بأنه لا بأس به أو بندبه إن كان لدافع ديني وقد ألف بعض العلماء رسائل حول ندبه منها إقامة الدليل على ندب التقبيل للسيد علوي الحداد ومنها إرشاد النبيل للعلامة الصديقي والمهم من هذه التعليقة هو أن يعلم القارئ أن الحضارمة الأوائل بل علمائهم إنما بنوا هذه العادة على ما يبررها لا عن سذاجة وغفالة كما يتهمهم بعض من كتب في التاريخ عنهم ومن ذا يلوم هذا الحضرمي المسلم ـ هو يقرأ في صلواته كل يوم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ـ من ذا يلومه على إبداء شعوره الفياض بالعطف والتجلة نحو هذه الذرية بتقبيل أيدي رجالها .

وتقدم للعريس وللعروسة وللطفل المختون هدايا منوعة أكثرها من النقد ولا تزال معمولاً بها إلى اليوم إلا أن المغالاة فيها قد خفت كثيراً في هذا العصر ووضع التمائم والخرز على الأطفال والمرضى منتشر لقلة الطب والأطباء[1] كما يوجد في معظم البلاد العربية والإسلامية وغيرها إلا أنه خف كثيراً في هذا العصر بقدر ما أنتشر الوعي الصحي والطبي فيها ولكن الخرافات قليلة فيها بالنسبة للبلاد الأخرى وتوجد عادات وتقاليد أخرى مختلفة بإختلاف المدن والقرى والبوادي الحضرمية وبأختلاف العصور والظروف وبعضها مستورد ـ في الأصل ـ من المهاجر الحضرمية ويظهر أن أكثر المدن محافظة على التقاليد والآداب تريم خصوصاً في العادات المشوبة بالعبادات فلا تكاد توجد مناسبة دينية أو إجتماعية إلا ويقام لها فيها إحتفال عام أما في أحد مساجدها أو ساحاتها أو معاهدها وأهلها معروفون بأنهم محافظون وبلغ بهم الأمر إلى أن كل قبيلة من العلويين والمشايخ تلازم موضعاً في الجامع للإعتكاف وصلاة الجمعة ـ بدون أن يمنعوا منه غيرهم طبعاً ـ وذلك منذ قرون أن أجدادهم يتسابقون في التبكير والعبادة والقرب من الإمام ولأنه أيسر من التنقل[2] فنسج الأبناء على منوال الآباء إلا أن ذلك كله قد قل في هذا العصر[3] والكفاءة في الزواجات من ناحية الحرف والأنساب موجودة غالباً بين الحضارمة منذ عشرة قرون طبقاً لمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه كغيرهم من طائفة الشافعية في البلاد الأخرى .

ومن أغرب عاداتهم المذمومة التنابز بالألقاب وقل أن تجد مدينة أو قرية إلا وينبز أهلها بلقب مختص بما يقصد منه التهكم والباسطة كما أن لكثير من القبائل القاباً تنبز بها ولكن هذا يكاد أن يكون نسياً منسياً اليوم وكثير من الأفراد ينبزون بألقاب ثم لا يعرفون أولا دهم إلا بها .

---

[1] تجد الكلام مبسوطاً حول هذا في الدور القادم تحت عنوان الصناعة والزراعة والطب .
[2] كره بعض الفقهاء الأيطان وهو ملازمة موضع خاص للصلاة ويظهر أنهم لا يقولون به .
[3] يوجد كثير من عادات تريم مسجلة عند بعض المهتمين بها .

وبالجملة فأن المحافظة على التقاليد العربية والإسلامية الصميمة كالمسابقة في إكرام الضيف وحمى الجار والغيرة على العرض والإهتمام بالحشمة والصون والعفاف قد قلت كثيراً بحضرموت وبالبلاد العربية الأخرى ليحل محلها تقاليد غريبة هدامة مع أن المفروض في هذا العصر الذي يدعي فيه أهله التمسك بالعروبة المحافظة على هذه التقاليد والآداب التي تدل على عزة الشعب وعلو كعبه في التمدن الحقيقي .

ألعابهم الرياضية

وألعابهم الرياضية التي يقومون بها كثيرة من أشهرها لعبة الصولجان ولعبة القفر بأنواع ودرجات مختلفة والزاح وهو أن يطف فريقان متعادلان ويتقابلان في ميدان ويتبادلان ما يسمى باللمس والقبض فإذا لمس أحد فريق اللمس أيا من فريق القبض ولم يقبضه الملموس حتى يستسلم أو يجلد به الأرض وذلك بأن يفر منه اللامس خارج الملعب فإن الملموس يعد ميتاً في إصطلاحهم أي غير مشترك في الشوط وهكذا يستمر اللعب حتى ينتهي اللاعبون من لمس أفراد الفريق المقابل فيعتبر مغلوباً أو يقبض فريق القبض جميع منازليهم فيعتبرون مغلوبين وللعبة الزاح أنظمة وقوانين جزئية لا تخرج عما ذكرته ويدعى أيضاً سري ولا يعرف هل هذا اسم مخترعها سميت به أو لمناسبة أخرى وتعتمد اللعبة على قوة العضلات وسرعة العدو وإستعمال الحذر والحيلة ولعبة الخْويه[1] وهي أن يربط حبل أو نحوه في الأرض ويمتد إلى مسافة قريبة ويضع اللاعبون أثوابهم عند المربط ويحرسها اللاعب الذي يمسك طرف الحبل بينما يحاول بقية اللاعبين اختطاف ثوب ما بدون أن يلمسه[2] أو يقبضه ماسك الحبل فإنه يضربه به وهكذا يستمر اختطاف الثياب والضرب بها في الحابل[3] وهو يكر ويفر بين أيديهم حتى يقبض أو يلمس واحدا منهم

---

[1] وهي فصيحة ومأخوذة من الخطف .
[2] الضمير في يلمسه يعود إلى الشخص المختطف .
[3] ماسك الحبل .

فيحل محله وهكذا يستمرون في لعبة ممتعة حتى ينتهوا منها ولها أشكال مختلفة وتعتمد الغلبة فيها على رشاقة الحركة وبعد الخطو ، وهذه الألعاب الأربعة يشترك فيها الكبار كما يزاولها الصبيان ولا يخلو بعضها عن شيء من الخطورة .

وهناك ألعاب صبيانية أخرى كلعبة القله[1] ولعبة كرة الهدف ويسمونه المد وذلك بأن يجمع من الكرات الصغيرة ويوضع هدف على الأرض ويتعادل فريقان في ملعب أحدهما عند الهدف والآخر عن نهاية الملعب فيتباريان في إسقاط ذلك الهدف إلى الأرض بأن يلعب كل فرد من فريق الهدف بحركات مختلفة مصطلح عليها يقذف بواسطتها الكرة إلى قرينه في الصف المقابل في آخر الميدان فإما أن يرها حالاً إليه وإما أن يأخذها من حيث تقع على الأرض ويصيب بها الهدف وفي هاتين الحالتين يتوقف اللاعب ويعتبر مغلوباً ويجئ دور آخر من فريقه حتى ينتهي وفي غير هاتين الحالتين يستمر ذلك اللاعب إلى أن ينتهي من جميع الحركات المصطلح عليها والمعروفة بأسمائها عندهم وهذه لعبة طويلة ومريحة وتكون الغلبة فيها لمن يستطيع القذف البعيد بالكرة ولمن يحسن الرماية بها .

ومنها لعبة الشادوف ويسمونه الصوب وهي أن يحمل كل من اللاعبين قطعة من خشب أو غيره مخروطة الشكل وفي ذلقها مسمار يطوي عليها خيط طويل يمسك طرفه اللاعب حين يرسلها على مستوى من الأرض فتدور عليه والتي تكون مدة دورانها أطول يكون صاحبها هو الفائز الأول وهكذا يتبارون بها مرة بعد مرة حتى ينتهوا ولديهم العاب رياضية فكرية كلعب الطاب[2] ولعب الثبت بأنواعه المنتشر عندهم أما الشطرنج فمن المعلوم أنه معروف عندهم منذ مدة طويلة ولم يعرف ابتداء وجوده بينهم بالضبط وهناك

[1] بضم القاف وفتح اللام المحففة لعبة صبيان معروفة من زمن الجاهلية وإلى اليوم .

[2] تجد في كتب علمائهم نصا على تحريم بعضها ومنه الطاب كما في سلم التوفيق ويتخذ من أعواد أربعة على شكل واحد وترمى على الأرض ويجعلون لوقوعها ظهراً أو بطناً حسابا خاصا مصطلحاً عليه بينهم وقد يبنون عليه نقل حصوات ونحوها على رقاع متساوية في جانبين ويبدأ اللعب فمن أنتهت حصواته وخليت رقاعه كان مغلوباً .

ألعاب رياضية حضرمية كثيرة لا يتسع المقام لذكرها[1] والقمار قل أن يدخل ألعابهم لموانع دينية وإقتصادية .

بلاد[2] تبيد وبلاد تنمو

وفي هذا العهد كانت بعض البلاد الحضرمية حية زاهرة بالسكان كبور وقد بلغ سكانها بضعة آلاف نسمة في القرنين التاسع والعاشر وقد مات منهم نحو ألف وخمسمائة نسمة من الطاعون سنة ٩٣٩هـ[3] ولكنها فيما بعد ضعفت بالنسبة لما كان كما تشاهد الآن .

وكانت بروم الساحلية في أثناء القرن العاشر عامرة برجالات من أهل العلم والأدب والفضل كالقاضي محمد بن عبد الرحيم با جابر وكأفراد من العلويين الذين ينتمون إلى السيد بروم الملقب بهذا اللقب لاتصاله بها وكالحسيسة[4] وقارة الصناهجة والبيت فقد طانت آهلة بالسكان ومخصبة بالنخيل والأشجار أكثر وكذلك كانت مدن وقرى الجانب الشرقي من حضرموت كسنا وتنعه فغمه والسوم فقد كانت من قبل وبعد القرن الثامن آهلة بالسكان وبالنخيل ثم خربها الظلم وأضطر أهلها إلى القفول عنها وتركوها لحوادث الدهر وهجمات الطبيعة بالفيضانات طورا والجفاف طوراً آخر وامتلأت بهم أحياء مدن شرق أفريقيا كجالية هناك ليس لها في مجموعها قيمة تذكر ويمكن أن نقيس عليها ظفار وحيريج[5] وهي ساحل مهم مهري فقد كانتا زاهرتين في هذا العهد عكس ما هما عليه اليوم من الضعف بل أن حيريج لا يكاد يعرف وتوجد الأطلال في أماكن متفرقة من حضرموت تنطبق بوجود بلاد غابرة كانت عامرة في هذا الدور الذي نتكلم عنه .

---

[1] قد جمع الألعاب الحضرمية في مصنف مختص بها مع التصاوير السيد عمي شقيق أبي الحسن بن عمر الشاطري إلا أنه مع الأسف سطت عليه أيدي الضياع ولو وجد لكان ذخيرة في موضوعه .
[2] بلاد جمع بلد لا مفرد كما يتوهم البعض .
[3] انظر تاريخ الطيب بافقيه .
[4] بالتصغير وتشديد الباء المثناة المكسورة انظر المشرع .
[5] بكسرتين وياءين وكثيرا ما يذكر في الحوادث الجارية بين سلاطين آل كثير وخصومهم حينما يتبادلون الإستيلاء عليه .

أما المدن الكبرى كتريم وسيئون وشبام في الداخل والمكلا والشحر والغيل في الساحل فلم تتغير معالمها كثيراً في ذلك العهد عما قبله ولكن إذا قسناها إلى تاريخها الحاضر فهي اليوم بحكم طبيعة النشوء و الإرتقاء أكثر إتساعاً وعمراناً وسكانا وذلك مشاهد بالعيان في زيادة السكان زيادة مضطردة وفي توسيع الجوامع والأسواق وهكذا يصدق عليها ما يقول الشاعر القديم .

وإذا نظرت إلى البلاد وجدتها تشقى كما يشقى العباد وتسعد

وأما القبائل الحضرمية المسلحة وغيرها فيحدث فيها نفس الشيء فبعضها نمت وانبتت وتفرع لها فروع كثيرة كالقبائل التي فيها بيوتات العلم والفضل والسلطة ما دامت سلطتها قائمة وبعضها افنتها الحروب وقضى على أكثر رجالها ومن هذا البعض من لجأ إلى طلب العلم والعبادة والصلاة[1] ويقال فيه أنه تمشيخ أي لزم طريقة المشايخ الصوفية بعدما كان قبيلياً ولعل هذا أفضل له وللناس .

وبلغ الأمر بنزوح السكان عن حضرموت إلى انقراض قبائل واسر بأكملها عنها ووجودها بالمهاجر ويظهر هذا جلياً حين تستعرض شجرات الأنساب وكتبها وبعض المراجع التاريخية .

المجاعة وتخريب السيول

ولعل من أعظم العوامل للهجرة والخراب في هذا الدور هي الأمطار الغزيرة وفيضان السيول الفظيعة التي حدثت سنة ٩٣٩هـ ومعظمها في حضرموت الغربية الجنوبية وكان نصيبها من الأضرار والضحايا أعظم وليس هناك احصاء مضبوط لمثل هذا إلا أنهم يقولون أنه لم يبق من النخيل إلا القليل وأنه خرب المزارع وكثيراً من المباني ومما يدل على ذلك

[1] ترى هل ضرب فيهم المثل الحضرمي الخبيث (من قلت رجاله يصلي) .

حدوث مجاعة بعده بلغت ذروتها سنة ٩٤٥هـ حتى أكلو الجلود[1] وفي سنة تسعمائة وسبعين جاءهم سيل عظيم في منزلة الأكليل تقول بعض المصادر[2] لم يسمع بمثله أهلك كثيراً من نخيلهم الذي يعتمدون عليه وتكرر الطبيعة هذه الحوادث كلما مرت حقبة من الزمن كما وقع ويقع في عصرنا الحديث.

ولا شك أن للفتن والظلم والحروب الأهلية أثرها الفعال في الخراب والدمار كما ذكرنا فيما مر وفيما سيأتي من هذا الكتاب .

نخبة من أعلام هذا الدور

هذا الدور مليء بالعلماء والنوابغ ـ وبالأخص في بعض مراحله لطوله ـ ولكني اخترت عرض حياة أفراد منهم امتازوا بميزات علمية وإصلاحية وإجتماعية لم يتميز بها غيرهم ولتوفر المصادر الصحيحة عن حياتهم وهذه هي طريقتي التي جريت عليها في تراجم من كتبت عنه في هذا الكتاب .

داعية السلم والعلم الفقيه المقدم

هو محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط العلوي وقد تقدمت في الجزء الأول ترجمة جده صاحب مرباط وقد ولد الفقيه المقدم بتريم سنة ٥٧٤هـ وكانت أسرته أسرة علم وتقى وإصلاح وحسب ونسب وكان هو شخصياً ذا مواهب من ذكاء وحافظة وقوه شخصية وبعد نظر شجاعة وإلى جانب هذا فقد نشأ في بيئة تزخر بكبار الأئمة والعلماء الحضارمة فتربى وتعلم وتثقف على أيديهم ولقوة إستعداده أصبح متخصصاً في العلوم التالية التي درسها على يد العلماء المتخصصين فيها الآتية أسماؤهم كما يلي :

[1] انظر تعاليق الحاضر الإسلامي المجلد الثالث تحت عنوان تصحيح وتوضيح .
[2] النور السافر .

الشريعة وفقه الشافعية على يد :

الإمام عبد الله بن عبد الرحمن با عبيد مصنف الإكمال[1] وكان لا يبتدئ في الدرس حتى يحضر الفقيه وعلى يد الفقيه القاضي أحمد بن محمد باعيسى .

الأصول والعلوم العقلية :

على يد الإمام العلامة علي بن أحمد بامروان وعلى يد الإمام محمد بن أبي الحب[2] .

التصوف والحقائق على أيدي :

الأئمة عمه علوي وسالم بن بصري[3] وسفيان اليمني[4] ومحمد بن علي الخطيب .

العلوم العربية عن بعض هؤلاء وعن غيرهم كما أنه سمع الحديث الشريف وتلقى تلك العلوم المشار إليها عن غير أولئك أيضاً ممن ذكرت المصادر أنهم كثيرون ولا يكادون يحصون وأصبح بعد ذلك نابغة زمانه .

تدريسه وإفتاؤه

تصدر للتدريس في العلوم المشار إليها وللإفتاء وكان من فتاويه القيمة أنه سئل دفعة واحدة عن ثلاثمائة مسألة مشكلة في شتى العلوم فحلها وأوضح غوامضها وجمعها في مؤلف مستقل وله كتب أخرى في التصوف والحقائق وبينه وبين بعض علماء عصره في الخارج مراجعات ونقود وردود[5] .

---

[1] تقدم ذكره في جـ ١ .
[2] تقدمت ترجمته في جـ ١ .
[3] تقدمت ترجمة ابن جديد وابن بصري في جـ ١ .
[4] حين زار حضرموت .
[5] وكتبه خطية وعزيزة الوجود .

أوجه الشبه بينه وبين الإمام الغزالي

وكان بينه وبين الإمام الغزالي أوجه شبه ففي حياة كل منهما دراسة للعلوم الشرعية والعقلية وغيرها وإتساع فيها حتى لقب الغزالي بحجة الإسلام ولقب الفقيه بالإستاذ الأعظم ثم ميل كل منهما إلى التصوف والعزلة والعبادة والزهد في مظاهر الزعامة والرياسة ثم تطببيق ذلك بالعمل وفي حياة كل منهما تفوق على الأقران ونبوغ على أئمة كبار في عصرهم وبيئتهم وكان لكل منهما يد طولى في نشر التصوف بين طلبته ومريديه وفي بيئته إلا أنهما يختلفان في طريقة نشره فالغزالي استعمل طريقة التصنيف والكتابة والفقيه استعمل طريقة الدريس والوعية والتطبيق أكثر ولهذا ترك الغزالي تراثاً من الكتب الشهيرة في هذا الشأن وترك الفقيه اتباعاً ومريدين جيلاً بعد جيل في الجزيرة العربية وفي الشرق الأقصى وأفريقيا ولهذا كانوا مولعين بالغزالي وبكتب الغزالي وبسلوك الغزالي لأنها تشرح وتوضح ما كان يقوم به الفقيه المقدم الذي لم يسبقه الغزالي إلا بأقل من قرن من الزمن ولكن كتبه لم تظهر بحضرموت إلا فيما بعد إذ أن علماء حضرموت كما تفيده المصادر[1] كانوا في زمن الفقيه في القرن السادس مشغولين ومتنافسين أكثر في علوم الحديث والفقه فأضاف إليها الفقيه علم التصوف والحقائق وطبقها فعلاً وقد أغضب ذلك بعض شيوخه الذين رشحوه للزعامة الفقهية إلى درجة المقاطعة وقال له رجوناك أن تكون كابن فورك[2] فأخذت طريق التصوف والفقر وذلك البعض هو الشيخ علي بامروان الذي كان يحضر الفقيه حلقة تدريسه وهو متقلد سلاحه فإجتذبه دعية الشيخ أبي مدين شعيب المغربي من تلك الحلقة وتم بينه وبينه اعتناق المذهب الصوفي والطريقة الشعبية وكان النشاط الصوفي قد بلغ ذروته في القرنين الخامس والسادس وعلى رأسه الشيخ عبد القادر الجيلاني في المشرق العربي والشيخ أبو مدين في المغرب العربي وكان

---

[1] انظر المشرع وغيره .
[2] بضم الفاء من أبرز الفقهاء .

لكل منهما مريدون وأتباع ودعاة وقد سبقت دعوة الشيخ أبي مـدين إلى الفقيـه بالـذات في القصة المثيرة التي سبق ذكرها في هذا الجزء .

خدمات الفقيه المقدم للسلام

مما اجمعت المصادر أن الفقيه المقدم نزع السلاح بل وكسر سيفه ودعا قولا وفعلا إلى نزعه ليبقى على العقيدة القبيلة وبرهن فعلاً على وجوب التعايش السلمي والإخـوة الإسـلامية والمذهبية والوطنية بين قبائل الشعب وقطاعاته وعلى أن سلاح العلـم والإيمـان والأخـلاق هو أقـوى الأسـلحة في المجتمـع وامـضاها في قيـادة الأمـة وتوجيههـا إلى حيـاة الـسعادة والخير والتقدم .

وقد كان الحكام السياسيئون بحضرموت في عصره وفيما قبله ينظرون إلى قومـه العلـويين نظرة ينفسون فيها عليهم المكانة التي يحتلونها في القلوب ويخشون مـن شـعبيتهم علـى ملكهم فيحوطونهم بسياج من الرقابة ويضيقون عليهم الخناق نفس ماجرى ويجـري مـع آبائهم وإخوانهم العلويين من بني أمية وبني العباس والحكام الآخرين وقد عرف الفقيه المقدم بنفسه كل ذلك في اسرته فقد اضـطر جـده صـاحب مربـاط إلى الهجـرة نتجـة لتلـك المضايقة كما شاهد بنفسه مالا قاه عمه علوي شقيق أبيه من الآم السم الذي دسه له حـاكم تريم القحطاني كما أشرنا إلى ذلك في الجزء الأول[1].

وإلى جانب ذلك فإن تقلد السلاح معناه إذ ذاك في نظر الآخرين المتسلحين الإسـتعداد لهـم والمقابلة ولا بد من الإصطدام يوما ما بين القرن وقرنه ثم بين الأبنـاء لمـا كـان بـين الآبـاء ذحول وعداوة متوارثة وأخذ بالثأر مستمر كما هو واقع بين القبائـل فـرأى الفقيـه المقـدم البعيد النظر القضاء على الشر من جذوره واختيار طريقة التصوف المعتـدل الـذي تلكمنـا

[1] انظر صفحة ١٦٩ ط بيروت .

عنه أثناء كلامنا عن الحياة الثقافية تحت عنوان (مندوب صوفي يصل إلى حضرموت) في عصر انتشر فيه التصوف في العالم الإسلامي تحت تبعية الشيخ عبد القادر الجيلاني في المشرق العربي وتحت تبعية الشيخ شعيب ابي مدين في المغرب العربي وأصبح الفقيه زعيماً من زعمائه يميل في آرائه إلى حزب أبي مدين ولم يجانف الحزب القادري الجيلاني في كل آرائه واستخلص من بين طرق الصوفية طريقاً واضحاً معتدلاً وحمل بيده العكاز الذي يرمز إلى التصوف[1] بدلاً عن السيف الذي يرمز وقتئذٍ إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والإنتقام وفقاً للتقاليد المتبعة برهة من الزمن ثم نبذه للإسباب المارة لأنه لا يريد أن يكون زعيماً قبلياً ولا حاكماً سياسياً وقد أثرت دعوته في الأوساط الحضرمية إلى نزع السلاح واعتناق التصوف وتبعه على ذلك قومه العلويون وغيرهم وفي مقدمتهم كثير ممن عوفوا فيما قبل وفيما بعد بالمشايخ ولم يعودوا يخشون التعيير بالجبن ما دام قد سبقهم إلى ذلك الفقيه المقدم رضي الله عنه .

فالفقيه المقدم بعمله هذا أقام الدعائم للسلام في كثير من المدن والقرى الحضرمية وصرف جانباً كبيراً من أبناء الشعب عن الإشتراك في الفتن والحروب الأهلية إلى حياة العلم والثقافة والتصوف والإصلاح والكسب الحلال حتى أصبح ذلك منتشراً بينهم من ذي قبل وعم معظم قطاعات الشعب .

في المجال الزراعي

ويعد الفقيه المقدم من أساطين الزراعة والغرس في عصره فكان له الكثير من النخيل والمزارع والبساتين وأحصت له المصادر ٣٦٠ جرة سنوياً وهذه الجرار تصنع من الخزف وتحرق في أفران كبيرة معدة لذلك وتسمى هذه الجرار أزيار جمع زير بكسر الزاي إذا

[1] مما اعطاه مندوب ابي مدن العكاز انظر المشرع .

كانت كبيرة[1] وضبط مقدار ما يتسع له الزير فكان ألفي رطل ومنها ما يتسع لألف وثمانمائة رطل وذكرت أنه يتصدق كل يوم على الفقراء والمساكين بزير واحد على الأقل مع العلم أن التمر الذي كبس في هذه الجرار أنما هو التمر الفاضل من الرطب بعد الأكل والصدقات والهدايا والزكاة وذكرت أنه يعتني ويهتم بإدارة تلك المزارع وتوزيع ما ينتجه النخيل وما يحصل من تلك المزارع ويصرف معظمه في سبيل المصالح العامة[2] وكثراً ما يرتبط التصوف بالعناية بالزراعة لأن لها ميزات إنسانية واقتصادية ودينية ونفسانية وصحية وفيها دائماً اغاثة للبطون الجائعة وللأكباد الحراء وفي كل كبد حراء اجر .

وفاته وتوفي الفقيه بعد ما أصابه اصطلام مدة طويلة قدروها بشهر قل أن يتناول فيها شيئاً ونسبت إليه أثناءها كلمات تبدو في ظاهرها غمضة إذا أريد تنزيلها على ظاهر القواعد الشرعية كما نسبت أمثالها لأمثاله من شيوخ الصوفية وكما المحنا إليها فيما مضى من هذا الجزء فهذه ـ إذا صح أنهم قالوها ـ فلما كانت بعد استغراق في الفلسفة التصوفية وفي حال ذهول ، وهو حال يعتري الواحد منهم حتى يصير في حالة غير طبيعية وغير اعتيادية ويسمونها الغيبوبة أو المحو ويقابله الصحو إذ من المستحيل أن يريدوا بها ظاهرها اللفظي على أنه من الممكن أن تفسر تفسير آخر مناسباً كما عمل بعض الباحثين هذا إن لم تكن مدسوسة عليهم رضي الله عنهم وكانت وفاته سنة ٦٥٣هـ .

زينب أم الفقراء

كانت أسرة الفقيه المعروفة مؤلفة من قرينته زينب بنت عمه أحمد وتلقب بأم الفقراء إقتداء بزوجة النبي صلى الله عليه وسلم زينب أم الفقراء ومن أولاده الخمسة الذكور

[1] تجد هذا واضحاً في كتاب (كيف نحن) مخطوط قديم مما له صلة بالمقارنة بين الأمس واليوم في الناحية الإقتصادية وغيرها .
[2] يؤخذ هذا من الجوهر والغرر والمشرع ومن كثير من كتب التراجم والأمالي الحضرمية .

منها إلى جانب خدمه وأتباعه وأكبر بنيه علوي الذي يكنى به وكـان المفـروض أن يـصبح بعده عميد الأسرة لكفاءته وسنه ـ وكل إخوانـه أكفـاء ـ وأن يكـون بمفـرده خليفـة أبيـه ولكن الفقيه رشح زوجته زينب لتكون خليفته من بعده لقـسوة شخـصيتها ولاسـتعدادها وكفائتها لتولي مشيخة الصوفية أو جانب كبير منها بعده إلى جانب أبنها الأكـبر وكـان قد عرفها في حياته شريكة حياة وخـير أم ومربيـة مثاليـة وصـالحة عابـدة فكانـت بعـد وفاته تقوم بتوجيهات المريدين وتهيب بنيها إلى أن يرتفعوا إلى درجـة أبـيهم في العلـوم والأعمال ويقصدها تلاميذ زوجها للاسترشاد والتبرك ولم يكن ترشيح الفقيه لهـا مجـرد تواضع ونكران للذات ليقـال أن خليفتـه امـرأة لـسهولة القيـام بمقامـه كمـا يفيـد بعـض أصحاب المصادر لأن هذا لا ينطبق مع واقعهـم رحمهـم الله مـن أن أم الفقـراء قامـت فعـلاً بجانب مهم كان يقوم به زوجها ومنه توجيه المريدين ونصحهم وترتيب نفقـات خانقـاه (ربـاط) الـصوفية المنـسوب لزوجهـا رحمهمـا الله[1] ولأن نـسائهم يقمـن بواجبـاتهن الاجتماعية في هذا العهد كما يعرف من دراسته .

الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية[2]

هذه هي رابعة حضرموت في تقاها وصلاحها وتصوفها وفي وجاهتهـا وفي شـعرها الـصوفي وتختلف عن رابعة في كونها من حين نشأتها وهي متدرجة في أحوال ومقامات الـصوفية وكانت ذات شخـصية قويـة وقـد كـان إخوانهـا كلـهم أو بعـضهم حملـة سـلاح وأحيانـاً تضطرهم ظروف إلى السلب والنهب ـ شأن الكثير من حملة السلاح بحضرموت ـ في نفـس الوقت الذي تخالفهم فيه على طول الخط فهي تقية صبور متصوفة واعظـة ومرشـدة لهـم وتقوم بالغزل والنسيج وتربية بعض الدواجن وإعداد الطعام وطبخـه للأسـرة فهـي مثـل عال للمرأة الحضرمية في عصرها وفيما بعـده وصـادف أخوتهـا ـ لحـسن حظهـم ـ بعـيراً

[1] لم تعطنا المصادر تفاصيل عن ذلك الرباط لأن بعضها ذكر وجود متصوفة ومريدين فيه لتلقي العلوم والتصوف إلى الآخرين ممن لا يقيم به .
[2] بضم الزاي وفتح الباء نسبة آل الزبيدي وهم من قبيلة بني حارثة الكندية وقيل من مذحج وقيل غير ذلك كما يستفاد من رسائل أنساب القبائل الحضرمية ومن التواريخ .

للشيخ محمد بم حكم باقشير فسأل عنهم لما بلغه الخبر ودعا لهم بان يهديهم الله إلى سبيل الرشد إن كان الدافع لهم هو الفاقة والحاجة وبأن ينتقم منهم إن كان دافعهم البطر والظلم ولما بلغهم الخبر بدورهم انبتهم ضمائرهم وتابوا وأنابوا[1] ورب ضارة نافعة وهذا شيء يسر أختهم التقية سلطانة فقد أصبحوا عوناً لها فيما بعد على سلوك طريقة الصوفية وتروي بعض المصادر[2] بأنها هي وأخوانها تحكموا للشيخ[3] محمد بن عبد الله القديم با عباد ولكنها اشتهرت دونهم .

كانت الشيخة سلطانة ـ مع أنها آنسة متبتلة لم ترض بالزواج ـ تشارك في عقد الجلسات للماحثات العلمية والمذاكرات التصوفية مع أئمة القطر الحضرمي وعلمائه وشيوخه في عصرها وفي مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن السقاف العلوي وبنوه السكران والمحضار والحسن وكانت تنظم القصائد والمقاطيع ومعظمها في التصوف وفي المحبة الإلهية وفي مدح السقاف المشار إليه وتكاد تنهج نفس المنهج الذي تسلكه رابعة في شعرها إلا أن شعر رابعة ـ على قلته ـ أنعم ديباجة وفصيح معرب بينما لا تتقيد سلطانة بالقواعد النحوية ولا بالألفاظ الفصيحة لأن أشعارها شعبية دارجة تعبر عما تجيش به العامة في تلكم الأوساط الصوفية .

ومن مساجلاتها مع الحسن بن السقاف في حضرة والده ما هو مشهو من قولها له وقد سمع مبادلتها الأبحاث والحجج العلمية مع العلماء هذا البيت الدارج

يا ما سفهش ما بدا بكره تماري جمال

فاستأذنت والده ـ تأدباً معه وكان حاضراً ـ في إجابته فإذن لها فأنشدت مجيبة بدون إبطاء

[1] انظر مفتاح السعادة والخير في مناقب آل باقشير .
[2] انظر مناقب الشيخ محمد القديم باعباد .
[3] تحكموا من التحكيم وهو أن ينزل المريد على حكم الشيخ يصرفه كيف يشاء وهذا من طرق الفقراء الصوفية .

الحمل بالحمل والزايد لبن والعيال وفي هذا الجواب البليغ رد واحتجاج باستعداد المرأة لأن تنافس الرجل في جميع الميادين وتزيد عليه إذ معنى كلامه هو[1] ما أكثر سفهك إذ لا توجد بكرة وهي مؤنث البكر تماري جمالاً من الماره أي المجادلة ويقصد بها المسابقة فأجابته بأن حمل البكرة ولعلها تعني نفسها ومثيلاتها بحمل الجمل أي بجنب حمله وتزيد عليه في النفع باللبن وبالعيال أي الأولاد بينما لا يستطيع الجمل الجمل إنتاج ذلك .

رباط الشيخة سلطانة

وللشيخة سلطانة رباط تردد ذكره في بعض الكتب والامالي الحضرمية بنته بالعر ـ وهو العراء المتد شرقي مريمة إلى نهاية حوطتها ـ ولكن تلك الكتب لم تشرح لنا شيئاً عن الرباط المذكور ولا عن مريديه ولا عن العلوم التي تدرس فيه وهل تباشر هي بنفسها تطبيق شيء من الرياضات أو الدروس فيه أم هو أشبه بخان صوفيه لتنزيل الضيوف منهم من أتباعهم فيه ولعل هذا هو الأقرب كما أسست أيضاً قرينتها الشهيرة بحوطة سلطانة المعروفة وقد أشرت إليها عند الكلام عن الحوط ولهذه الشيخة وجاهة عند بعض القبائل وغيرهم ولهم فيها حسن ظن وعقيدة وورث كأمثالها في العهود الماضية وتبعد عن سيئون نحو ثلاثة أميال وتوفيت بها رحمها الله سنة ٨٤٣هـ .

وبالرغم من شهرتها الواسعة وجاهها العريض في الأوساط الحضرمية فإني لم أظفر لها بترجمة شافية وحسبنا منها أنها قامت بدور إصلاحي رفعت به من شأن قومها وبلدها .

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

[1] أنما فسرته توضيحاً لمن لا يتضح له الكلام الدارج الحضرمي من أبناء الأقطار الأخرى .

الشافعي الأخير[1] عبد الله بن عمر بامخرمة السيباني[2]

هذا هو ثالث ثلاثة في عصرهم هم المراجع في فقه الشافعية والأثنان الآخران هما أحمد بن حجر الهيتمي المكي ومحمد بن أحمد الرملي المصري وإن كان لهم زملاء آخرون من جحاجحة الشافعية إلا أن هؤلاء الثلاثة كانوا رجال الساعة في عصرهم تتكافأ آراؤهم وترجح على الآخرين وإذا إختلفوا فإن لكل منهم أنصاره وأتباعه .

تحصيله وجده في الطلب

كان أبو مخرمة إلى ما أعطاه الله من مواهب قد نشأ في بيئة علم وبين أفراد أسرة مثقفة صالحة متصوفة فجده وأبوه وأعمامه وعدد من أبناء عمه وأبنه ومن بعدهم كلهم علماء كبار وصلحاء أخيار والبيت المخرمي بيت علم وفقه وقضاء وقد تسلسل فيه القضاء إلى اليوم وهذه التنشئة في هذا البيت فيها عون كبير له على تلقى المعلومات بسهولة ويسر وقد أصبح بيته مدرسة داخلية فيها تعليم وتهذيب كأمثالها من بيوتات العلم والفضل ووالدته كانت من الصالحات العارفات وقد حفظ سورة يس من قراءة الأم لها ضمن أورادها بعد صلاة الصبح وهو ابن ست سنين كما حفظ القرآن كله وهو ابن سبع سنين كما حفظه الشافعي الأول وهو في هذه السن وأول من أخذ عنهم العلم والمعرفة بحضرموت وبالأخص الشحر (وهي مسقط رأسه) والده عمر وعمه الطيب والشيخ بامروني وجماعة من العلويين ثم رحل إلى الخارج ودرس على الأئمة البارزين للإستزادة من العلم والثقافة وللتفنن في مختلف الفنون فكان من أشياخه في الحرمين أبو الحسن البكري ومحمد بن عراق والسيد السمهودي وفي زبيد أبو العباس الطنبداوي وأحمد المزجد والحافظ الديبع وكلهم أئمة فحول وكانت حصيلته وفيرة جداً سواء في الكم وفي الكيف فإنه توسع في

---

[1] وتلقيبه بالشافعي الأخير كما في بعض المصادر الآتية أولى من الشافعي الصغير .

[2] وسيبان بالمهملة تنتمي إلى حمير كما في كتب الأنساب الحضرمية

أكثر من عشرين علماً من العلوم الشرعية والعقلية والعربية ومنها الأصول والحديث والفقه والتفسير وآلاتها وأقسامها ومنها الجبر والمقابلة والهندسة والفلك والتواريخ والأنساب وشارك في الطب والسياسة وكانت وهذه رحلته الأولى إلى هذه الأقطار أما فيما بعدها من الرحلات إليها فإنه قد أصبح في مكانة مرموقة قل أن يصل إليها أحد من علماء عصره وصارت تتوارد عليه الإستفتاءات من كثير من أقطار الإسلام فيجيب عنها بالأجوبة السديدة كمرجع من مراجع الإفتاء في عصره كما أشرت إلى ذلك عند الكلام عن الشهادات المسجلة له من علماء عصره .

طريقته في المطالعة

وله طريقة مثمرة في مطالعة الكتب فإنه لا ينتهي من مطالعة أي كتاب حتى يكتب عليه ملاحظات وتوضيحات وخلاصات ونكات بحيث يكون قد خدمه عن دراسة وتحقيق وربما أفرد ذلك في مصنف خاص وهذه الطريقة أصبحت ملتزمة لكثير من علماء العصر .

إنتاجه العلمي والأدبي

وعبد الله بن عمر بامخرمة ذو موهبة وحافظة وذكاء وحس مرهف كما يتجلى ذلك من أبحاثه وكتبه وتاريخه فلم يكن الفقه وحده فنه ـ وإن كان موضع اختصاص شهرته ـ بل هو من كبار السياسين والأدباء والشعراء والفلكيين والمهندسين وهو من أشهره المنتجين والمصنفين في العلوم التي يعد من رجالها الأفذاذ ولا تقل تصانيفه عن ثلاثين مصنفاً ومن أشهرها فتاواه الكبرى رتبها ابنه علي زين العابدين في مجلدين بعد وفاته وهي من إبداع ما حرره الفقهاء من إفتاءات والفتاوى الصغرى المسماة الفتاوى الهجرانية نسبة إلى المتقدم باسئلتها الشيخ محمد بن علي بلعفيف الهجراني نسبة إلى بلد الهجرين وله المصباح أو مشكاة المصباح شرح العدة والسلاح في أحكام النكاح والمتن للشيخ العلامة محمد بن أحمد بافضل الحضرمي نشأة العدني اقامة وهو مطبوع وله شرح على المنظومة الرحبية في الفرائض وله ملاحظات على تحفة ابن حجر في مجلد يدعى النكت وله

حواشي على روض شيخ الإسلام زكرياء في مجلد وله عدد من الرسائل الفقهيـة بـزاول في كل منها بحثاً وتحقيقاً في موضوع منفرد[1] .

أما في الرياضيات فله ما يقرب من عشر رسائل منها ما هو مزدوج بـين الفقـه والفلـك وفي إختلاف المطالع وفي المناسك وظل الإستواء وفي قسمة التركة فله في كل موضوع مما سردناه مصنف ما بين نظم أو نثر وصغير أو كبير وله رسالة في الربع المجيب وأخـرى في الأوقا والساعات وله خطابات كثيرة دبجها يراعه عن السلطان بدر بن أبي طويرق حين يكاتب الملوك والأمراء فمن دونهم في إعلا درجات البلاغة في عصره .

شعره

له ديوان شعر نظم فيه الوانا وضروبا من الشعر أجـاد فيهـا كـل الإجـادة ويمتـاز شـعره بالرصانة والبلاغة ويجري على العادة التقليديـة مـن مـدح الملـوك والأمـراء والوجهـاء لا تزلفا إليهم ولكن بدافع تشجيعهم على العدل والإنصاف وله في رسول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم مدائح بليغة تدل على أن شعره في مستوى أعلا من كثير من شعراء عـصره وإن كان لا يتقيد في بعضه بالقواعد ومن جيد شعره قصيدته الشهيرة وهي .

[1] قالوا واشتهر أكثر كتبه في غالب البلدان لا سيما اليمن ولكن المطبوع منها اليوم قليل .

مثلي يصان مدى الأزمان جانبه	ولا يروعه دهر يحاربه
لا أشرب الماء مقذيا وإن أك عطـ	شانا وإن غض عنه الطرف شاربه
وإن يكن موردا عذبا يحف له	ذل حلفت يميناً لا أقاربه
لا قرب الله ما لا قد أظن به	حرصاً عليه إذا ما جاء طالبه
وقد خبرت بني الدنيا جميعهم	فما لا كثرهم عهد يصاحبه
كم جاءني الضر ممن كنت أحبه	عونا وكم عاد ظني فيه خائبه
وإن جفاني صديق جاء معتذرا	قبلته ثم أني لا أعاتبه
ولا أجازي مسيئاً عن إساءته	بمثلها فأري أني مناسبه
لا أصحب الفاسق النمام مبتعدا	وكيف يصحب من دبت عقاربه
ولست ممن تراه العين منذ عرا	لخطب دهر عري أو صاح ناعبه
أنا الذي السعد والعلياء تخدمني	وطالع المجد في بيتي وغاربه
من معشر زان في الآفاق نعتهم	كالدر ينظمه في السمط ثاقبه
من كل مضطلع بالعلم متصف	بالجود تهمي على الدنيا سحائبه
وكل طود من الأمجاد تحسبه	إذا تكلم بحراً هاج صاخبه
لا يخضعون لجبار أخافهم	قد ربحت الأرض من شر كتائبه
ولا يدينون في سر ولا علن	إلا بحق بدت صحوا مذاهبه
أبدي التغابي عن أشياء أعلمها	كالسيف لآن وقد حزت مضاربه

ومن بديعه في الإكتفاء والمساجلة قوله

قلت سلام الله من مغرم	ما أن سلا عنكم فقالوا سلام
فقلت هل ترضون لي وقفة	قالوا فما تطلب قلت الكلام

وذكروا أن بعض أصحابه عرض ورقة من بعض الكتب الأدبية قد أكلتها الأرضة وأبقت الكلمتين الآخيرتين من بيتين ومحت ما قبلها وهما (كيف حاله) و (لا كرى له) فأملا عليه :

وقائلة بالله صف لي متيماً	أضر به طول النوى كيف حاله[1]
فقلت على حالين أما نهاره	فيبكي وأما ليله لا كرى له

[1] يلاحظ أن فيه عيب الإسناد إلا بتأويل .

ومن تضامينه قوله :

قالـــت أراك مـــن الـــذكا في غايـــة	جلـــت عـــن الإســـهاب والإطنـــاب
فعـــلام تبـــدي مـــن الأمـــور تغابيـــاً	فأجبـــت ســـيد قومـــه المتغـــابي

وقوله

الـــــواو مـــــن صـــــدغه يطمعـــــني	والـسيف مـن لحظـه يـومي إلى العطـب
فحـين مـا حـرت قـام الهجـر ينـشدني	الـسيف أصـدق أنبـاء مـن الكتـب

وقال يرثي بعض أعيان الشحر وقد بلغته وفاته :

لـئن صـح هـذا العلـم فالـشحر بعـدكم	حـــرام علينـــا ظلـــها وفناهـــا
وكيـف يقـيم المـرء في سـوح بلـدة	وقـــد حـــان منهـــا موتهـــا وفناهـــا

ومن جيد شعره قوله وقد عز عليه فراق وطنه حضرموت:

فـوالله مـا فارقـت أرضـي عـن قلـى	ولكـن لعجـزي عـن حقـوق لـوازم
ومـا العـذر لـي إن كنـت عنـد قرابـة	يرجـون نفعـا مـن فقـير وغـارم
ومـا أشـتهي طـول الحيـاة للـذة	فعـيش ذوي اللـذات عـيش بهـائم
ولكـن لكـسب المجـد مـا عـشت والثنـاء	ونفـع الـوري طـرا وبـذل المـراحم
فأمـا أنـل هـذا وأمـا منيـة	يعـد لمثلـي مثلـها في المغـانم

ويقول مقتبساً:

أيـــا لهفـــي مـــن ســـنا فتيـــة	فنـــون الـــصبابة مـــن وصـــفهم
نـــرى الـــشمس شمـــس البهـــاء والكمـــال	تمـــر تـــزاور عـــن كهفهـــم

وله :

وعاذلـــة أبـــدت لفقـــري توجعـــا	وقالـــت أتـــاك الفقـــر مـــن جانـــب النـــدا
فقلـــت لهـــا لا تطمعـــي في تغـــيري	لكـــل أمـــرىء مـــن دهـــره مـــا تعـــودا

وله في إستعطاف :

يـــا ســـادة عـــودوني كـــل مكرمـــة	لا تقطعـــوا الـــبر عـــن مملـــوككم وصـــلوا
وجملـــوا الحـــال فالـــدنيا مجاملـــة	والخـــير أبقـــي وكـــل المـــال منتقـــل

ويقول مذكراً :

لا تـــنس مـــن لم يـــنس ذكـــرك ســـاعة	وأنظـــر اليـــه بعـــين ود وأعطـــف
أو لـــيس منـــسوباً اليـــك وأنـــه	فـــرض عليـــك عرفـــت أن لم تعـــرف

دروسه

والشيخ عبد الله من كبار المدرسين وفطاحل العلماء وكبار الأئمة حيثما حل ومن أهم أعماله إلقاء الدروس للطلبة في حضرموت وفي عدن وقد تولى التدريس في مدارسها الشهيرة المنصورية والطاهرية والفرحانية إلى مهمة الوعظ والإرشاد في جامعها وتولي أيضاً نظارة المدرستين السابقتين كما درس وعلم أيضاً في زبيد وتعز وفي الحرمين الشريفين وامتازت دروسه بالسهولة والتحقيق ومعظمها في العلوم الشرعية وآلاتها كما كان يقوم بمهمة الإفتاء حيث حل وحيث رحل .

شهادة العلماء له بالتفوق

تبدو ظاهرة النبوغ والتفوق العلمي في الشيخ بامخرمةولا يكاد يباحثه أو يناظره أحد من كبار العلماء إلا غلبه بقوة الحجة وسعة الإطلاع وها هو لما حج سنة ٩٤٩هـ والتقى في مكة بالعلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي وحصلت بينهما بحوث فقهية بحضور علماء آخرين اعترف له فيها ابن حجر بسرعة الفهم وسعة العلم وقال فيه ما لفظه (انه العالم المجتهد ولو وافى القرن لكان هو المجدد) ويروى أنهما اختلفا في مسألة فطلب أبو مخرمة مناظرة ابن حجر فتهيب الآخير مناظرته قائلاً الرجل تعتريه حدة ولا يصلح للمناظرة والعلامة ابن حجر دائماً يفضل عدم المناظرة الشفوية مع أقرانه فقد اعتذر من مناظرة العلامة محمد بن أحمد الرملي بان لكليهما اتباعا سينشالون عنه إذا أصبح مغلوباً وربما لحظ هذا مع أبي مخرمة ويرى في الكتابة على مصنفاته وفي مبادلة الأبحاث والحجج والراهين التحريرية ما يغني عن المناظرة .

ومن لطيف ما رواه لي بعض الشيوخ ان ابن حجر كتب لابي مخرمة وهو بالشحر خطاباً كرر فيه كلمة عجب عشرات المرات فأجابه أبو مخرمة بخطاب كرر فيه قط عشرات المرات فقيل لأبي مخرمة ماذا تقصد بهذا فقال إنه يشير إلى عجبه من فطنتي وأنا أكثر دوماً من أكل السمك فأجبته بالنفي .

وكان الشيخ با مروني الشحري أستاذ بامخرمةيقول عنه أنه استفاد من تلميذه أكثر مما إستفاد منه التلميذ وكان عمه وشيخه الطيب بامخرمةالقاضي العدني والمؤرخ الكبير صاحب قلادة النحر في التاريخ ـ أحد مراجع التاريخ ـ يقول لا أستطيع على ما يستطيع عليه ابن أخي في حل المشكلات الخ كلامه ، ويقول له العلامة الطنبداوي في أثناء مكاتبة إليه (والله إني أعتقد فيك أنك أوحد علماء العصر وذلك لما وقفت عليه من فتاويكم بأيدي الأشراف أصحابكم آل باعلوي وهي كلها منقحة زادكم الله علماً وحلما ومتع بكم المسلمين وكان محدث عدن ومفتيها الشيخ أحمد بن عمر الحكيم يقول لو حلف أحد

بالطلاق أن ما في الأرض أعلم من الشيخ عبد الله بامخرمة ما حنث) وكان علامة الشافعية باليمن عبد الرحمن بن زياد صاحب المباحث والردود مع ابن حجر ومقره زبيد لا يفتي عند وجود أبي مخرمة بزبيد ويقول لا ينبغي لأحد من أهل زماننا أن يفتي وشيخ الإسلام عبد الله بن عمر عنده ببلده وقولته تنطبق على القولة الشهيرة (لا يفتى ومالك في المدينة) وهناك علماء آخرون أذعنوا له بالفضل وبإنه أوحد علماء زمانه بل منهم من يفضله على ابن حجر وعلى الرملي في فقه الشافعية وأنه لمن الصعب المفاضلة في جانب من الجوانب أو في موضوع أو فرع من فروع الفقه .

في المجال السياسي

وعبد الله بامخرمة هو مستشار شرعي وسياسي لبدر أبي طويرق وكاتب وأمين سر له وكان يمحضه النصح ولا يخرج به عن دائرة الشريعة الغراء ولأبي طويرق ثقة طبيرة لفيه لما يعرفه هو وغيره عنه من النزاهة والإتساع في العلم وحصافة الرأي وقل أن ينقض السلطان لبامخرمة حكماً ومع هذا فلم يستطع التوفيق بين أبي طويرق وبين أبيه العلامة الصوفي والشاعر البلدي الشيخ عمر لأن الخلاف سياسي ومستعصي بين الاثنين بخصوص بلد الهجرين مدينة الشيخ عمر التي يحب أن تكون مستقلة عن أي سلطة غير سلطة أهلها في نظره فما كان من أبي طويرق في النهاية إلا الإستمرار في وضعها تحت حكمه ومراقبة الشيخ عمر وفرض الإقامة الجبرية عليه بسيئون التي توفي بها .

وأيضاً مما يلاحظ عن الشيخ عبد الله أنه لم يوافق على الإستمرار كقاضي في المحكمة الشرعية بالشحر بالرغم من رغبة أبي طويرق وكان يخشى الإصطدام معه أو لعل الشيخ نفسه لا يرتاح إلى منصب القضاء ذاته أو لمغايرته لمزاجه كالكثير من العلماء .

وفاته توفي رحمه الله بعدن وهو في أبرز مناصبها العلمية سنة ٩٧٢هـ وعمره خمسة وستون عاماً إذ ان تاريخ ولادته بالشحر التي أمضى معظم حياته بها سنة ٩٠٧هـ وأبنه

كثير من العلماء والشعراء ودفن في الوضع الذي دفن فيه جده عبد الله بن أحمد بامخرمة قرب مشهد الشيخ جوهر رحمه الله تعالى[1] فالشيخ بامخرمة مثال الزعيم الإسلامي الكفوء في عصره رضي الله عنه .

الإمام عبد الله بن علوي الحدادالكفيف الذي ذاعت شهرته في بلاد العرب والشرق الأقصى

ميلاده وكف بصره ونشأته وتحصيله العلمي

ولد سنة ١٠٤٤هـ بالسبير إحدى مصائف تريم من أبوين علويين وكف بصره بإصابة من الجدري وهو ابن أربع سنوات فأدرك بحواسه الأخرى ما فاته من حاسة البصر وببصيرته النافذة أدرك ما لا يدركه آخرون بأبصارهم ويظهر أن لذهاب بصره أثراً في نمو ذكائه وقوة فهمه وحافظته كأمثاله من نوابغ المكفوفين وقد وجهه أبوه إلى الكتّاب وإلى المعاهد العلمية فحفظ القرآن في صباه كما حفظ الإرشاد وغيره من المتون والأحاديث والأشعار والحكم وكانت أمه هي الأخرى معتنية بتربيته وتهذيبه وساعده المحيط الذي نشأ فيه وهو محيط علم وفضل وأدب وتصوف إلى جانب إستعداده الفطري على النبوغ والتفوق على أقرانه ودرس على نخبة من شيوخ وأئمة عصره وفي مقدمتهم عبد الله بن أحمد بلفقيه والد العلامة المتفنن عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وعلى سهل بن أحمد باحسن الحديلي وعلى الداعية الكبير عمر بن عبد الرحمن العطاس وعلى الوجيه عبد الرحمن بن شيخ مولى عيديد وابنه شيخ وغيرهم .

ومن شيوخه بالمكاتبة محمد بن علوي السقاف العلوي الحضرمي نزيل مكة وله زملاء من كبار العلماء وأكرم الأدباء يعقد معهم الجلسات الطويلة للبحث والدرس والعبادة

---

[1] ترجمة الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة هذه مأخوذة من عدة مصادر أهمها كتاب خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر وجل ما هنا منه ومنها السناء الباهر .

والمذاكرة وللمساجلات الشعرية والنكات الأدبية ولكـل لـون مـن العلـوم مـا يناسـبه مـن الأوقات والمحلات وقد نوه بالإشارة إليهم في عينيته بقوله :

وبقيـــة فى العـــصر مـــنهم عمـــروا	لتكـــون فـــيهم متعـــة المتمتـــع
ويكـــون فـــيهم للربـــوع وأهلـــها	أنـــس ونفـــع الطالـــب المنتفـــع
فـــالله يحفظهـــم ويخلـــف مـــنهم	أمثـــالهم فى حينـــا والمربـــع

وكانت مجالسه عامرة بالمجلدات العلمية الضخمة إلى جانب الكتب الأدبية ومما لا يكاد يفارق مجلسه ديوان المتنبي وكان يحفظ الكثير من أشعاره وحكمه ويستشهد بها ويميـل إلى سماع مقامات الحريري وما كان من طرازها من طرائف كتب الأدب .

طريقته في التأليف وانتشار مصنفاته ودعوته

قل أن تنتشر كتب أحد من أقران الحداد ودعوته إلى الأخذ بتعاليم الإسلام كما انتـشرت كتب الحداد وتعاليمه فقد أصبحت مـصنفاته طبعـات عديـدة ومعظمهـا مـزيج مـن الفقـه والتوحيد والتهذيب والتاريخ والحكم ومن أبرزها النصائح الدينية ورسالة المعاونـة وقـد ألفها وهو في سبع عشرة سنة والفصول العلمية والدعوة التامة وإتحاف السائل وقد أجاب فيه عن إستفتاءات في مسائل عويصة بقـوة عارضـة وحجـج دامغـة كمـا أنـه قابـل بعـض المستفتين من الزيدية وغيرهم من معتنقي المذاهب الأخرى وأجـابهم إجابـة شـافية عمـا يتقدمون به إليه من الشبهات والكتاب مطبـوع أيـضاً وقـد طبعـت أوراده وراتبـه وشـرح بعضها كما طبع ديوانه عدة مرات وانتشر كل ذلك لسلامة اسلوبه وسهولة تعبيره وقـوة براهينه وكان انتشارها في أقطار الجزيرة العربية وفي الشرق الأقصى وغيرهـا وقـد نـشر

التعاليم الإسلامية بالقلم والقدم[1] والفم إلى جانب المساجد والزوايا العديدة التي بناها في مدن وقرى حضرمية للعبادات .

أما طريقته في التأليف فكان يعرض المواضيع الدينية والخلقية والأبواب الوعظية عرضاً حسناً ويدعم كلامه بالآيات القرآنية ثم يثني بالأحاديث النبوية ثم يثلث بالآثار عن الصحابة والعلماء والحكماء نثراً ونظماً وطريقته شبيهة بطريقة الغزالي في الإحياء حتى قال بعضهم أن كتابه النصائح زبدة ما في الإحياء .

وقل أن يعقد مجلس وعظ أو تذكير بهذه البلاد إلا ويستشهد فيه من كلامه كما أن أشعاره تنشد أيضاً في مناسبات الأفراح وغيرها وقل أن تجد واعظاً حضرمياً إلا ويجعل من كلام الحداد المنثور والمنظوم منطلقاً لوعظه .

نقد الحداد لأبناء زمانه

والحداد ناقد ينقد أهل زمنه عموماً وأهل السلطة والنفوذ بصفة خاصة بخبرة وحكمة وقد يمزج بشيء من المرارة ومن قولاته المشهورة في أهل زمنه : أهل هذا الزمن فاتهم كل شيء وسيبوا كل شيء ، ومعلوم وجود الفارق بين ما يفوت وبين ما يسيب ويقول : أهل هذا الزمان لو خير أحدهم بين المغفرة وبين مائة درهم لأختار المائة درهم على المغفرة ، ويقول في رجال القبائل المجاورة لموطنه تريم : انني لا أقدر أن أحكم بكفرهم ولا بإسلامهم لإنني إن حكمت بكفرهم فهم ينطقون بالشهادتين ويصلون وإن حكمت بإسلامهم فهم يستحلون قتل الأنفس البريئة وينهبون الأموال الحلال ، وكان يكتب للسلاطين بالنقد اللاذع لمخالفتهم الأوامر الشرعية.

ويقول عن القضاء والقدر أنه مشلكة لا تنكشف إلا يوم القيامة لغموض وتضارب ما تقوله الفرق الإسلامية والدينية فيها .

---

[1] فقد رحل أكثر من مرة إلى دوعن وإلى الحرمين الشريفين وكان منه هناك نفع عام وله مقام وإحترام .

وينقد المناصب الجهلة ويقول أنهم اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون أن يتزودا من العلم والاستقامة كما تزود آبائهم وينتقد في فصوله العلمية على من يغرر بالجاهلين من العلويين ويقول أن أمثال هؤلاء المغررين بهم لا يحبونهم ولو كانوا يحبونهم لحثوهم على الأخذ بطريقة أسلافهم من التمسك بالعلم والعمل والأخلاق وينقد أيضاً بعض كبار المتصوفة السابقين الذين يخالفون ظاهر الشرع في أعمالهم وأقوالهم أمثال الحلاج والسهروردي وابن عربي ويود أن لو وضع له كرسي ليعظ من فوقه كما يعمل وعاظ بغداد السابقون وكما يجلس شيخه عبد الرحمن بن شيخ عيديد بتريم وأن لو أبدل خطب ابن نباتة وأن لو ربط زيارة نبي الله هود بالتوقيت الشمسي أي المنازل الشمسية ولكنه لم يقدم على هذه الثلاث تأدباً مع من سبقه من الأسلاف الصالحين كما يقول .

في المجال السياسي

والحداد شارك مضطرا في المجال السياسي من أجل وطنه وشعبه رغما عن أنه مكفوف البصر وليس في أيام شبابه فحسب بل وفي كهولته وشيخوخته فكان يكتب توجيهات لبعض السلاطين الكثيريين كعمر بن علي بن عبد الله ومحمد بن بدر ولبعض معاونيهم .
وكان يشير عليهم في نواحي إجتماعية فيحترمون إشارته ومن ذلك ما قرره السلطان من جمع الزكوات وتوزيعها فأشار عليهم بترك ذلك .
ولم يزل بهم حتى ألغوه وكان له مبررات في ذلك من أهمها عدم إستعدادهم لوضع ذلك في موضعه الشرعي وجعلها أهم مورد لحكومة إسلامية في ميزانيتها ثم توزيعها بكميات كبيرة ومبالغ ضخمة تصرف في مجالات إقتصادية للمستحقين تحت إشراف حكومة رشيدة إلى آخر ما هنالك[1] .

[1] انظر خطابه المؤرخ سنة ١١٣٠هـ في مكاتباته آخر في الموضوع لعمر بن جعفر .

وكان قد خصص ابنه محمد للقيام بوساطات بالنيابة عنه بين القبائل وغيرهم للإصلاح بينهم وأعده للدبلوماسية القبلية المحلية ولما نشبت بين آل العمودي ـ وفيهم من يكاتبونه ويتصلون به للاستفتاء والاستشارة[1] ـ نزاع مسلح تدخل بينهم الحداد وأرسل ابنه المذكور للتوفيق بينهم فنجح وقد زوج ابنه محمد عند قبيلة آل كثير كما صاهر أحد بنيه الآخرين آل قصير التميميين وكل هذا من أجل توثيق عرى المودة والإخاء بينه وبين القبائل المسلحة .

وقد أسس له في دائرة مدينة تريم ضاحية الحاوي الشهيرة المستقلة استقلالا ذاتياً به وبأولاده وخدمة وأتباعه بحيث لا يتدخل فيها حاكم تريم ولا يعد أهلها من رعاياه بينما هي داخلة في كل ما يصل إلى تريم من خير خارجة عنها من كل فتنة أو حرب أهلية فهي محترمة لدى الجميع ولهذا أسماها بعض السواح الأجانب بالفاتيكان تشبيهاً لها بالفاتيكان في روما التي يحكمها البابا والحاوي في مدينة تريم يحكمها المناصب من سلالة الحداد صاحب الترجمة إلى أن جاء عهد الاستشارة البريطانية .

الحداد في المجال الإقتصادي

وكما أن الحداد علم من أعلام الأدب والعلم والثقافة والنسك فهو أيضاً من أعلام الإقتصاد في وطنه وبالأخص في الناحيتين الزراعية والتجارية فأما في الناحية الزراعية فله إرشادات خاصة وعناية بالمزارعين سواء بالنسبة للتوقيت أم بالنسبة للطريقة المنتجة فكان يحثهم على الإكثار من زراعة الحبوب وبالأخص البر وبما أن التوقيت عندهم لزراعة البر في منزلة الحوت وإذا تخلفوا عنها يتوقفون عن الزراعة فقد شجعهم على أن

[1] كعبد الرحمن بن عبد الله وأحمد بن محمد وعبد الله بن سعيد بن عثمان وحسن بن الشيخ مطهر كما في مكاتباته .

يزرعوه ولو في نجم الثريا وقد أثبتت التجارب صدق ما يقول فأستمروا على ذلك إلى اليوم
.

وكان يأمرهم بأن يزرعوا ثلاث مرات أي ثلاثة صروع في العام في القطعة الواحدة شـريطة أن يكثروا من السماد الطبيعي فنفذوا تعليماته ولعله يقصد من ذلك نقطتين فيهـا إزدواج وهما الإكثار والإنتاج من الزرع وتنقية المساكن من الأوساخ .

ولدى الحداد أطيان ورثها من أبيه ومن أمه التي تملك أسرتها أطيانا أكثر ولكنه مع هذا يعد من متوسطي الحال في مقدار الأطيان وعنده دواجن في مزارعه وفي مسكنه وكان يباشر بنفسه إطعامها يومياً وأضاف إلى العمل الزراعي أعمـالاً تجاريـة يقـوم بهـا بنـوه تحـت إرشاده وأمرهم بالهجرة من أجلها كعادة أبناء وطنه وكان يـشرف علـى ذلـك في الجملـة ونفق من حصيلة الموردين على أسرته وضيوفه وبعض طلبته وكان يحب تربية الأيتـام في بيته وطريقته أنه ينفق مجاناً على الفقير منهم ويخلط ما اليتيم الذي لا يكفيه ضمن ماله وينفق عليه بما يكفيه تبرعا بالزائد إلى جنب تهذيبه وتعلميه وإذا كان اليتيم غنياً فإنـه يفتح له حساباً وينمي ماله .

لطف الحداد وظرفه وتسامحه

ومع ما أتصف به الحداد من علم ونسك وتصوف وما يقوم به من أعمال إجتماعية عظيمـة فليس فيه تزمت ولا تحجر بل كان على العكس من ذلك فهـو بـشوش ولطيـف وظريـف وقد مرت بك حادثة العود (القنبوس) المروية عنه تحت عنوان (الحادثة الطريفة) .

ومن لطفه أنه أمر بكتابة هذين البيتين على مروحته

مروحـــــة تـــــروح كـــــل هـــــم	ثلاثـــــة أشـــــهر لا بـــــد منهـــــا
حزيـــــران وتمـــــوز وآب	وفي أيلـــــول يغـــــني الله عنهـــــا

وفي مرة من المرات أمر بعض المزارعين أبنه بأن يذهب بمناجله إلى الحداد لسنها حتى تقطع الأشجار بسرعة فذهب الصبي بالمناجل ودخل على الحداد صاحب الترجمة وهو في جلسة علمية فلم يشعر الحاضرون إلا بالصبي يقول له هذه الشرم (المناجل) يريد منك أبي أن تسنها فقال له الحداد في الغد في مثل هذا الوقت تجدها مسنونة إنشاء الله وذهب الصبي وتعجب الحاضرون وأمر الحداد من يسنها ولما جاء الصبي على ميعاده سلمها إليه وفي مرة من المرات مر تحت غرفته أبنه الشاعر الشعبي الغزل زين ـ وستأتي الإشارة إليه ـ مر تحت غرفته وهو يقول لبعض ندمائه هذا البيت الدارج

يقول خو علوى حجزنا حمول	ثقيل ما نقدر لحمله

فوقف عليهم وأجابهم على البديهة رضي الله عنه :

حضر جمل لي بايهز العدول	لو حملوه الحيد شله[1]

الحداد والعدالة الإجتماعية

وكان الحداد ممن يميلون إلى توزيع كثير من أموال الأغنياء على الفقراء وقد أثر عنه أنه يقول لو مكنني أهل حضرموت أو أغنياء حضرموت من أموالهم لأنفقت ثلثيها على المعوزين لعدم إخراجهم الزكاة .

وكان دوماً يحمل الأغنياء تبعة (مسؤلية) بخلهم على الفقراء وعدم مشاركتهم بأموالهم في المشاريع العامة ونجد ذلك في كلامه المسمى (تثبيت الفؤاد بكلام القطب الحداد) وقد كتبه الشيخ عبد الكريم الشجار الإحسائي نسبة إلى الإحساء وكان قد جاء منها لتلقي العلوم عن الحداد فكان من أخص تلاميذه وسجل كلامه وسماه هذا الإسم الجميل وكان

[1] لي بمعنى الذي وبا بمعنى سوف ويروى شطر البيت الأول بغير ما ذكرت .

يعكس صورة المجتمع الذي عاش فيه الحداد ثم هذبه فيما بعد وأختصره أحد أحفاد الحداد العلماء وهو العلامة علوي بن أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد وسمي ذلك الإختصار (بهجة الفؤاد) ونجد خلاله كثيراً من ميول الحداد إلى العدالة الإجتماعية في الناحية الإقتصادية بحيث تبذل كل المحاولات مع الأغنياء لتوجيه أموالهم نحو القيام بالمشاريع العامة وسد حاجة أهل الفاقة والعوز بصورة أوسع مما نجدها في كلام الدعاة الآخرين .

برنامجه اليومي

وبرنامجه اليومي منظم ومليء بالأعمال الدينية والدنيوية فكان يشغل أوقات الصباح والمساء بالتأليف أملاء مصنفاته على بعض تلاميذه وتهذيبها وبتدريس الطلبة وبمقابلة ضيوفه وزواره ويشغل أوائل الليل وأواخره بالعبادة وبتلاوة القرآن ويجلس مع أفراد أسرته عند ما يضحي النهار ويطبخون القهوة كما تعتاد أمثاله من الأسر الأخرى ويكون الحديث خليطا من مواضيع شتى كلها مفيدة تتخللها إرشاداته ونصائحه ولما كان يحب المشاركة معهم في الأعمال البيتية جعل من نصيبه طي القرب الفارغة من الماء حتى لا يدخل فيها شيء من الحشرات كما أنه يقوم بإطعام الدواجن وربما عدل برنامجه هذا في بعض الأيام .

وقد ألف منذ صباه أن يصلي بعد خروجه من الكتاب مائة ركعة أو مائتي في المسجد كما سبق إلى غير ذلك من أوراده وراتبه الشهير المطبوعات قالو وقد استمدها من القرآن والحديث وقد دونت معظم السنن التي يقوم بها حتى السور القرآنية في الصلوات النافلة فضلاً عن غيرها .

غرائب تروى عنه

وتروى عن الحداد غرائب وخوارق كثيرة منها ما يرويه هو عن أحدى جداته من أنها تقول سيأتي على أهل حضرموت زمان ليس لهم فيه ملجأ إلا ثمود وهذه القولة الشهيرة من عصر الحداد إلا أنها زادت إنتشاراً في هذه السنوات بعد أن أصبحت منطقة ثمود (شمال شرق حضرموت) منطقة لمنابع بترولية وزادت من معنوية الشعب بوجود ثروة زيتية له فيها تكون ملجأ له من الأزمات الحادة إلا أنه مع الأسف لم يسفر التنقيب المرتقب عن النتيجة المرجوة إلى درجة أن رئيسي الحكومتين المحليتين أصدرا بيانات في هذه الأشهر تدل على ندرة أو قلة البترول فيها وأن النتائج لا تبشر بوجوده بكميات تجارية لكن هذا لم يتقبله الكثير بالتصديق ولما حج الحداد سنة ١٠٨٠هـ دخل عليه وهو بالحجر الشريف بركات بن محمد قبل أن يتولى إمارة الحجاز طالباً منه الدعاء بحصول مرامه فدعا له بذلك وهو لا يعرف ذلك الزائر المستمد ولما خرج من عنده سأل عنه الحداد فقيل أنه أحد أشراف الحجاز الحسنيين فقال أنه يروم ويطلب أن يكون أمير مكة وقد استجاب الله لنا الدعاء له في ذلك فتولى الشريف المشار إليه الإمارة المطلوبة بعد ذلك قبل أن تدور الدورة الفلكية دورتين في مثل الزمن الذي دعا له فيه الحداد .

إن كثير من هذه الخوارق تحدث من الحداد وإضراب الحداد وهي مسجلة في كتبهم قبل حدوثها بأزمان طويلة ثم تقع طبق ما قالوا ، ومن هذا القبيل ما يوجد في البرقة المشيقة للشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفي سنة٨٩٥هـ عن ملوك التوت أو كنوزه وكانوا لا يدركون مغزاها فلما ظهرت كنوز توت عنخ آمون فرعون مصر انكشف ما يرمز إليه ، وكذلك ما يروى عن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن أحد علماء القرن الحادي عشر من أنه قال أن رجلاً من سلالتي يوافق أسمه أسمي أي أن أسمه كأسمي سيحفر بئراً ويبني مسجداً هنا وأشار إلى موضع معروف بنويدرة تريم فجاء السيد أحمد بن محمد شهاب فحقق ذلك في القرن الرابع عشر .

الحداد كشاعر

والحداد شاعر مطبوع واسع الخيال دقيق الوصف مكثر مجيد وكثير من شعره يكاد يسيل رقة طرق معظم أبواب الشعر من غزل ووصف وثاء وفخر ومديح وزهد وحكم فأجاد فيها وقد أتجه فبرز إلى الزهد والوعظ بصورة خاصة وقل أن تخلو قصائده منهما وقد أفردت بعض قصائده بالشرح كالعينية التي مطلعها .

يا سائلي عن عبرتي ومدامعي	وتنهد ترتج منه أضالعي

شرحها تلميذه العلامة أحمد بن زين الحبشي صاحب حوطة أحمد بن زين وترجم للرجال الذين نوه بذكرهم فيها وكالرائية التي مطلها

إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمر	وتوضع بعد الموت في روضة القبر

وعطف على هذا الشرط بجمل وأبيات أخرى إلى أن جاء جوابه (عليك بتحسين اليقين الخ) وقد شرحها العلامة أحمد بن أبي بكر بم سميط من أعلام القرنين الثالث والرابع عشر بزنجبار شرحاً أفاض فيه من علم البديع و كأنه يرد بذلك علة من زعم أن علماء الحضارمة في عصره لا يعنون به ولك الشرحين مطبوع كما شرحت غيرها من القصائد ونجد بعض أشعار الحداد الفصيحة ملحونة قد تركها كما هي وكان قد نظمها قبل أن يتكمن في علم القواعد النحوية كما يصرح بذلك هو نفسه .

وتبرز في شعره السلاسة ويستعمل البديع المقبول الذي ليس فيه تطرف ولا تخلف وبالأخص التقسيم كما يتجلى ذلك فيما أوردته منه ونجد فيه الخيال الواسع والمعنى الدقيق يسمو به تدريجياً كقوله :

مـــن معـــشر مـــالهم هـــم ولا شـــغل	ولا إلتفـــات ولا ميـــل إلى الفـــاني

فبدأ بالهم وهو أشد الشواغل النفسية ثم ما يقل عنه حتى الميل وكقوله :

ولى الزمـــان وولـــت الأيـــام	فعلـــى المنـــازل والنزيـــل الـــسلام

وكقوله :

قـــد طالمـــا طوفـــت حـــول ديـــارهم	لأرى وأسمـــع مـــا يـــروق لمـــسمع
فرأيـــت لكـــن مـــا يـــذوب مهجـــتي	وسمعـــت لكـــن مـــا يفـــيض مـــدمعي

نماذج من شعره

من شعره الغزلي وغزله يكاد يسيل رقة :

مرحبـــا بالـــشاذن الغـــزل	زارنـــي وهنـــا علـــى مهـــل
كقـــضيب البـــان في كثـــب	ينـــثني في الحلـــي والحلـــل
كلمـــا هـــب الجنـــوب لـــه	ســـحراً يهتـــز كالثمـــل
هـــو مـــن كـــأس الـــصبا ثمـــل	لـــيس كـــأس الإثـــم والزلـــل
فـــشفى نفـــسي برؤيتـــه	مـــن جميـــع الـــداء والعلـــل

ومنه ولعله يعني النفس كأمثاله من كبار الصوفية :

أقـــوم بفـــرض العامريـــة والنفـــل	وأصـــدقها في القـــصد والقـــول والفعـــل
وآتـــي إلى مـــا تـــشتهيه وإن يكـــن	مريـــراً وجـــدت المـــر مثـــل جـــنى النحـــل

ثم تخلص فيها إلى ذم الزمن ومدح الكرام الماضين فقال :

وقــد درج الأســلاف مــن قبــل هــؤلاء	وهمـــتهم نيـــل المكـــارم والفـــضل
لقــد رفــضوا الــدنيا الغــرور ومــا ســعوا	لهـــا والـــذى يـــأتى يبـــادر بالبـــذل
فقير هـــم حـــر وذو المـــال منفـــق	رجـــاء ثـــواب الله فى صـــالح الـــسبل
لباســـهم التقـــوى وسمـــاهم الحيـــا	وقـــصدهم الـــرحمن فى القـــول والفعـــل
مقـــالهم صـــدق وأفعـــالهم هـــدى	وأســـرارهم منزوعـــة الغـــش والغـــل
خـــضوع لمـــولا هـــم مثـــول لامـــره	قنـــوت لـــه ســـبحانه جـــل عـــن مثـــل
فقـــدنا جميـــع الخـــير لمـــا ترحلـــوا	ومنـــه خـــلا وعـــر البـــسيطة والـــسهل
وصـــرنا حيـــارى فى مفـــاوز جهلنـــا	نـــشبه بـــالبهم الـــسويرحة الغفـــل
خـــبط لا نـــدرى الطريـــق إلى النجـــا	وبـــالجور نمحـــو ســـنة الـــبر والعـــدل
فآهـــاً علـــيهم ليـــت داهيـــة الفنـــا	بحزب الردى حلت وحزب الهدى خلى
أبكـــى علـــيهم مـــا حيـــى بعـــبرة	لـــه مـــدمع فى الخـــد يـــشهد بالثكـــل
وأحمـــل نفـــسى مـــا أســـتطعت علـــى إقتفـــاء	ســـبيلهم حتـــى أوســـد فى الرمـــل
حيـــاتهم خـــير لهـــم ومماتهم	فطـــوبى لهـــم فـــازوا وســـادوا علـــى الكـــل
علـــيهم ســـلام الله إن كـــان قـــد مـــضوا	فـــذكراهم بـــاق وقـــد شـــاع بالنقـــل

ومنه قوله من أثناء قصيدة مدح فيها الفقيه المقدم رضي الله عنهما :

ســـقيا لأيامنـــا الغـــر الـــتى ســـلفت	مـــع الأحبـــة مـــن ســـكان نعمـــان
حيـــث الخيـــام بهـــا البـــيض الأوانـــس	والغيـــد الرواتـــع فى روح وريحـــان
وغـــادة وعـــدت بالوصـــل ثـــم لـــوت	بـــل أخلفـــت فثنـــت قلـــبى عـــن الثـــانى
فمـــن رســـولى إلى ســـعدي يبلغهـــا	أنـــى ســـقيم أن الحـــب أضـــنانى
وأن طـــبى مـــن الأســـقام فى يـــدها	ســـهل عليهـــا فـــلا تبخـــل بإحـــسان
فـــإن لـــى أمـــلا فى أن تـــرق وأن	تحنـــو لوصـــلة أرحـــام وجـــيران

ومن جيد شعره :

أحبتنــــــا بنجـــــد والـــــصفيح	مـــر اهم كــــل ذى قلـــب جـــر يح
علـــى عطفـــا علـــى دنـــف كئيـــب	حـــزين القلـــب منكـــسر طـــر يح
وهـــل مـــن رحمـــة مـــنكم لـــصب	صـــبا قـــدما إلى الأوج الفـــسيح
لـــه روح تحـــن لخـــير عهـــد	بمعهـــدها الأنـــيس مـــن الـــسفوح
بنعمـــــــان الأراك وأى أخـــــذ	فقـــل لـــى عنـــه بـــالقول الفـــسيح
ومـــل بـــى يمنـــة عـــن طـــور نفـــس	إلى طـــور الـــسرائر والمنـــوح
لعلـــــى أنـــــادى عـــــن قريـــــب	فمـــا المعطـــى تعـــالى بالـــشحيح
ولكنــــا حجبنــــا بالأمـــــانى	وبـــالكون الكثيـــف مـــع النـــزوح
فهيـــا بـــالقلوب إلى حماهـــا	ومغناهـــا ومـــوطن كـــل روح
فـــإن الـــروح مـــن ملكـــوت غيـــب	تنزلهـــا بمتجرهـــا الـــربيح
وأن الجـــسم مـــن طـــين ومـــاء	يميـــل إلى الحظـــوظ بكـــل ريـــح
فوجـــه حيـــث شـــئت فأنـــت ممـــا	لـــه وجهـــت فـــأختر للملـــيح
وجانـــب كـــل سفـــساف ونكـــر	مـــن الأخـــلاق والعمـــل القبـــيح
وســـافر فى الجميـــل إلى المعـــالى	بجـــد واســـتمع قـــول النـــصيح
ولا تـــؤثر علـــى الـــرحمن شـــيئاً	تعـــالى قابـــل التـــوب النـــصوح
إلـــه واحـــد ملـــك عظـــيم	تـــسبحه ملائكـــة الـــصفيح

ومن أثناء مرثية قوله :

وقـــد كـــان بـــالوادى وبـــالربع والحمـــى	رجـــال مـــصابيح الوجـــوه نجـــوم
لهـــم مـــن شـــراب القـــوم شـــرب ومـــن حـــد	يـــث نجـــد طيـــب وقـــويم
فأعـــدمنى الـــدهر الخـــؤون وجـــودهم	ومـــا الـــدهر إلا خـــائن وظلـــوم

وقال يخاطب الروح :

يـا أيهـا الـروح هـل ترضـى مجـاورة	علـى الـدوام لهـذا المظلـم الكـدر
وأيـن كنـت ولا جـسم تـساكنه	ألـست فى حـضرات القـدس فـأذكر
تـأوى إلى المـلاء الأعلـى وتكـرع مـن	حيـاض أنـس كمـا تجـنى مـن الثمـر
تـأتى عليـك نـسيم القـرب مهديـة	عـرف الجمـال كعـرف المنـدل العطـر
حتـى جعلـت بـأمر الله فى قفـص	ليبتليـك فكـن مـن خـير مختـبر
فحـين ابـصرت هـذا الجـسم قـد بـرزت	بـه العجائـب مـن بـاد ومـستتر
أنـستك بهجتـه مـا كنـت تـشهده	مـن قـدس ربـك فـأعرف ضـيعة العمـر
رضـيت بـالكفر عـن كـشف وأينـك مـن	جليـة الحـق إن خلـدت إلى للفكـر
لا تقـنعن بـدون العـين منزلـة	فالخـب مـن يكتفـى بالظـل والأثـر

وقال واعظاً ومذكراً :

تلـك القبـور وقـد طـاروا بهـا رممـا	بعـد الـضخامة فى الأبـدان والـسمن
بعـد التـشهى وأكـل الطيبـات غـدا	يأكلـهم الـدود تحـت الـترب واللـبن
تغـيرت مـنهم الألـوان وانمحقـت	محاسـن الوجـه والعيـنين والـوجن

وله هذان البيتان :

نحـن فى روح وراحـة	وحبـور واسـتراحة
نعمـة الإسـلام أعلـى	نعمـة حلـت بـساحة

وقال :

هـون عليـك نوائـب الـدهر	يهـن عليـك كـل مـا يجـرى
وكـن للطـف الله منتظـراً	مـن حيـث لا تدريـه أو تـدرى
فكـم لـه مـن فـرج عاجـل	يكـشف للبأسـاء والـضر
فحـسن الظـن بمـولاك فى الأ	حـوال مـن يـسر ومـن عـسر
وروح القلـب بـروح الرضـى	تعـيش فى أنـس وفى بـشر
وكـن مـن الـشكر علـى غايـة	ان النعـيم الـصرف فى الـشكر

ومن شعره الفخري قوله :

أرى الحـق بـين النـاس قـد صـار خافيـاً	وقــد درسـت أعلامـه ومـسالكه
أرى مربـع الأحبـاب قـد صـار خاويـاً	فارقـه فرسـانه وعواتكـه
فللـه مـا هـذا الـذي لقيتـه	معـرة دهـر وطـأتني سـنابكه
أنـادي قريبـاً قـد سـبته حظوظـه	وأدعـوا بعيـدا آسـرته مهالكـه
فهـذا غريـق والآخـير مثـبط	وأيهمـا تختـاره وتماسـكه
ومـا أنـا بالمختـال زهـوا لنفـسه	ولكـنني أهـوى الجميـل وسـالكه
أحـن إلى العليـاء وقـد حـال دونهـا	فـوارس سـلطان الهـوى وفواتكـه
ومـن يبتغـي الأمـر النفـيس بنفـسه	يخـاطر دون الملـك تلقـى معاركـه

وقال متغزلاً :

ومرتـع كانـت الغيـد الأوانـس في	أفيائـه تنـثني في الحلـى والحلـل
مـن كـل غانيـة بالحـسن قاصـرة	هيفـا خدلجـة مواجـة الكفـل[1]
كالبـدر غرتهـا كالليـل طرتهـا	كاغـصن قامتهـا مياسـة المقـل
وكـم حبيـب وفي العهـد مجتمـع	علـى المـودة لا بالعـاجز الوكـل
مـن آل فاطمـة بـين الوجـوه لـه	إلى المكـارم سـعي المـسرع العجـل
فهـل تـرى عائـد في الحـي مجتمعـاً	مـع الأحبـة في الأبكـار والآصـل

وقال في الإيمان والتوحيد :

بـشر فـؤادك بالنـصيب الـوافي	مـن قـرب ربـك واسـع الألطـاف
الواحـد الملـك العظـيم فلـذ بـه	وأشـرب مـن التوحيـد كأسـاً صـافي
وأشـهد جمـالاً أشـرقت أنـواره	في كـل شـيء ظـاهراً لا خـافي
وعلـى مـنص الجمـع قـف متخليـاً	عـن كـل فـان للتفـرق نـافي
والـبس لـرب العـرش في أقـداره	ثوبـاً مـن التـسليم واف ضـافي
واسـتكف ربـك كـل هـم أنـه	سـبحانه الـبر اللطيـف الكـافي

وشعره يحتاج إلى دراسة وتمعق لكشف ما فيه من محاسن وإن كان كغيره من الشعراء في شعره الحسن والأحسن والجيد والأجود وما ليس كذلك .

[1] الخدلجة بتشديد اللام الرّيا الممتلئة الذراعين والساقين كما في لسان العرب .

وشعره المطبوع منتشر ذائع لمن أراد الإطلاع عليه ومع هذا فله أشعار كثيرة لم يسمح بنشرها في حياته .

وفاته

وتوفي رضي الله عنه وقد ناهز التسعين وهو في أثناء العقد التاسع من عمره سنة ١١٣٢هـ وترك فراغاً في عالم الفضل والعلم والتقوى والإصلاح لم يملأه غيره من أبناء عصره بعد ما انتهت إليه الزعامة في عصره وفي وطنه رضي الله عنه ويمتاز الحداد بتاريخ حافل بالنبوغ والحصافة والتفوق وقد صنفت مصنفات كثيرة عن حياته المديدة السعيدة يمكن أن يستمد منها بغزارة من أراد الكتابة بإسهاب عنه وحبذا لو قدم من أراد شهادة الدكتواره من أبناء هذه البلاد عن هذا الإمام رضي الله عنه[١].

[١] من تلك الكتب عاية القصد والمراد في مناقب القطب الحداد للعلامة تلميذه محمد بن زين سميط والفوائد السنية لحفيده أحمد بن حسن وتثبيت الفؤاد كما أشرنا إليه إلى مختصره وكتب التراجم الحضرمية المصنفة بعد وفاته وفي حياته رضي الله عنه ومنها أيضاً المواهب والمنن .

الدور القبلي[1]

من سنة ١١٣٠هـ تقريباً إلى سنة ١٢٧٠هـ تقريباً

أعظم ظاهرة في هذا الدور الظاهرة القبلية الفوضوية فلا دولة راسخة ولا سلطنة مستقرة فيه ولهذا لا يمكن أن تسمى دويلة آل عمر بن جعفر الكثيريين التي تأسست بهينن حوالي سنة ١٢٢٠هـ وانتهت سنة ١٢٣٩هـ ولا دويلة آل عيسى بن بدر الكثيريين التي ورثتها في ذلك العام نفسه بشبام وأنتهت سنة ١٢٧٤هـ بقتل آخر سلاطينها منصور بن عمر بموآمرة في شبام من الجمعدار[2] السلطان عوض بن عوض القعيطي ولا دويلة المقدم عمر بن عبد الله بن مقيص الأحمدي اليافعي التي تأسست ببيت جبير سنة ١٢٤٢هـ والتي يضرب بها المثل في قصر العمر[3] إذ لم تدم أكثر من سنتين فقط هذه سلطنات ثلاث أسمية بداخل حضرموت لا يمكن أن ننسب هذا الدور إليها كلها فضلاً عن نسبته لواحدة أو اثنتين منها كما لا يمكن نسبته أي من أمارتي آل كساد بالمكلاء وال بريك[4] في الشحر اليافعيتين الساحليتين اللتين ظهرتا واختفتا في القرن الثالث عشر وورثتهما في النهاية السلطنة القعيطية إذ ليس لأي ممن ذكرنا ما للسلطنات السابقة واللاحقة من الاستقرار واتساع الرقعة والهيبة في نفوس القبائل المسلحة فهي وسلاطينها كما قال الشاعر[5]:

---

[1] القبلي نسبة للقبيلة أو للقبائل لأن النسبة إلى الجمع إنما تكون لمفرده و مفرد القبايل قبيلة .

[2] رتبة عسكرية رفيعة في جيش نظام حيد أباد .

[3] يقول المثل الدارج (كما ديولة بن مقيص) للشيء الذي أنتهى بسرعة بينما يرجى دوامه .

[4] بالتصغير وبعضهم نسب آل بريك لغير يافع والمشهور ما ذكرته .

[5] قالهما الشاعر لما رأى إنحلال دولة بني عباد بالأندلس بأشبيلة وهي إحدى الدول العربية المتعددة بها وقد ضعف أمرها حتى انحلت وقد تكلم عن هذه الدويلات الحضرمية وعن بعضها مؤرخون معاصرون بشي من التفصيل والتفخيم والتهويل .

مما يزهدني في ارض اندلس	أسماء معتمد فيها ومعتضد
أسماء مملكة في غير موضعه	كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد

وصحيح أن للقبائل[١] في الأدوار الماضية سلطة قوية ويصدر عنها الظلم والغشم ولكن السلاطين الأوقوياء إذ ذاك يقومون بإخضاعها وتأديبها وكبح جماحها في أكثر الحالات والموقف ، عكس ما يجري في هذا الدور من إستفحال السلطة القبلية وإملاء إرادتها كما تشاء على مما لم يسبق له نظير فهي لا تؤمن بقول الشاعر العربي الحكيم

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم	ولا سراة إذا جعلها لهم سادوا

ولهذا وضعنا عليه اللقب الواقعي الذي ينطبق عليه وهو لقب (الدور القبلي) المحض فقد استرسلت فيه القبائل المسلحة في الحروب والفوضى . كالشنافر ومنهم آل كثير والقبائل اليافعية والنهدية والتميمية والعمودية . وغيرها من القبائل الحضرمية . ومن القبائل البدوية . قبائل الحموم ، والصيعر ، والمناهيل ، والمهرة ، وسيبان[٢] وقبائل قليلة العدد كبيت حموده وبيت زين العلويتين وغيرهما من القبائل البدوية ، وبعض المصادر التاريخية والروايات المتواترة[٣] تقول أن بعض القبائل اليافعية أكثر إمعاناً فيما أشرنا إليه من القبائل الأخرى التي تتفاوت تفاوتاً نسبياً فيه ، وتجد كل قبيلة منقسمة على نفسها إلى فخائذ وأسر تتطاحن وتتصارع داخل مثاويها ومبانيها وتظلم العزل من المواطنين الذين يقيمون بينهم ويسمونهم بالرعايا ظلماً يبلغ بالبعض منهم إلى درجة ترويع النساء والأطفال وبيع الأحرار وإختطافهم ونهب الأموال وقطع الطرق وإتلاف النخيل وقتل الأبرياء[٤] وبالنسبة لكل عشيرة ، وعشيرة أخرى يحدث نفس الشيء تقريباً

---

[١] أصبحت كلمة القبائل تطلق على القبائل المسلحة وهم القطاع القوي المتسلط من قطاعات الشعب وتقابلهم القطاعات الأخرى العزلاء من سادة علويين ومشايخ وعمال وتجار وزراع وصناع وأن شاركهم بعض أفراد القبائل في أعمالهم المهنية كما المحنا إليه في جـ ١ .

[٢] بالسين المهملة وتسكن وادي دوعن .

[٣] انظر تعليقات حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان الجزء٢ تحت عنوان تصحيح وتوضيح ، وتاريخ ابن حميد وابن هاشم وأمالي بعض الشيوخ .

[٤] كل هذا معروف ومتواتر عن الثقات وفي كثير من المصادر كتاريخ ابن حميد بكسر الميم وبن هاشم وغيرهما وفي أمالي كثير من علماء هذا الدور وما بعده كما توجد وثائق افتداءات يكتبها بعض أثرياء

، وكل ينتقم من رعية الآخر فيذوق أولئك الرعاي العُـزَّل ألوانـا مـن الاضـطهاد والـضغط والاستبداد التي لم تنقطع طيلة هذا الدور ولا يكاد يصفو موضع منها إلا إنتقل إلى المواضع الأخرى فالطرق الموصلة بين القرى والمدن والأودية لا تجد فيها إذا زاد إلا وبجنبه خفير ومالك النخيل والزرع الأعزل لا يتمتع بالرطب ولا يأكـل إلا إذا شـاركه القبلـي المـسلح ، وكل من حدثته نفسه منهم بالسطو ، أو الغزو ، نفذ إرادته بدون أن يحسب لغير القوي أي حساب ولا ينجو من الوقوع في جرائمهم إلا من أعتصم بإحدى الحوط[1] أو بوجاهة أحد المعتقدين أو أوى إلى ركن شديد من القبائل فيحميه بخفارة ويسمونـها سـيارة[2] أو بقرابـة أو بصهارة أو لأي مصلحة وقد تحصل تجمعـات غفـيرة علـى الـدوام بمناسـبة تعزيـة أو تـهنئة لبعض الوجهاء أو العلماء أو الزعماء أو بمناسبة الزيارات أو المواسم أو الأعيـاد أو أفراح القنص أو غيرها مما يتكرر على الدوام وفي جميع أنحاء القطر ، ويحـضرها خلـيط من حملة السلاح ومن قبائل مختلفة كما يحضرها أبناء القطاعـات الأخـرى ، هـذه كلـها تحصل كما قلنا ولكنها بإحدى سبل النجاة التي أشرنا إليها الآن ، ومع هذا فقل أن يمـر الإجتماع أو الإحتفال بسلام ، فكثيراً ما يحصل إصطدام بين بعض الأفراد أو سوء تفـاهم يؤدي في النهاية إلى التأهب للقتال فيأخذ كل حذره ويـضع يـده علـى قلبـه مـن الخـوف ويهرب العزل إلى حيث يجدون ملجأ أو مغارات ويترك التجار بضاعتهم ونقودهم بدون حراسـة في الأسـواق ولا تـسمع إلا حركـات البنـادق لتفـتح وتمـلاء بـالخراطيش ، وإلا الصريخ المصطلح عليه للدعوة للحرب والدخول في معركة[3] وعندئذ يقوم أصحاب الوجاهة (النفوذ الروحي) على حد تعـبير الـبعض (المناصـب) فيهـدئون الحالـة ويـصلحون بـين الخصوم حتى تعود المياه إلى مجاريها .

العلويين على القبيلي الذي يسترق العامل أو غيره من العزل أو يختطفه ليبيعه بعد أن يدفع له الثمن ويكتب وتيقة الإفتداء عليه حتى لا يعود مرة أخرى فيسترقه ومن هنا المفتدى وأحفاده إلى خدمة المفتدي وأحفاده شعوراً منهم بفضل الإفتداء المجاني والخلاص على يده من العبودية .

[1] تقدم الكلام عن الحوط بضم وفتح عند الكلام عن المناصب واشتراكيتهم الحقيقية .

[2] بميزان ملاحة وعبادة .

[3] الصريخ المصطلح عليه هو رفع الصوت بكلمة (عيك) مع مد العين المكسورة .

تشريعات القبائل وتقاليدهم

القبولة[1] في إصطلاح أهل هذا العصر مجموعة صفات مختلطة منها الحسن والقبيح وهو الأغلب فهي مزيج من الإباء وحماية الجار والأخذ بالثأر وإغاثة الملهوف وصلابة الرأي ومن الظلم والغشم والإعتداء وبطر الحق والقوة والبطش والحمية الجاهلية ، فتركز هذه الصفات في الذهن عندما يقولون فلان (قبيلي) أي قبلي بقوة السلاح على غيرهم ويسمونها (شرع القبولة) وهي كما يقول عنها العلماء المرشدون من بقايا الجاهلية الرجعية وكان أهلها يعترفون بأنها ضد الشرع الإسلامي وقد لفق معظمها من السوابق ومن نتاج الاجتماعات التي تعقد بينهم برآسة شيوخهم وزعمائهم وبدعوة المناصب وبوساطة السفراء (الدلل) وغيرهم ، ولنذكر أمثلة منها فيما يلي .

من ذلك أنهم لا يقتلون القاتل بعينه وإنما يكتفون بقتل أي من قبيلته ويقولون الطارف غريم أو الطارف ينقي أي ينظف الوجه ويغسل لطخات العار عار التأخر عن الأخذ بالثأر ، وهذا أفحش من عمل الجاهلية فإن أولياء القتيل وأصحاب الدم منهم يحرصون على الأخذ بالثأر من القاتل نفسه مهما أمكن[2] ويستعملون الأزر بشكل غير منتظم وبطريقة تبرز بها أفخاذهم وربما عوراتهم حتى ولو كانت الأزر غالية الثمن أو حريرية أو واسعة .

---

[1] بميزان فعولة بسكون العين وفتح البقية معناها كون الشخص قبلياً أو قبيلياً كما علقنا عليه في الجزء الأول .

[2] تكلم المرشد الكبير العلامة عبد الله بن حسين بن طاهر أحد العبادلة الآتي ذكرهم وشقيق الإمام طاهر بن حسين الآتي ذكره عن هذا وأمثاله من الأغلاط القبلية في رسالته المسماة إرشاد العاقل من القبائل وفي مطبوعة ضمن مجموعه الشهير ، وقد شاهدناهم يعملون بما ذكرنا من عهد غير بعيد فلم يفد فيهم نصح ولا وعظ واعظ .

الشائم والشراحة

وهما من تشريعاتهم والشايم هو المقدار الذي يأخذه القبيلي من ملاك النخيل أو غيرها كرها وغالباً يكون مقدار عشر الحاصل أو نصف عشره والشراحة هي الحراسة والسلطة على المال في المنطقة المختصة بالقبيلة وينتقي الشارح التمر الممتاز وقد يزيده كما يشاء وبالطريقة التي يريدها ويفرضه على كبار الملاك وصغارهم من الكادحين والفلاحين الذين ينمون النخيل والزروع من عرق جباهم وكد أعصابهم وكثيرا ما يطرد المالك من تحت نخلته اليانع ثمرها وهو يتضور جوعاً إذا شاء القبيلي ذلك وأضافوا إليه شيئاً اسمه الباطل ، وهم يعترفون بإنه حتى على إصطلاحهم باطل ، يضاف إليه باطل الباطل عندهم مما وصل به إلى هذا الدرك ، وقد يبيع القبيلي على المالك الأعزل الشايم وحتى الباطل فيأخذه المالك طوعاً أو كرهاً ولا يلبث يسيراً حتى لا يساوي عند القبيلي قيمة القصاصة التي كتب عليها فيلغيه بعد أن يقيض ثمنه ويستأنف ظلمه مرة أخرى[1]

الدماء المهدرة

ودماء وحقوق أفراد القطاعات الشعبية العزل كلها مهدرة إذا أصيبت من قبيلي وتسمى عندهم (فرث) وليست لبناً خالصاً ولا دماً غالياً ، وقد يحدث أحياناً أن يقتل قبيلي رعوياً لقبيلة أخرى أو ينهبه فتقتل رعوياً آخر لقبيلة الجاني جزاء وفاقاً[2] والقبيلي يشبه في إصطلاحهم بالحجر الصلب الشديد وغيره بالمدرة التي تتفتت بسهولة وتذوب عندما يلامسها الماء لأنه أعزل ولا شيء يحميه وانشد لسان حالهم بيت زهير

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه	يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

[1] أفتى العلماء بحرمة هذا الشايم من أصل وضعه فكيف ببيعه أو بيع ما هو أشد منه وهو الباطل توجد مئات الوثائق القديمة أو القريبة العهد بهذا الصدد إلى أن ألغي كما سيأتي .

[2] كثيراً ما يحدث هذا في تاربة موطن فخائذ قبيلة العوامر وإلى وقت قريب ومن أفضع ما حدث ولعله آخر ما حدث أن عامرياً قتل الصدر السيد أبا بكر (عدني) العيدروس ليلة سبع عشر من رمضان سنة ١٣٥٩هـ وهو بجنب قبلة مسجد الجامع بتاربة بعدما فرغ الناس من الصلاة وهو يذكر الله والمسجد غاص بأهله وفيهم كثير من العوامر فسدد بندقيته وأطلق الرصاص على السيد فأرداه قتيلاً وخرج يتخطر من المسجد ولم يتحرك أحد من الفخائذ العامرية ضده ولم يعلم أي سبب يدعو لهذا (الحادث الفظيع) .

وهناك أرش معروف وثمن مقرر لكل حيوان لقبيلي يتلفه قبيلي آخر كالكلب مثلاً قيمته خمسة ريالات نساوية .

البشعة

وهي حديدة عليها رموز منقوشة أشبه بالطلاسم تحمي بالنار وتوضع على لسان المتهم فإن أحرقته ادين وإلا فلا والغريب أنهم يؤكدون بإنها لا تخطيء أبداً بينما رجال الشرع والفضل يستبشعونها ولعلها سميت بهذا الاسم لاستبشاع هؤلاء الآخرين لها ، وعملية البشعة يقوم بها حكم معروف من بعض أفخاذ القبائل كآل عبد الودود الكثيرين يتوارثونها واحداً بعد واحد وقد ينقل على حساب طالبها إلى المحل الذي وقعت فيه الجناية لمعرفة المتهم بها .

حرمان النساء من الإرث

ومنهم من يحرمونهن من الإرث كلية أو من السلاح والديار بدون تعويض[1] لئلا يتدخل في شؤنهم أجنبي عنهم بواسطتها ـ فيما يقولون .

اللوم والشوم

وهناك تقاليد مرعبة بينهم وفيها شهامة وتتلخص في الإحترام المتبادل بينهم فلا يخفر القبيلي ذمة القبيلي وإذا حضر مجلساً فلا يمكن قبيلياً آخر من بسط يده على من دونه لأنه لوم وشوم على الحاضر بدون أن يبدو عرق الغضب في جبينه وتفور دماء القبولة في جسده كما أن القبيلي إذا صادف هجوماً على قبيلة أجنبية وهو عندها فإنه يغيب شمس يومه وهو يناضل ويقاتل .

[1] أما تخصيص البنات بالحلي ذهباً وغيره مع سكنى لهن في الدار طول عمرهن والدار للذكور فهو معمول بع أحياناً بين المواطنين مع مراعاة النساوي بحيث لا يحرم أحد قدر ميراثه .

الصباح والبادي والتعاشير

وهذه من تقاليدهم التي تقع دوماً فالصباح بكسر الصاد عندهم تصبح القبيلة تحت قصر أي شخصية سياسية أو حربية بارزة فتطلق بنادقها في الهواء إيذاناً بوجودها ثم تفاتحها في أي حق تطلبه حتى ينتهوا إلى حسم الموضوع بحرب أو سلم والبادي هو المقابلة بالبندقيات في ميدان القتال سواء كان وجهاً لوجه أو من وراء جدر أو في قرى محصنة وهو الغالب في الأزمنة الأخيرة والتعاشير في إطلاق عشرات البندقيات غالباً ومن عشرات الرجال غالباً ولعلها مأخوذة من هذا في المناسبات من أفراح وأتراح كالتهاني على إختلاف أنواعها والتعازي .

ولهم تقاليد حول الصلح والهدنة (العرضة) من تعداد القتلى والمقابلة بين عددي القتلى من القبيلتين ومن زادت قتلاها يطلب خصمها منها الصلح ثم يجددونه وقل أن يرضى أحد بأخذ دية أو مال في قتيله ولو كان خطأ .

المبدا بالوجه

ومعناه أنه إذا أراد فرد أو قبيلة حماية شيء ما أو شخص ما وإدخاله في حماه وأمانه فإنه يرفع سبابته ويضعها على جبينه ويقول في وجهي أو بديت لك بوجهي وإذا اخترق أحد ذمته فيما بدا به فأن وجه البادي ملطخ بالسواد ولا يغسل عاره إلا الدم والإنتقام والوفاء لغريمه والرباعة من هذا النوع .

العربون

والعربون هو أن تضع القبيلة أو الفرد منها سلاحاً أو أسلحة لدى الحكم أو المنصب أو أي وسيط بينهما وبين خصمهما عن طلب المحاكمة كضمان لإستعدادها لقبول الحق لها وعليها عند المحاكمة ويتوقف النزاع ولا يعاد العربون لصاحبه إلا بعد تنفيذ الحكم أما إذا لم يرضو بدفع العربون فمعناه أن الجو لا يزال مكفهراً ولم تعد المياه إلى مجاريها بين المتنازعين .

الوثور

جمع وثر[١] وهو الحجة التي يكتبونها في امورهم الهامة من تحالف وحماية ورعاية وغيرها وله لغة خاصة[٢] .

والكلام يطول حول هذه التقاليد والتشريعات التي يرجع الكثير منها إلى القرون السالفة ومنها ما هو من رواسب العصر الجاهلي ومعظمها مسجل في مضامين وفي تأليف بلغني بالتواتر عن ثقات شيوخ القبائل وغيرهم أنه يدعى (المنع) ضد حكم الشرع وهو اسم مرير ولا يعرف مصنفه بالضبط ولا توجد منه اليوم نسخ في محل معروف ، نعم بلغني وجود نسخة بقسم عليها عنده اليوم ويقال أن نسخة منه أيضاً كانت توجد في مكتبة السيد العلامة الكبير أحمد بن حسن العطاس ولكنها فقدت وبلغني أنه بيع أيام المجاعة الأخيرة سنة ١٣٦٠هـ على بعض المستشرقين بثمن مغري وقتها ، وغفل البائع عن نسخه وأن ليس كله كما وصفوا بل فيه أيضاً تقاليد قبلية حميدة يدلل لها صاحبه من الكتاب والسنة وأمجاد العرب[٣] .

الحكم والمقدم

وترجع القبائل في نزاعها إلى الحكم أو المقدم ويجمع الأول على حكام ويسمونهم حكمان والثاني على مقادمة وهؤلاء معروفون بينهم بفض النزاعات وبالحكم في الدعاوى على أساس تلك التشريعات والمصطلحات أو السنن والسوارح كما يسمونها هم ومن أبرزهم الحكمان النهديون بقعوضة والحكومة[٤] فيهم قديمة ترجع إلى ما قبل القرن الحادي عشر الهجري وإلى مقدم آل تميم ابن يماني بقسم الذي أسلفنا ذكر آبائه

---

[١] وهو فصيح ومأخوذ من الوتر وهو قطعة الأديم التي كان يكتب في الأصل عليها أو من التوطئة .

[٢] غالباً ما تكون بهذا الاسم . الحمد لله بتاريخ .... شلوا وتحملوا وبدو بوجوههم مبدا قبوله هم وأولادهم أبدا ما تناسلوا حتى يشيب الغراب ويفنى التراب على أن يقوموا بـ .... الخ ؟

[٣] بهذا أخبرني الشيخ فضل بن محمد بافضل كشاهد عيان لما سقته إلا أنه لم يذكر اسم المصنف وأما المشتري هو ربيبي سرجنت وأما الثمن فمائة روبية هندية وهذا قليل من كثير يأخذه المستشرقون من تراثنا في فرص كهذه ويمكن الجمع بين هذا وبين ما هو متواتر مما أشرت إليه بأن المنع اسم لكتب عده أو بأنه أجزاء لان مجال القول ذو سعة .

[٤] الحكومة بمعنى الحكم والتحاكم وعبرنا بها لأن العرب القدماء يخصونها في هذا الشأن .

السلاطين آل يماني وإلى ابن قطامي من قبيلة آل باجري[1] ببور وإلى آخرين من عراف وشيوخ القبائل البدوية والحضرمية الأخرى التي تختلف أحياناً تفصيلات تشريعاتها وأنظمتها القبلية شأن القبائل العربية في الوطن العربي الكبير وقد ألمحت في الجزء الأول عند الكلام عن الأزياء في العهد الراشدي إلى أن للقبائل أوضاعهم الخاصة في كيفية تقلد البندقيات والجنابي والخناجر والرماح في غير وقت الإستعداد للحرب وفي من ضمن تقاليدهم القبيلية المعروفة إلى ما هنالك من كلام عن تلك الأسلحة وما أصل بها والبدو مولعون بإستعمال النيلة في مقابض أسلحتهم وفي ثيابهم أكثر من نساء القبائل من تشارك مشاركة فعلية في جميع ما مر بل فيهن من فاقت كثيراً من الرجال في الشجاعة والسياسة والحكم والحصافة من عموديات[2] ويافعيات ومن أبرزهن عزيزة صلاحة زوجة عبد الله عوض غرامة أم أبنه عبد القوي تلك التي قامت بدور كبير في الدفاع عن تريم وباشرت الحرب فيما بعد ضد أل كثير ولها مواقف بطولية غريبة ومن قبليات أهر لم نطل بذكرهن .

ومع ما سقناه عن الحياة القبلية المتعبة فإن في رجال القبائل شخصيات ساخطة على هذه الأوضاع والتقاليد الرعناء وتود لو تقضي عليها ولكن لايطاع لقصير أمر[3] كما أن فيهم ـ وإن كان نادراً ـ من عرف بالإستقامة والعلم والخير والإنصياع لتعاليم المرشدين والوعاظ والعلماء من العلويين وغيرهم من مشايخ العلم وربما جاروا اخوانهم في تقلد السلاح للدفاع عن النفس وهناك نوع من القبائل افنتهم الحرب فاضطرتهم الظروف الخانقة وقلة العدد إلى الإلتحاق بالعزل وإلى التمشيخ فألقوا السلاح وغضوا الطرف عما يرى في ذلك الإلتحاق عليهم من غضاضة حتى أصبحوا نسياً منساً[4]

---

[1] بكسر الجيم وفتح الراء ولعله في الأصل بضم الجيم تصغير جرو بثلثيها ولد الكلب والأسد والعرب تمسي كلباً وكلاباً ومن الحضارم من يطلقون جرو وأمثاله على الطفل ثم يستمر علماً عليه .
[2] تلكم في الشامل عرضا على البعض منهن كما تكلم هو وغيره عن غيرهن .
[3] مثل يضرب لمن لا تسمع نصيحته وهو من أمثال قصة الزباء مع عمروا ابن هند الشهيرة .
[4] وقد ألمحنا إلى ذلك في الجزء الأول .

القنص أو القنيص

والقنص أو القنيص من أهم ما شغل به القبائل وأبناء الحارات أوقاتهم وأفكارهم وهو في نفس الوقت الرياضة الكبرى بحضرموت وله أنظمة وقوانين غريبة ومقدسة عند أربابه هي على شاكلة النظم القبلية أو متفرعة عنها وبلغ من تقديسهم للقنص أن الفرد من العامة (الغوغاء) يحلف بالله ولا يبالي بيمينه ولكن يأبى أن يحلف بالقنيص وإذا أضطر إلى الحلف به فإنه ينفي بيمينه ولا يحنث لأنه يعتقد أن حلفه ينتج تخلف الاصطياد في القنص .

والحضارم منذ العهد الحميري يكبرون الوعل وقد وجد بعض السواح الأجانب أحجارا[١] في شرق حضرموت وربما كانت قرب شعب هود عليها كتابة بالمسند على تقديسه وعلى أنها من آثار ذلك العهد وأستمر عبر التاريخ تعظيم الوعل والإحتفال بإصطياده إلى اليوم إلا أنه في هذا الدور الذي نتكلم عنه قد حظي بالنصيب الأوفر من الإهتمام والإستحواذ على العقول حيث يعلن عن أوقات الصيد ومحاله وحدوده والفرقة التي تقوم به ويقيمون عشرات الأيام في الجبال والثنايا التي ترعى فيها الوعول ويرسلون البشير عند عودتهم ويحملون رؤس الأوعال ويدخلون المدن والقرى في زجل وأناشيد (زوامل)[٢] ويطلقون الرصاص وتزغرد النساء ويتبارى الشعراء بأشعارهم الدراجة الشعبية التي تتضمن الوصف الدقيق لسمات الوعل وعدد عجر قرنيه وكلما زادت في العدد كلما كان أعجب للنفوس عندهم ويذكرون ميزان ظلفه وربما تعزلوا فيه من شدة حبهم له ويخلعون عليه ألقاباً خاصة مثل المحجر والغصيني[٣] وليجان ويمدحون الرماة الصيادين وحملة الشباك ورؤساء القنص ويسمرون ليلة وصولهم من القنص ويبيتون طول الليل فيما ذكرناه ويقوم

[١] ربما أخذها ذلك البعض كما أخذ هو وغيره كنوزا أثرية ببلدنا حيث لا حسيب ولا رقيب وبلغني من الثقات أن بعض الأغنياء الأغبياء يتودد إلى الأجانب والمستشرقين بما حصل عليه من قطع أثرية وأخيراً أسست الحكومتان المحليتان قانوناً لحماية الآثار ولكن أين التطبيق ؟ والبعض يبيعها بالثمن البخس وعلى من لا يستحقها .

[٢] جمع زامل وهو تصويت القبائل بالشعر حين يحفون أو يتوجهون أثناء سيرهم القبلي في أفراحهم حتى يصلوا مقصدهم وتتخلله الطلقات النارية وقد تقع فيه مبارات شعرية أرتجالية وهو نوع من أنواع الشعر الدارج الحضرمي .

[٣] المحجر اسم مفعول بتشديد الجيم والغصيني مصغر .

الحاضرون متناوبين مثنى مثنى أو أكثر وكل يحمل في يده خنجراً أو جنبية أو شفرة ويدور بها بين الحاضرين تبعاً لإيقاع المغني الذي يغنيهم بقصائد القنص المتنوعة وتفتح غالباً بني مغراه[1] ويختص بموضوع القنص نحو ثلث الشعر الدارج الشعبي كما تفتتح بقية ضروبه المتعددة غالباً بذكر سور القرآن أو بوصف الطرق التي يسلكها رسول الشاعر إلى من قيلت فيه القصيدة أو يتغزل[2] والقنص بالصورة التي أشرنا إليها محل نقد رجال الإصلاح والعلماء والمرشدين لما فيه من مضيعة للوقت في لهو وترك للصلوات وإنتهاك للحرمات ولأضرار اقتصادية واجتماعية أخرى ولكنهم لم يستطيعوا إبطاله أو تخفيفه أو تهذيبه إلا بعد تأسيس السلطنة الكثيرية الأخيرة سلطنة آل عبدالله[3] الآتي ذكرها فقد أشار إليهم العلامة الكبير الحسن بن صالح البحر وغيره من كبار المصلحين بإلغائه فأثار هذا سخط المولعين بالقنص وأربابه ممن ينطبق عليهم قول العلامة الكبير عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه المتوفى سنة ١١٦٣هـ في رائيته بقوله

فوا عجباً من كون كل قبيلة	تشدد حكم الجاهلية والكفر
ومن كون أرباب القنيص وزمرة الـ	ـعبيد لهم حكم يمشي بلا نكر

إحصاء مختص بالقبائل

لا يوجد فيما مضى إحصاء مضبوط بأسماء العشائر والقبائل والفخائذ وأفرادهم ومقادمتهم وأماكنهم (مثاويهم) وأموالهم وإنما قام بعض المختصين الحكوميين بشئون البادية قبل عشرين عاماً قام بإحصاء فيما ذكرته ـ وهو تقريبي ـ ولكنه مفيد ومبني على معلومات قيمة وقد رأيت إن اثبت معظمه هنا كما يأتي وذلك لارتباطه بهذا الدور القبلي

[1] مغراه اسم للكلب أو للكلبة التي تغري على الاصطياد كما يقول بعض الشيوخ وكلاب الصيد يعنى بها وتدرب وتغذى بغذاء جيد لتتمكن من الجري وإمساك الصيد .

[2] انك حين تطالع دواوين الشعراء الشعبيين الكثيرة من لدن الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة الصوفي الكبير إلى عصرنا هذا ومنها المطبوع كديوان (خو علوي) الشاعر المتغزل زين ابن العلامة الكبير عبد الله بن علوي الحداد وكديوان الشاعر عبد الحق المتعاطف مع قبيلة أل سلمة التميميين ومنها المخطوط وهي المعظم كديوان الشاعر المطبوع عبد القادر بن شيبان التميمي الملقب الشعيرة ولعله أبلغ شاعر شعبي في المتأخرين أنك حين تطالع تلك تجد في طياتها كل ما تجده في الشعر الفصيح وزيادة على ذلك فهي تعبر عن أحاسيس الشعب الحقيقية ونفسيته كما سنعلق على ذلك في المناسبات .

[3] بفتح الدال وقصر اللام كما ينطق بذلك بعض من يسميها بهذا وسيأتي الكلام عنها .

مع العلم بأن هؤلاء القبائل المسلحين فيه مختلفون اختلافا كبيراً عن آبائهم الذين تكلمت عن تاريخ حياتهم الاجتماعية في هذا الدور القبلي وعما كانوا يحترفونه فيه وذلك بفضل استتباب الأمن ونتيجة للتطور الذي طرأ على هذا العصر كما وأن عددهم قد زاد في الأكثر ونقص في الأقل .

الفصل الأول

بني ظنة ـ الدولة القعيطية

١) عصبة بمني ظنة من العصب القديمة الموجودة بحضرموت ومن المعتقد أنها أصلاً نزحت من منطقة مسقط وظفار أن أقدم قبيلة نشأت من هذه العصبة آل تميم وهذه سكنت في وادي المسيلة (أسفل حضرموت) بين باعلال ودمون وسناء ورئاسة القبيلة بالوراثة لاين يماني الذي يقطن في قسم وله الزعامة على بني ظنة على بني ظنة يلي أدناه اقسام العصبة .

٢) آل تميم وتفرع منهم ـ المعارة ـ روح

٣) السيفان وتفرع منهم المناهيل ، السماحين ، البواقي ، نعين .

٤) آل تميم استقرت الآن قبيلة آل تميم استقراراً تاماً وأخذ أفرادها يهاجرون بكثرة إلى ممباسا ويسكن عدد كبير منهم في الساحل بمدينة الديس الحامي حيث نزحوا إليها أيام الحرب التي استعرت أوارها بينهم والمناهيل في عام ١٩٢٠م .

٥) وتتألف القبيلة من الأقسام التالية

آل بن يماني آل بن قفلة آل عثمان آل عبد الشيخ آل سعيد آل جعفر أل سلمة أل شملان آل سعد آل مرساف آل القراصة آل هندي آل شيبان آل محمد آل كذب آل قصير آل عودة .

٦) يبلغ عدد أفراد هذه القبيلة بين الستمائة والثمانمائة شخص[١]

٧) المعارة كان المعاريون في الأصل يعيشون بين الفبيلة التي انحدروا منها وهي قبيلة آل تميم بوادي المسيلة الآن فيها مسجد يعرف بمسجد المعارة منذ سنين رحل المعاريون إلى

---

[١] لعله يقصد المسلحين منهم وهكذا فيمن سيأتي .

النجد الذي استقروا فيه حيث اطلق اسم ريدة المعارة وهي واقعة بين ريدة الجوهيين (سيبان) والحموم ويملك الكثير منهم نخلاً في غيل بن يمين والمعارة وهو الآن أكثر احتكاكاً بالقبائل التي أشرنا إليها من العصبة التي انحدروا منها .

أدناه الأقسام الرئيسية فيها :

بيت شحيم آل بن بسوط آل باحسين

من نهد آل بن واهب آل باعقبان

من سيبان آل بن حتيش آل بن جراح

آل بلحيق آل بن لحول

آل بن تابت وهؤلاء أصلاً نزحوا

آل بن يعمر وهؤلاء أيضاً نزحوا

آل بن تريس

آل الفرخ

٩) وعلى العموم فإن المعاريون لم يعرفوا الهجرة كثيراً وقد كانوا في الغالب جمالين يختلفون بين حضرموت الداخل والمكلا والشحر ويبلغ عددهم على وجه التقريب ستمائة شخص .

١٠) روح ، تسكن قبيلة روح في النصف الأسفل من وادي رخية قرب قعوضة بن آل بلعبيد ونهد فبعدوا بذلك عن العصبة التي انحدروا منها , وذلك قبل أن يرحل المعاريون إلى حيث هم الآن وهم في الواقع قبيلة أستقر أفرادها مع قليل من القبائل الشبه الرحل التي تعيش في الصحراء .

١١) وأقسامها كما يلي (١) آل بن حيدرة ويتفرع منهم (٢) الشحابلة ويفرع منهم آل غانم آل قصير آل مظفر آل خرشان .

١٢) وقد هاجر منهم إلى جاوة ومنباسا وألتحق عدد لا يستهان به في الجيش الغير نظامي بحيدر أباد سابقاً وتقدر قوتهم في المنطقة ما بين الخمسين والسبعين على الأرجح .

١٣) النماهل قبيلة المناهيل هي إحدى القبائل الأكثر إنتشاراً وتقطن منطقة تمتد ما بين الصحراء الشمالية (منطقة ثمود) والساحل (المنطقة الشرقية بين المصنعة وريدة بن عبد الودود) .

١٤) ويتألف منهم الشبه الرحل وهؤلاء في الجبال والرحل وهم بالصحراء وتشمل البعض منهم كلتا الحالتين وهذه القبائل التي تعيش في الصحراء هي من بقايا البدو والرحل التي لا تزال تعيش في المحمية الشرقية ولم تتخذ لها مقراً أو نخيلاً أو أراضي .

١٥) وتتألف من الأقسام التالية

بيت كزيم وتفرع منهم بيت المعشني وتفرع منهم بيت غانم بيت الحمادي بيت البواقي بيت قرير بيت بركات بيت البطين بيت تمامبيت بتين بيت لشدق بيت حميد بيت عشاني بيت القرانصة بيت جماله بيت حشحوش بيت سالمين بيتت البقية بيت الرهوه بيت مسلم بيت عويضان .

١٦) وهي في الغالب قبيلة مشهورة بتربية الجمال الجيدة والأغنام ما عدى أولئك الذين في الساحل المسمون بصيادي السمك وعدد منهم انضم إلى القوات المسلحة.

١٧) ورحل معظم هذه الأقسام بالقرب من الكويت واعترف بتبعيتها للسعوديين وتقدر قوتهم على وجه التقريب ما بين الثمانمائة والألف شخص .

١٨) السماحين ، هؤلاء أقرب إلى المناهيل من حيث العلاقة وذلك بحكم معيشتهم في وادي شرخاوي في وسط المناهيل من الناحية الجنوبية والحموم وهذا الوادي ينتهي طرفه إلى البحر بالقرب من المصينعة .

١٩) وأقسامهم كما يلي : بيت الرقاع ، بيت الرميدي ، بيت الخضيرة .

٢٠) ويبلغ عددهم المأتي شخص تقريباً .

٢١) البواقي ، قسم صغير يتراوح عددهم ما بين العشرين والثلاثين يقطنون بالقرب من سنا شرق قبر نبي الله هود وهم أكثر اتصالاً بالمناهيل .

٢٢) ثعين ، منهم المستقرون ومنهم الرحل يعيشون بين المناهيل والحموم في المصينعة من الجهة الجنوبية التي تمتد إلى الساحل . فيما يلي أقسامهم

آل جرير ـ آل عدلي ـ بيت قديم ـ بيت نمور ـ بيت حمدان ـ بيت البسيري ـ بيت عسانة ـ بيت تراد ـ بيت غتنين ـ بيت العمق ـ بيت النحتيين .

الفصل الثاني

الحمُوم ـ الدولة القعيطية

هذه العصبة من العصب الكبيرة بمحمية عدن الشرقية وهي تتكون من قبائل مستقرة وبادية وأكثرهم يعيش في الجبال في المنطقة الواقعة جنوب وادي المسيلة إلى جهة البحر يحدهم شرقاً المهرة وغرباً الطريق الشرقية التي يردونها الشحر وسائر المدن الساحلية الشرقية .

يعتمدون في معيشتهم على نقل الجمال وإمتلاك النخيل وأعمال البحر وقطعان الأغنام والإلتحاق بالقوات المسلحة وبالنسبة للبحسن التامبول فهؤلاء عنوا بزراعة التامبول وهم المصدرون الوحيدون للتمبول في المحمية يهاجر البعض منهم غالباً إلى عدن والصومال والحجاز ، أكثر قسم في القبيلة هم بيت عجيل وهو يكون الثلث ويأتي بعده قسم بيت عبيد وبيت القرزات يبلغ مجموع الحموم حوالي ٩٠٠٠ شخص وفيما يلي أقسامهم :

بيت علي : يسكنون الواسط بلواء الشحر ومرتفعات غيل بيت قحطان ، الدولة العربية ، بني أحمد .

بيت شنين : يسكنون مرتفعات غيل بن يمين الشرقية والساحل .

بيت سالمين : يسكنون منطقة قصيعر بلواء الشحر بيت عوامر ، بيت محمود

بيت غراب : يسكنون الديس بلواء الشحر بيت بلقري بيت غصيم بيت تيس

بيت القرزات : يسكنون منطقة غيل بن يمين بيت الشراخيم بيت شظيان بيت قويدر.

آل باحسين : يسكنون المعدي والحلي ، الباحسن التامبول البازميري .

بيت بارطاس آ ل بن شيخة بيت قرزي بيت باشيبة بيت عبيد يسكنون الواسط بلواء الشحر .

بيت النعوم ، آل علي ، بيت طرموم ، بيت خرش ، المساميت ، بيت ذيب ، بيت عيسى ، بيت عمرين ، بيت سوني ، بيت سلاطة ، بيت الحميقي ، بيت عنجيل ، بيت الغدرة ، بيت الصحابة .

الجامعة : يسكنون منطقة قصيعر بلواء الشحر ، بيت قتيب .

بيت سعيد : يسكنون الواسط بلواء الشحر ، بيت زين ، بيت السماسيح .

الفصل الثالث

سيبان ـ الدولة القعيطية

١) تعتبر من العصب الكبيرة وتتألف من أجزاء كل مستقل عن الآخر .

٢) يعتمد أفرادها في معيشتهم على النقل على الجمال والزراعة والتجارة ويهاجر البعض منهم إلى الخارج كما يلتحق البعض منهم بالقوات المسلحة .

٣) تتكون العصبة من حضر وبادية ، مستقرة وشبه مستقرة ورحل .

٤) تقطن أقسامها في لواء دوعن ولواء المكلا ولواء حجر ولواء الشحر ويبلغ عدد أفرادها نحو إثني عشر ألف شخص وفيما يلي أقسامها .

المراشدة : بين الجبال إلى نجد آل باضروس البا كردس آل باصريح البابيتر .

بني حسن : من بين الجبال إلى الساحل نواحي بروم آل خميس آل با حنحن البا ضلاع البا عبدالرحيم (باحاج) البارعيدة .

السلاطين : وادي حمم

آل باعوض : آل بيت الشماسة آل البابهيش بامهدي .

الخامعة : كورسيبان من بين الجبال الباصرة الباقديم الباسلوم البارشيد الباصقع القشم البامغرومة البامقدم البني على بن مسلم .

المحمدين : يسكنون بين فوه وبروم .

الجوهيين : ريدة الجوهين البارميدي آل عوض آل بن صائب آل سدف آلبا كميش .

العصارنة : من الريدة وغيل باوزير .

الحالكة : وادي ليسر آل بلحمر آل بانخر آل بلغيث آل بلسعدة الخنابشة (دوعن) آل باجعيفر آل الحيق (الحيق) آل بقشان .

السموح

الغويثي ، جهضمي ، آل باوسيم ، البا جبل ، آل بن عكش الشعاملة : غيل باوزير ، بابطين ، ليشولي ، غيل باوزير ، بامنصور ، آل الحيق .

ملحوظة : ١) الباحاج أصلاً نزحوا من بلاد الواحدي مشايخ حبان .

٢) آل سدف أصلاً من كندة ، الحامدين (حيومه) ، القثم (السوط) .

الفصل الرابع

الصيعر ـ الدولة القعيطية

١) تنحدر هذه القبيلة من كندة ويتكون مجموعها من قبائل مستقرة وقبائل تسكن في المنطقة المسماة بريدة الصيعر ووداي سر والمرتفعات الشمالية والصحارى ما بين الريان (غربي العبر) ووادي حزر .

٢) يعتمد أفرادها في معيشتهم على الزراعة المطرية وتربية الجمال والماشية يهاجر البعض منهم إلى الخارج ويلتحق البعض منهم بالقوات المسلحة سوقهم التقليدية شبام.

٣) تنقسم القبيلة إلى قسمين رئيسيين هما آل محمد بليث وآل علي بليث مع الأقسام القاطنة في أسفل وادي دوعن وهم آل قصير ، وآل محفوظ .

٤) تقع منطقة آل محمد بليث في مخرج ريدة الصيعر وأما آل علي بليث فهم في المنطقة الواقعة شرق ريدة الصيعر يفصلهم الخط المسمى بالحومرة ، يبلغ عدد أفراد القبيلة حوالي ثلاثة آلاف شخص وفيما يلي أقسامهم :

آ ل محمد بليث : آل حاتم ريدة الصيعر آل جربوع آل عمرو آل دحيان آل الدلخ الدعالجة آل خويلان (رحل) .

آل خشيشة : آل عبد الله بن عون أكثرهم رحل ، العساكرة ، العبيدون ، آل فرج ، سكان ريدة الصيعر .

آل عون : آل ملهي آل معروف يسكنون الريغدة آل ثويت آل علي (رحل بين زمخ ومنوخ) والشرورة وحزر والعبر .

آل شملان : آل عون بن كندش آل حتيش ، سيبلي (يسكن البعض ريدة الصيعر وبادية رحل) آل فروان يسكنون أسفل قاع الفضول ريدة الصيعر ، آل رميدان ، المواشحة ، العدانة ، آل هذال ، آل الورد .

آل صليع : يسكنون في بطن ريدة الصيعر

الفصل الخامس

(نهـد) – الدولة القعيطية

تعتبر هذه القبيلة من أقدم القبائل التي نزحت إلى حضرموت بعد غزوات آل كثير[1] و يقال أنها نزحت من اليمن بمغازة المحمية الغربية و بلاد الواحدي.

و تتألف من قبائل مستقرة و قليل منهم بادية رحل تعيش في الصحراء و تقطن المستقرة المنطقة التي تبدأ من غربي القطن و تنتهي بأسفل وادي دوعن و هنين ، و يسكن أفراد منهم في منطقة عياد بالدولة الواحدية (المرادعة).

٣) يعتمد الأفراد في معيشتهم على التجارة ، و الزراعة ، و الهجرة إلى الخارج يوجد بالقبيلة زعيمان بالوراثة هما. بن عجاج ، و بن ثابت[2] و قد كانت و ما زالت معالجة بعض القضايا بين القبائل بالاختيار تعالج لدى الحكمان ، بموجب عادات و سوالف القبائل.

٤) يبلغ عدد أفراد القبيلة حوالي ألف و خمسمائة شخص.

فيما يلي أقسام القبيلة :

---

(١) و قبلها .
(٢) و بن نهيد أيضا ، و بذياب كذلك كما في القسم المختص بالمقادمة من هذا التقرير

روضان الظلفان يزيد اليمنة ال رباع ال بدر المقاريم آل جبل آل سلمان آل ثابت آل سيف آل شبيب آل خيقان آل عجاج المرادعة الحمظان آل مهنا آل بشر الرويمي بن كرشان آل الزروع الشراشرة آل منيف آل البقري آل عبد الله آل حويلان آل معيزع آل نهيد آل فارس الشرفان بذياب آل بهيان القازين.

الفصل السادس

الدين – الدولة القعيطية

إن هذه العصبة تتألف من ثلاثة أصول . كندة ، وحمير ، و اجاردة ، و من وقت ما كانت تربطهم أواصر قربى بالمصاهرة.

٢) يقطنون في منطقة المسماة ريدة الدين من المرتفعات بين وادي عمد و وادي دوعن.

٣) يعتمدون في معيشتهم على النخيل الذين يمتلكونه في وادي حجر ، و الزراعة المطرية ، و يلتحق بعضهم بالقوات المسلحة ، وقبل سقوط حيدراباد كان يوجد منهم في جندية حيدراباد.

٤) الزعامة بالوراثة لبا مسدوس ، و الحكم الجزئي وراثيا لبا حنحن ، و هو المشروع و المرجع فيما يتعلق بالقضايا الزراعية في المنطقة اختياريا ، و يعرف بحاكم الشروج.

٥) و يبلغ عدد أفراد القبيلة حوالي ألف و خمسمائة شخص و فيما يلي أقسامهم:

الجريدي	كندة	الحميري
البا مسدوس	الياس	آل سويدان
آل با حنحن	البا يومين	الابارقة
البلقاري		البامعين
الباسلم		

الفصل السابع

(آل ذييب) – الدولة القعيطية

يتألف القسم الخاص بذييب سعد للدولة القعيطية من قسم من النعمان و بلعبيد ، و تسكن هذه الاقسام في مرتفعات وادي رخية و عرما و العبر و شبوة ، و تتألف من قبائل مستقرة و بادية تعيش في رملة السبعتين بين عساكر و شبوة و يعتمدون على الزراعة المطرية و البقول و تربية الجمال و الأغنام مع قلة تتاجر بالملح ، و يلتحق البعض بالقوات المسلحة ، فيما يلي القبائل و الفروع :

نعمان ،

آل علي ،

آل صميدع يسكنون في رخية و يبلغ عددهم حوالي ١٥٠٠ شخص .

آلبا تيس ،

بلعبيد ،

آل سلم يسكنون رخية ،   آل هميم يسكنون صوت بلعبيد ،

آل باهيصمي يسكنون صوت بلعبيد ، آل با ضفر يسكنون صوت بلعبيد ،

آلبا جعيم يسكنون صوت بلعبيد ، الباسلوم (اصلا من سيبان) يسكنون صوت بلعبيد ،

بن مكسر يسكنون صوت بلعبيد ، آل بادعام يسكنون صوت بلعبيد ،

آلبا جحاو يسكنون صوت بلعبيد ، آل عبد الله يسكنون صوت بلعبيد ،

البا حميد يسكنون في أعالي وديان عرما آل با دخن يسكنون في حكنة بادخن

آل باكرش يسكنون صوت بلعبيد ، البا دهري يسكنون صوت بلعبيد ،

البا يوسف يسكنون صوت بلعبيد ، البا حف يسكنون صوت بلعبيد ،

الباوهال يسكنون صوت بلعبيد ، آل با جيان

آل حيدرة يسكنون في دهر ، الكرب يسكنون عرما شبوة عساكر . الرملة ،

المشايعة يسكنون عرما شبوة عساكر . الرملة ، آل عمرو يسكنون عرما ،

آل بن عمرو يسكنون عرما ، الكرب آل حسن آل فرج آل الشكل

آل حيران آل القطعة آل سفر آل عويرة آل قطيان العسمان

آل الصقع آل زيد آل جعم يسكنون صوت بلعبيد ،

آل با عاني يسكنون صوت بلعبيد ، البا شجير يسكنون صوت بلعبيد ،

البا عقل يسكنون صوت بلعبيد ، البا مزعب يسكنون صوت بلعبيد ،

البا شية يسكنون صوت بلعبيد ، آل بلعبيد آل ماخش

الباعنس البا فاضل

الفصل الثامن

نوح – الدولة القعيطية

١) سوف يتناول الحديث نوح حسب الوضع الحالي و لن يتعرض البحث للحوادث التاريخية عبر السنين الماضية – و فيما يلي أقسام القبيلة:

٢) آل با رشيد و تشمل: با شيبة القبيلة – ويسكنون في لبنة و حيسة ، نوح الحنكة و يشمل : با حكيم ، باسويد ، با صم ، با عفيف ، بصفر ، با حميش ، با بطين ، با جندوح المصري ، يسكنون في وادي دوعن.

الصباحي (يسكنون في الوقت الحاضر في المشقاص) ، با صبارة يسكنون في لواء حجر ، باقفاس . كنينة ، با قروان . حصن با قروان ، با رجاش . كنينة ، با دييان . محمدة ، با دبيس . يون ، با ماطر . محمدة.

المكابرة : الشحيتين ، آل سلمان ، آل سعيد ، آل مقبل ، آل با راجح يسكنون النويمة و نواحيها.

٣) آل با رشيد – ان هذه القبيلة أصلا من آل كثير يبلغ مجموعها حوالي ألف شخص يسكنون ليتة و حيسة ، و لسمح و مرتفعات حجر و ينزلون وادي حجر

أيام الخريف حيث يملكون فيها أموالا و نخيلا ، يهاجرون الى منباسا و جـدة ، و يعمل بعضهم بالقوات المسلحة .

٤) الحنكة – يقطنون في وادي دوعن و مرتفعاته و يزاولون التجارة بنجاح في عدن و المكلا يبلغ عددهم حوالي الألف شخص تقريبا.

٥) البا صارة – يسكنون في وادي حجر و التلال المجـورة لـه ، و يقـال انهـم أصـلا ينحدرون من كندة الا ان هذا الزعم حظه من الصحة ضئيل و يبلغ عددهم حـوالي ألف شخص.

٦) العكابرة – يسكنون في منحـدرات الجبـال الجنوبيـة الـتي تقـع علـى الطريـق ، القبيلة بلواء دوعن يقدر عددهم بحـوالي خمـسمائة شـخص يعملـون مـزارعين و جمالة و منهم عدد بالقوات المسلحة.

الفصل التاسع

العوابثة – الدولة القعيطية

هذه القبيلة يوجد بين افرادها البادية و المستقرون ، و هم يعيـشون في وادي العـين و شحير و هاجر قسم مستقل بنفسه بالقرب من الغيضة في بلاد المهـرة آل عوبثـان ، ز العوابثة قبيلة قديمة ورد ذكرها في تاريخ حضرموت منـذ مئـات الـسنين مـستقرة في وادي العين ، و ذلك حين ما أحاطت بهم قبائل نهد و سيبان و يتألف مـن قـسمين : آل با زار و آل با عنس يبلغ أفـراد القبيلـة حـوالي خمـسمائة شـخص يـسافر بعـض منهم الى شرق أفريقيـا ، يملكـون نخـيلا في سـاه و غيـل عمـر في وادي عـدم و يعمـل البعض منهم جمالة و قد تفرغ آل با زار فخيذة آل مشجر ، و من آل با عنس فخيذة آل با ذياب.

الفصل العاشر

بني مرة – الدولة القعيطية

هناك قبيلتان يرجع أصلهما الى بني مرة من قبائل السعودية . آل با جبيع ، و آل حريز ، قطنت الأولى في وادي عمد ، و الثانية في وادي سر بالقرب من شبام ، و قبل سقوط حيدرأباد هاجر منهم عدد كبير الى هناك بغية الالتحاق بالجيش النظامي فيما يلي أقسام قبيلة با جبيع :

الجعدة	**آل محمد بن أحمد**
آل عبد الله بن أحمد ، آل سليمان بن أحمد	آل شملان ، آل لحدر
آل بني عامر ، آل سالمة	آل الشعبة ، آل سقرة
آل هلابي ، آل حميد	آل عبد الله بن عمر ، آل بن أحمد
	آل كشميم ، آل عمر بن محمد

يزعم آل حميد انهم ينتمون الى سكان المنطقة الأصليين و اندمجوا بالجعدة يبلغ عدد أفراد القبيلة خمسمائة شخص ، و اما آل حريز فيبلغ عددهم حوالي ثلاثين شخصا.

الفصل الحادي عشر

آل بني هلال – الدولة القعيطية

كانت هذه العصبة في و قت ما اكثر العصب الموجودة في منطقة بـني غـازي الـتي تقـع في شمال أفريقيا – ينقسم بنو هلال الموجودون حاليا في جنوب الجزيرة العربية[1] الى أربعة أقسام رئيـسية و توزعـت هـذه الأقـسام بـين المحميـتين الـشرقية و الغربيـة فالقـسمان الموجودان بالمحمية هما آل خليفة و يسكنون في حاضنة آل خليفة ، و النسبيون يسكنون وادي مرخا ، و اما القسمان اللذان يقطنان في المحمية الشرقية هما – النمارة و يـسكنون في وادي جردان ، و آل ماضي بوادي عمد و هم أصلا من جردان ، آل ماضي ينقـسمون الى فروع هي :

آل بن سويدان ، آل لميق ، آل مرعي ، آل مسلم , آل يسلم (و يبلـغ عـددهم نحـو مـائتي شخص)

الفصل الثاني عشر

يافع – الدولة القعيطية

يوجد بالمحمية الشرقية عدد كـبير مـن يـافع و الـذين هـم أصـلا نزحـوا مـن المحميـة الغربية و قد استقر البعض منهم كؤلئك الذين يسكنون في المكلا و الشحر و شبام و القطن و قصيعر و الديس و ريـدة المعـرة و القمـزة و وادي دوعـن و ليـسر و غيـل بـا وزبـر[2] و اصبحوا يشكلون جزءا هاما من سكان حضرموت المحمية الشرقية يعملـون في التجـارة و

---

[1]) قد مر الكلام في ج -١- عن بني هلال و انهم ليسوا من حضرموت و لعل هؤلاء انتقلوا اليها فيما بعد أو لعلهم بنو هلال آخرون.

٢) هكذا يقول هذا التقرير و الواقع ان استيطانهم بداخلها قبل بدر بكثير كما سبق في هذا الكتاب.

الزراعة و الوظايف الحكومية ، و يلتحق معظم الوافدين منهم حديثا و المستقرين قديما في الجندية في القوات المسلحة القعيطية.

و فيما يلي الاقسام الموجودة منهم .– يبلغ عددهم حوالي خمسة ألاف شخص.

يافع العلياء	يافع السفلى
موسطة القطعة	بني قاصد سعدى
الشيخ علي بني أرض	يزيدي ناخبي
اللغيس الحضرمي	كلدي تفرع الناخبي
النقيب آل علي جابر	كهالي الى ابن
آل علي الحاج الحدادي	كسادي ناجي
آل علي أحمد آل المصلي	بطاطي و بريكي
آل خلاقي البكري	
آل فردي المرفدي ظبي	

الفصل الثالث عشر

قبائل أخرى – الدولة القعيطية

نحاول بقدر الامكان وضع القبائل القليلة العدد في المحمية حسب استقرارها و تبعيتها لكل دولة من دول المحمية.

١) آل بليث – يرجع اصلهم الى همام من سلطنة العوالق العليا (مهجري) يعيشون في وادي رخية و هم في الغالب جمالون يعتمدون على ري السيول في زراعتهم يبلغ عددهم حوالي (١٥٠) شخصا.

٢) آل بن دغار – ينحدرون أصلا من كندة يعيشون بوادي حجر و معظم الأراضي التي يمتلكها القبائل الأخرى كانت مشتراة آل بن دغار . يتوارثون حل النزاعات بالاختيار عن آبائهم في وادي حجر ، و لديهم سجلات بالعادة دونت ، خصيصا لحل القضايا يبلغ عددهم حوالي (ثلاثين شخصا) .

٣) آل با صليب – اصلهم من المشاجرة بوداي يبعث يقطنون في الوقت الحاضر أعالي وادي عمد و لهم أقسام هي : – با عران ، با موكرة ، با مسدوس ، النقيب .

٤) الأشاولة – يسكنون في نواحي شحير و غيل با وزير يعيشون بين الحموم يبلغ عددهم (١٥٠) شخصا.

الفصل الرابع عشر

الشنافر – الدولة الكثيرية

يسود الاعتقاد ان هذه العصبة انحدرت اصلا من بني ظنة و الاعتقاد السائد انها اتت من ظفار (منطقة سلالة) و هي لا تزال على اتصال وثيق بقبائل تلك المنطقة و اما آل علي بن كثير و الرواشد فهؤلاء يقطنون في الشمال الشرقي من حضرموت .

و تربطهم بالرعايا العمانيين روابط عشائرية ، و مدينة سلالة آهلة بالكثير منهم.

٢) اما استيطان آل كثير لحضرموت فقد جاء نتيجة للغزوات التي كان يشنها آل كثير على حضرموت بقيادة بدر ابو طويرق.[١]

٣) يقطن الشنافرة في المنطقة الواقعة بين شبام ، سيؤن ، وادي بن علي ، بور ، تاربة ، رسب ، وادي عدم ، و نجد العوامر و منهم جزء كقبائل مستقرة و جزء بادية رحل في المرتفعات الشمالية من حضرموت التي تمتد الى الطرف الجنوبي من ريدة الصيعر و ما بين بئر تيس و وادي حريضة.

٤) و قد رحل قديما عدد من العوامر و اعلنوا تبعيتهمك للسعوديين كما فعلت بعض القبائل الأخرى.

---

١) هكذا يقول هذا التقرير و الواقع ان استيطانهم بداخلها قبل بدر بكثير كما سبق في هذا الكتاب.

٥) و من المدن العجلانية بالقرب من (حورة) و حاجز (بوادي عمد) التابعين للدولة القعيطية يوجد قسم من السلاطين آل عبد الله يعرفون بآل عمر بن جعفر و هم من سلالة عيسى بن بدر بو طويرق سكنوا تلك المناطق و ذلك ابان تقلص نفوذ آل كثير كما يوجد قسم بوادي سر قرب شبام يعرف بآل مهري ، كما يوجد قسمان يدعى أفرادهما بآل عابث و آل عبد الودود عرفوا بمشائخ البشعة[1] ، و هي الوسيلة التي تستعمل للتحقيق مع المشبوه في أمرهم في العوادي.

٦) و يوجد قسم من العصبة يدعى افراده بالشرخة يبلغ عددهم حوالي الخمسين شخصا يسكنون ما بين آل جابر و الحموم بين غيل بن يمين و رسب.

٧) اما آل با جري فهؤلاء انضموا الى عصبة الشنافرة بالاختيار حيث هناك زعم بانهم من سكان البلاد الأصليين قبل غزوات آل كثير على حضرموت يبلغ عددهم حواليماية و خمسين شخص الى ماءتين .

و فيما يلي اقسام الشنافر و فروعها ، و يبلغ عدد الشنافر جميعا حوالي خمسة آلاف شخصا.

آل كثير	آل جابر	العوامر
آل عمر	آل يماني (رسب)	
آل عامر	آل يماني (عدم)	
آل عون	آل حسن (وادي بن علي)	

١) تقدم الكلام عن البشعة قريبا في هذا الدور.

و فيما يلي الفروع :

آل كثير	آل عامر
آل عمر	آل عبدات
آل فلهوم	آل عبد العزيز
آل جعفر بن طالب	آل كدة
آل مرعي بن طالب	
آل عون	آل جابر
آل الصقير	آل عامر رسب يسكنون رسب
آل منيباري	بيت الهوطلي يسكنون رسب
آل جعفر بن بدر	بيت جريدم يسكنون رسب
آل شملان	بيت بن قطيان يسكنون رسب
آل سعيد	بيت آل حويل هؤلاء أصلا من نهد
	بيت الكرد آل نهد
آل عدم	آل حسين بن علي
آل ضوبان الردود	آل بدر بن علي
بن سليمان الردود	آل سعيد بن عامر
آل سهيل الردود	آل مرعي بن عامر
بن سعيدان قفعان	آل جابر بن عامر
آل محمد الحاج ، من غيل عمر	العقبان
آل مسبق ساه	آل ثابت
آل عبودان عدم	آل عبودان
آل حيبش غيل عمر	آل منيف

العوامر

آل كليلة يسكنون تاربة و نجد العوامر   آل تبيع يسكنون تاربة و نجد العوامر

الكسابيب يسكنون تاربة و نجد العوامر   آل هادي يسكنون بوادي الذهب غرب تريم

آل براهم يسكنون وادي الذهب غرب تريم   آل عبد الباقي يسكنون في تاربة و نجد العوامر

الحطاطبة يسكنون تاربة و نجد العوامر   آل وعيل يسكنون ما بين تحيس و حرضة

آل جعفر يسكنون ما بين تحيس و حرضة.

الفصل التاسع عشر

المهرة(١)

ينقسم المهرة الى قسمين رئيسيين و هما . الشراوح ، و صار ، و تفرع من الآخر بيت شحشحي – يعتمد المهرة في معيشتهم على البحر و هم سكان الساحل ، و اما سكان البادية فيعتمدون على الزراعة المطرية ، و قد ادخل اخيرا نظام الزراعة الآلية في الأماكن التي يوجد بها آبار ، و يقدر عدد المهرة بحوالي عشرين ألف شخص فيما يلي الأقسام و الفروع:

الشراوح

بيت كلشات ، يسكنون حصويل و صقر و الغيضة

بيت توعار يسكنون في الصحراء و البعض في ظفار

بيت عامر جيد يسكنون حويصل

بيت قحيصيت يسكنون في سيحوت و وادي المسيلة و الأغلبية في الصحراء

بيت صالح

بيت رعفيت ، يسكنون ظبوت و جاوب

بيت السلبي

بيت بن علي مقدم أصلا من الجعدة

بيت جيدح ، يسكنون في قشن و نواحيها

بيت محومد يكنون ظبوت و جاوب

بيت كدة يسكنون راس فرتك

بيت سهول ، يسكنون في الصحراء

بيت صميعود ، و تفرع منهم بيت نزوح و بيت غريب و يسكنون سناء و نواحيها

---

١) عدلنا عن الفصول الخامس عشر و السادس عشر و السابع عشر و الثامن عشر لانها متعلقة بقبائل غير متوغلة في القطر كما حذفنا اسماء جميع المقادمة الذين اعتاد على التقرير ذكر اسمائهم و مقادير معاشات من لهم معاشات حكومية ، و هم كثير ، عقب كل قبيلة و يمكن الرجوع الى التقرير و مظانه ان احب الاطلاع على ذلك.

بيت فعفيق

شحشحي	بيت زبيد يسكنون سيحوت و وادي المسيلة
بيت حريز يسكنون قشن و الصحراء	بيت زعبنوت يسكنون حبروت و نواحيها
بيت عقيد يسكنون الصحراء	بيت عرشني يسكنون ضبوت

و هناك قبائل أخرى سكنت بلاد المهرة ، و هم بيت عوبثان . أصلا من العوابثة .

و بيت خوار . أصلا من آل كثير و بيت بالحاف ، أصلا من بلاد الواحدي.

الفصل العشرون

المشايخ(١)

ليس المقصود ان يتناول البحث موضوع المشايخ بصورة عامة في المحمية في هذا الفصل و انما لنلم بهؤلاء الذين استوطنوا المواطن العشائرية و مناطق حمل السلاح.

٢) آل با عباد : – هم من اعراق القبائل حيث يرجع اصلهم الى العصور الاسلامية الأولى يعيشون بين الحموم ، يعرفون بمشايخ الحموم ، انما اصلهم من الغرفة بالقرب من سيؤن حيث لا يزال يوجد بعض منهم ، ز لا يزال لهم السبق في الحفاظ على التقاليد و العادات في زيارة نبي الله هود عليه السلام[٢].

٣) آل شعيب : – قسم صغير يعيش بالقرب من ريدة الجوهيين ، و عسد الجبل.

٤) آل العمودي : – و هم قسمان آل با طوق ، و آل عبد العزيز ، تفرعت القبيلة الى عدة مناصب يرئسهم منصب بضة و دوعن ، و يعيش أفراد هذه القبيلة في بضة و الخريبة و

---

٢) قد مر ذكر المراد من المشايخ فيما مضى من هذا الكتاب.
٣) حيث يوجد هناك أوقاف و مساجد لبعض أجدادهم لهم الاشراف عليها.

ريدة الدين ، و وادي حجر ، و الصحراء الغربية (يقال ان نسب القبيلة يرجع الى سيبان قبيلة المحمديين)[1]الشيخ الأول في هذه القبيلة هو الشيخ سعيد بن عيسى صاحب الزيارة المشهورة بشعب قيدون.

٥) <u>آل بريك</u> : - تعتبر اقدم قبيلة كانوا يعيشون في الكسر بحضرموت و أخيرا نقلوا الى حريضة مع السادة آل العطاس سكان البلاد ثم رحلوا الى الناحية الغربية ، تفرعوا حاليا الى : -

آل غيمسان ، بشبوة ، آل أحمد ، بحكنة با دخن ، آل سنديان ، في حصن سنديان بعرما ، آل عبد القادر ، في المطارح بوادي دهر ، آل سبيان بالعبر.

٦) <u>آل ربيع</u> : - بادية رحل ، تعيش بين اليمن و بيحان و العوالق العليا و حضرموت.

٧) <u>آلأ با راس</u> : - هؤلاء يرجع نسبهم الى العوالق يسكنون في الوقت الحاضر في وادي حجر كما يوجد عدد منهم في الخريبة دوعن و حيرة با راس في الطريق القبيلية يعتبرون مشايخ نوح و سيبان و لهم الزيارة المعروفة بباراس.

٨) <u>آل با وزير</u> : - من القبائل القديمة بحضرموت عاشت في وادي العين حيث لا تزال اقسام منهم و هي جنيد ، آل سهيل ، آل عبد الرحمن ، آل نهيم ، آل عبد الصمد ، آل عثمان ، آل جراس ، آل بن شيخ ، آل عبد الرحيم ، آل قويرة ، آل الديراني و غيرهم انتشروا في وادي عمد و سده و عدم و غيل با وزير و الخريبة بالقرب من فوة و وداي جعيمة بالدولة الكثيرية , و غالبا ما تسند مسؤلية تصريف المياه في غيل عمر و غيل با وزير , و الخربة اليهم ، و يمكن ان يعرف عنهم انهم ذووا مقدرة في تصريف المياه و من اقسامهم المشهورة ايضا آل با مخرمة و هؤلاء يقطنون في غيل با وزير و زودوا الدولة القعيطية بكثير من القضاة[2].

---

٤) و منهم من ينسبهم الى الصديق رضي الله عنه.
١) المشهور ان آل با مخرمة ليسوا من آل با وزير و قد سبق الكلام عن نسبهم في ترجمة الشيخ عبد الله بن عمر با مخرمة كما ان آل با مخرمة لهم مواطن غير التي ذكرها.

٩) <u>آل اسحاق</u> : - من القبائل القديمة بحضرموت تقطن في هنين و الحجر و بريدة الصيعر ، و وداي عمد و يعتبرون المستشارون دائما لقبائل الصيعر.

١٠) <u>آل با معبد</u> : - هم فرع من آل بفلح من القبائل القديمة يسكن افرادها في الوقت الحاضر في رضوم ، و الجويري , عين با معبد و يبعث كما انهم مشايخ على جزء من آل ذيب الحميريين[١].

الفصل الحادي و العشرون

السادة

ليس المقصود الحديث عن السادة[٢] بصورة عامة و انما لنلم بهؤلاء الذين استوطنوا المناطق العشائرية و مواطن حمل السلاح.

٢) <u>آل مولى الدويلة</u> : - وهم بيت زين – بيت قطبان – و بيت حسين – هذه القبيلة مرجعها الى آل الحبشي[٣] و هم يسكنون مناطق آل تميم بوادي المسيلة و غيل بن يمين ، كما و انهم سابقا ازالوا العداء الذي استحكم بينهم و بين بني ظنة و الحموم.

٣) <u>آل الشيخ ابي بكر</u> : - هؤلاء يتوارثون سلطاتهم كمناصب على يافع العليا في المحمية الغربية ، استوطنوا عينات في وادي المسيلة كما انه يوجد قسم بادية في الخون و منطقة وادي عمد و يبعث ، و الغيضة و منهم مستقرون في وادي بن علي و ساه[٤].

---

٢) عدد هذا الاحصاء نحوا من خمسة عشر قبيلة من هؤلاء المشايخ لم نثبتها لنفس السبب الذي ذكرناه في التعليقة عند القبايل.

٣)السادة هم الأشراف العلويون كما هو معلوم وعد هنا المندمجين منهم مع القبائل العشايرية حتى حسبوا معهم و هم أقلية قليلة من السادة.

٤) ليس مرجع آل مولى الدويلة الى آل الحبشي كما هو واضح لأن الأولين ينتسبون الى محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم بينما ينتسب الآخرون الى علي بن الفقيه كما هو مشهور في شجرات الأنساب.

٥) آل الشيخ ابي بكر منتشرون في اماكن اخرى كحملة سلاح منها وادي عمد و فيه آل الحامد منهم و في بلاد المهرة منهم عدد غير قليل حملة سلاح كما ان هذا التقرير اشار الى آل المحضار و آل الحامد و هم يسكنون مقاطعة الواحدي و غيرها كما يسكنها آل الجنيدي و آل البغدادي و آل فدعق و اشار اليهم هذا التقرير و لكنه لم يشر الى حملة سلاح آخرين من السادة في حضرموت كسادة حجر من آل الشاطري و آل البيتي ، كما انه ايضا غفل عمن ندر من القبائل و لكنه وافى في الجملة.

٤) بيت حمودة : – استوطنوا غيل بن يمين و نواحيها وهم يعرفون بسادة الحموم و قديما كانوا يدخلون في أي حرب أو مهادنة تقع بين الحموم و غيرهم ، اليا ، و هم حملة سلاح.

٥) آل العطاس : – بينما استقر هؤلاء في حريضة يوجد منهم قسم بادية في وادي حجر يحملون السلاح كما يوجد قسم في رضوم ببلاد الواحدي.

٦) آل مديحج : – يسكنون في غيل بن يمين و ريدة المعارة يتولون القضاء الشرعي ، و عقود الأنكحة و اثبات الأهلة و تعليم الصبيان كما يتولون المهمة في كتابة الوثايق الشرعية بين البوادي ، و امامة المسجد.

المساعي و الجهود لإقامة دولة قوية للقطر

من الواضح ان أعيان هذا القطر و في مقدمتهم علماء الدين يبذلون مساعي و جهود جبارة في الأدوار السابقة لتصحيح الوضع الداخلي بحضرموت و قطع دابر الفساد و اصلاح هذا الوطن اصلاحا جذريا . و في هذا الدور و لهذا كان العمل الجدي لإبداله بغيره أكبر و ذلك بإقامة دولة قوية شاملة له كله يكون شأنها كشأن الدول الأخرى على الأقل من أمثالها في اليمن و في البلاد العربية و كان للرجال الذين ذكرتهم عند الكلام عن الحياة الاجتماعية في هذا الدور كان لاولئك الرجال الحركات الدئبة المستمرة من مكاتبات و اتصالات مع الدولة العلية العثمانية التي لهم في بلاط سلاطينها الملقبين بالخلفاء مكانة دينية أو نفوذ روحي على حد تعبير البعض ، و كان من نتائج تلك الاتصالات إرسال تجهيزة سنة ١٢٦٤ هـ من ثكناتها بثغر الحديدة لا تتجاوز بضع مئات بقيادة إسحاق بن عقيل بن يحيى العلوي لفك الحصار الذي ضربته إمارتا الكسادي و ابن بريك في الساحل على الشعب في الداخل الذي هو تحت سلطنة عدوتها السلطنة الكثيرية و

لمساعدة هذه السلطنة الناشئة على إصلاح مل يمكن إصلاحه بواسطتها و إنقاذ ما يمكن إنقاذه كذلك ولكن لم يصحبها التوفيق لأسباب طبيعية و عسكرية[1].

و من جهود اولئك الرجال المشار اليهم الاخذ بيد ابن مقيص الأحمدي اليافعي ليكون على رأس دولة حضرمية فخيب آمالهم بضعفه كما أشرنا الى ذلك وتلفتوا الى محمد علي باشا خديو مصر ليمدهم بقوة تساعهم على مشاريعهم الاصلاحيه لإقامة حكومة حضرمية فانشغل عنهم.

و من نتائج جهودهم و تضحياتهم تشجيع السلطان غالب بن محسن الكثيري على إحياء الدولة السلطنة أو الدولة الكثيرية و الأخذ بيده و لكنها كانت دون ما يأملون كما سيأتي الكلام عنها و لما ظهر الحاج عمر بن عوض القعيطي في ميدان الصراع اليافعي الكثيري كان هناك منهم سعي و جهد لاصلاح ذات بينهما و اقامة وحدة أو اتحاد بينهما تشمل جميع القطر فلم تثمر الجهود الا بالنزر اليسير من الاصلاح المنتظر ، و قبل ذلك بمدة غير قليلة تقدر بثلث قرن تقريبا قامن النهضة الاصلاحية التي يمهدون بها لاقامة دولة اسلامية تحت ظل الشريعة المحمدية في وطنهم الحبيب و التي على رأسها الإمام طاهر بن حسين العلوي و أعوانه المشار اليهم رحمهم الله ، انهم حين يعيشون معها و قبلها و بعدها هم في شغل شاغل و جهد متواصل مرير لاقامة هذه الدولة الاسلامية كما قلنا و في تضحيات مادية و ادبية مما ذكرناه و مما لم نذكره ادوا بها واجبهم و أراحوا ضمائرهم و أنشدوا قول الشاعر:

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه   و ليس عليه أن يساعده الدهر

---

١)انما عين السيد اسحق بالذات كقائد للحملة لمعرفته بحضرموت كما عين الشريف محمد بن عون قائدا عاما للجيش المتوجه لاخضاع لبيمن و قد فرز منه جيش حضرموت و كان توجهه من الحجاز بتوجيه و اليه حسيب باشا الى الحديدة.

و بعد المداولات مع أعيان و أمراء داخل حضرموت اتجهت المفرزة بحرا الى بعض السواحل القريبة من بروم ثم الشحر تساندها من البر قوات كثيرية و كانت الامارتان الساحليتان مستعدتين للحرب و كانت الريح تجري بما لا تشتهيه السفن التركية الحجازية بسواحل حضرموت فانهزمت في النهاية و توجد التفاصيل المحققة عن هذه الحملة في أمالي و دشتات أولئك الشيوخ المشار اليهم و قد أخطأ بعض من تعرض لتاريخ حضرموت الحديث في كلامه عنها أ.هـ.

فهذه النهضة هي خير نموذج لتضحياتهم و حسن نياتهم[1]فاستحقت أن أسوقها للقارئ فيما يلي بما قل و دل.

(بيعة ناصر الدين الأمام طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي)

الامام طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي هذا هو شخصية شهيرة مثالية في التقوى و العلم و الزعامة الدينية و نصرة المظلوم و قد انتخبه و بايعه إماما اعيان الشعب بداخل حضرموت سنة ١٢٢٠ هـ و عمره ستة و ثلاثون عاما حيث اتخذ المسيلة مقرا له – بعد أبيه – و هي في الأصل مصيف يبعد عن تريم ستة اميال الى الجنوب و قد قبل البعة و لقب بناصر الدين و دعي بأمير المؤمنين و نهض بأعباء السلطة الملقاة على عاتقه حين لم يجد لا هو و لا قومه و لا علماء الدين و أعيان القطر أي طريقة لاقامة دولة يتصدى لرئاستها كفوء من ابناء السلالات المسلحة ذات العصبية القبلية و بعد ما مرت بهم التجارب المريرة في هذا السبيل و قد علقت عليه و على مكانته الروحية و شخصيته القوية الامال و تقلد كثير من العلوين السلاح تحت رئاسته على خلاف تقاليدهم و قالوا أن الواجب الديني و الوطني يستلزمان حمل السلاح و انضم اليه معهم كثير من القبائل كما سيأتي و جعلوا هدفهم نصرة الحق و تنفيذ أوامر الشريعة الاسلامية و حماية الضعيف و كان يشبه الى حد كبير الكثير من آبائه الأقدمين الذين قاموا و ثاروا ضد ظلم و اقطاع الامويين و العباسيين بدافع من تقاهم و ديانتهم لاقامة دولة على اساس العدالة الاجتماعية و في دايرة الشريعة الاسلامية و هم يقدمون مبادئهم الدينية المثالية على الوسائل السياسية و المخادعات الدوبلوماسية و لا يدينون بالمثل القائل – الغاية تبرر الوسيلة – و لا يهمهم ان لا تنجح جهودهم السياسية ما دام فيها هدم للقيم الخلقية و للمبادئ الأسلامية الشريفة و مغالطة للضمير[٢] فالامام طاهر اشبه بهذا النوع من الائمة

---

٢) يمكن الاطلاع على تلك الجهود الجبارة المفصلة بقراءة مكاتباتهم المخطوطة و تاريخ ابن حميد و ابن هاشم و غيرها و عبرنا بالنيات دون النوايا لأنها منتقدة لغويا.

٣) من يتأمل تاريخ الامام علي بن أبي طالب و ابنه الحسين و الإمام زيد بن علي و محمد النفس الزكية و اضرابهم يجد الأمثلة الكثيرة على ذلك حرصا على المبادئ و القيم الأخلاقية حتى لا تضيع ففي امكان

كما قلنا و زيادة على هذا فان تنشئته تنشئة صوفية فيها التخلي عن الرذائل و التحلي بالفضائل و فيها الهواية للتبحر و التفرغ للعلوم و العبادة اكثر من السياسة و تحمل تبعات (مسؤليات) الحكم في قطر كحضرموت في كل شبر من قبيلة تعادي الآخرى و تجزأت مناطقه الى أجزاء صغيرة مهلهلة مبعثرة.

لهذا فالذي يظهر من درس نهضة الإمام طاهر أنه لا يريد منها هو و أعوانه سوى القيام بدور انتقالي يمهد السبيل لإشادة دولة قوية عامة تشمل جميع القطر و تنقله من حياة الفوضى و الاضطراب الى حياة الامن و الاستقرار و يفضلون ان يكون على رأسها من فيه الاستعداد من القطاع القبلي لها حيث تعطي القوس باريها.

خلاصة حياته و نهضته:

ولد سنة ١١٨٤ هـ و توفي سنة ١٢٤١ هـ و نشأ في بيئة علم و فضل و تقى و اصلاح و ممن شارك في تربيته عمته ام كلثوم بنت طاهر بن محمد بن هاشم و هي من أفضل نساء عصرها و تعد مربية مثالية الى جانب اتساعها في العلوم و قالوا قد اجتمعت فيها شروط القضاء الشرعي إلا الذكورة و درس هو و شقيقه عبد الله العلوم الشرعية و العربية و العقلية على أئمة كبار حضرميين و يمانيين حجازيين و اشتهرا بالتفوق فيها و امتاز الامام طاهر بالهيبة مع التفوق العلمي و الخلقي على أقرانه و أسرته كلها أسرة علم و استقامة و عمل حتى نسائها و منها عمته الآنفة الذكر و شقيقته خديجة أم العلامة المفتي عبد الله بن عمر بن يحيى أحد العبادلة السبعة الآتي ذكرهم و كتب و ألف في

الامام علي رضي الله عنه أن يبقي معاوية على الشام و يداريه و في امكان الحسين أن يتوقف عن المضي إلى الكوفة حين بلغه مقتل مسلم بن عقيل كما يروي البعض و في امكان الامام زيد أن يلاطف غلاة الشيعة ليبقيهم في صفه و في امكان محمد النفس الزكية أن يؤخر القتال ضد جيش المنصور الى الليل ليفر اليه بعض القواد و لكنهم لم يفعلوا شيئا من هذا مع المشبوهين بينما يعد لو فعلوه نوعا من الدهاء الذي يفرضه العرف السياسي في نظر البكثير فلماذا ؟ و الجواب معروف و هو المثالية المطلوبة للحياة السعيدة الفاضلة التي يحاولون ايجادها بالعمل بين بني البشر و لا يريدون بيع الدين بالدنيا كما يقولون و العاقبة للمتقين .

الشريع و التصوف و الادب و الأذكار و كان شاعرا و خطيبا مفوها و له الخطبة البليغة المسماة (فتح الرحيم الرحمن) قالوا أنه القاها ارتجالا و هو واقف و يده على المنبر و له ديوان شعر و له أعمال يدوية يباشرها بنفسه فيكتب كل يوم كراسة و يخيط و ينسج كوفية حضرمية الى جانب الأذكار و الأوراد التي يقوم بها و تعطينا معاخداته و خطاباته مع القبائل صورة حسنة للغة التخاطب التي تكتب بها المعاهدات العسكرية مع بلاغة الأسلوب و قوة العبارة بالنسبة لعصره و انتصب للتدريس و التثقيف و التربية في نفس الوقت الذي يزاول فيه تجميع و تنظيم جنوده و يشرف على تدريباته العسكرية.

و مما يثير الأعجاب أنه يجعل لتلاميذه حصة للتدرب على الرماية ثم حصة بعدها للقراءة في الكتب العلمية يقدم في الأخيرة الاسرع فالاسرع في إعداد بندقيته للرماية في الأولى فيكون الرامي الأول في التدريب هو القارئ الأول في التدريس يقومون بهذه المباراة دواما لأن البندقيات إذ ذاك من طراز (أبو فتيلة) فيحتج الى شحن بالبارود و وضع الرصاصة فيه و الفتيل عليه قبل الرمي بمدة غير قليلة و كان بعض التلاميذ يكتب اسمه بالرصاص بدون أن يخطئ و لو في رمية واحدة لمهارتهم في الرمي.

و قد انضمت اليه قبائل آل كثير و آل تميم و آل جابر و كتبت بينه و بين هؤلاء معاهدات و مواثيق على تنفيذ أحكام الشريعة الغراء و الانضواء تحت لواءه كإخوانه العلويي امضى عليها زعائمهم كما وجه الى الكسادي و ابن بريك اميري المكلا و الحشر مندوبه و كتبه لاصلاح الحالة و منع التوتر بينهما فتم له ما ارد و نفذ حكمه في مناطق أتباعه كلها فأمن من القتل و رفع من الظلم و وسع من نشر العلم و انعاش الزراعة .

دورالسلطنتين القعيطية و الكثيرية الأخيرة

من سنة ١٢٧٠ هـ تقريبا و لا تزال مو جودتين عند الفراغ من تأليفه سنة ١٣٨٦ هـ

كنا تكلمنا عن الحرب التي نشبت بين السلطانين بدر بن عمر بن أبي طويرق و ، و بين أبن أخيه بدر بن عبد الله بن عمر بن أبي طويرق ، و استعانة الأول بالزيدية و استعانة الأخير بجيش مجلوب من يافع ، و كان من نتائج ذلك ضعف السلطنة الكثيرية و تنصيب سلاطينها رموزا فقط ، و السلطة الحقيقية بيد العسكر المجلوبين من يافع الى الخ ما هناك ، و من هنا طاب لهم المقام بحضرموت ، و تناسلوا و أصبحوا مواطنين فيها ، و درجواعل ما درجت عليها قبائلها من عادات و تقاليد و استمرت الهجرة فيهم من يافع الى حضرموت ، ز لم يكد يدب الانحلال و التلاشي في سلطنة آل كثير حتى حل محلهم قبائل يافع كسلطات طوائف ، و مشيخات صغيرة كل استولى على ما يليه من البلاد ، فآل لعبوس في تريم ، و آل الظبي في سيؤن ، و آل البكري في مريمة ، و الموسطق في شبام ،و القطعة بلحروم ، و آل كساد في المكلا ، و في الشحر آل بريك ، و في قرى أخرى عشائر يافعية أخرى ، و لبيوتات المنصبة من سادة و مشايخ شئ من السلطة على حوطهم ، كما تكلمنا عنها ، و هذا هو الدور القبلي الفوضوي الذي تكلمنا عنه قبل هذا بالتفصيل ، و اعقبه هذا الدور الذي سنتكلم عنه الآن.

الأبطال الثلاثة طليعة هذا الدور :

ان القبائل التي تكلمنا عنها في الدور الماضي يهاجر الأفراد من رجالها ال مهاجر الحضلرمة كأفريقيا ، و اندونيسيا ، و الهند و منها حيدر أباد الدكن ، التي يتجه اليها الكثير منهم لينتظم في سلك الجندية ، عند حكومة النظام ملكها الغني الثري حيث يتألف جسش عربي هناك معظمه من عرب حضرموت و ما جاورها ، و قواده منهم ، و قد نبغ بين اولئك :

الثلاثة الأبطال : عمر بن عوض القعيطي اليافعي ،

غالب بن محسن الكثيري ،

عبد الله بن علي العولقي ،[١]

و يتحلى كل من هؤلاء الثلاثة بالعصامية[٢] و الشجاعة و الطموح و التمسك بالعقيدة الدينية و حسن السلوك ، و كلهم ايضا من أصحاب الرتب العسكرية الرفيعة ، و ضخامة المرتب ، و اتساع الثروة و كل منهم له أنصار و اتباع و عصبية في حيدر أباد ، و لا يرى مسرحا لتنفيذ رغباته السياسية و اشباع طموحاته سوى وطنه حضرموت ، حيث يجد بها من يؤيده اكثر ، و من ينطوي تحت لوائه من قبيلته ،ز ما عليه الا أن يرسل المبالغ التي تمون مشاريعه السياسية و يرسم لها الخطوط العريضة و التعليمات الازمة .

و هكذا اصبحت حضرموت ميدانا للصراع و التصادم بين اتباع هؤلاء الثلاثة الذين لكل منهم عشائر لها نفوذها القبلي ، و تاريخها القديم ، و تحول الصراع بين القبائل من أجل الثأر و الغارات الى صراع أوسع نطاقا ، و اشد ضراوة هدفه السلطة و الملك حين وجدت كل منها زعيمها و سلطانها الذي يقودها الى نهاية الطريق ، و حيث توزعت و احتربت تحت زعامة هؤلاء الأبطال الثلاثة الذين تحركها أصابعهم ، و تدير دفة السياسة الحضرمية و هم هناك بحيدر أباد على يد قوادهم و أخوانهم ، و بنيهم و مستشاريهم بحضرموت هنا ، و في وقت تغلبت فيه الأنانية حب السلطة و الظهور على المصلحة الوطنية العامة التي تدعو الى حسم النزاع و الانضواء تحت لواء حكومة وطنية موحدة مؤتلفة ، كما يحب و يختار الشعب ، و لكن اين نحن من هذا و نحن في بدية هذا الدور ، بينما لم يحصل في أوساطه و لا في اواخره و الشعب الحضرمي يطالب

---

١) أذكر مرة زيارة شاب جامعي من زنوج أمريكا لي ، ببيتي بتريم زيارة مستعجلة طلب مني فيها معلومات عن هؤلاء الثلاثة ، ليكتب رسالة عنهم ، وتقدم بها لنيل شهادة الدكتوراة ، و كان ذلك بما عندي من أجوبة لأسئلته ، و لا ادري ما كان منه بعد .

١) نسبة لعصام الذي اكتسب لنفسه المجد و السؤدد و قال فيه الشاعر : نفس عصام سوددت عصاما –و علمته الكر و الاقداما – و صيرته ملكا هماما ، و بعضهم يضيف اليهم شخصية رابعة في مستواهم تهتم بأمر حضرموت لأنها حضرمية ، ولكن لم تمتد يد الصراع بها ، و هي شخصية أبو الليل و يقال بالليل .

سلاطينه ، و مسؤلية بالوحدة الحضرمية – كخطوة لوحدة عربيـة شـاملة – بـاي شـكل يرفع من مستواه السياسيو الاجتماعي ، و هم و اتباعهم – بتأييد بريطانيا في نعراتهم و أنانياتهم – يعمهن ، و الشعب هو الضحية الحقيقية ، كمـا سيأتي الا اننـا لا بـد و ان نقول أن وجود سلطة أو سلطتين في القطر خير من وجود السلطات القبليـة العديـدة الـتي تكلمنا عن دورها الماضي و ويل واحد أهون من ويلين ، و لنعـد الى سياق تـاريخ كـل مـن الثلاثة المشار اليهم .

فأما عبد الله بـن علـي العـولقي فلـم يطـل منـه القيـام بـدور علـى المـسرحين الـسياسي و العسكري بحضرموت ، فقد استطاع القعيطي و هو منافسه الأول ان يقضي علـى مطامعـه حيث يتعرض النجدات المبعوثة من حصنه العظيم المسمى حـصن العـولفي الواقـع شـرقي غيل با وزير ، و قرب قرية الصداع ، و كانت هذه النجـدات قـد قـررت الاشـتراك مـع خصوم القعيطي من كثيريين و غيرهم في الاستيلاء على الساحل الحـضرمي ، و قـد تـوفي بحيدر أباد سنة ١٢٨٤ هـ و نائبه و خليفته بحضرموت ابنه محسن فحاصـره في حـصنه هو و حامية الحصن الجمعدار عوض بن عمر القعيطي لمدة أشهر حتى سلم و انتهى أمـره .

و اما البطلان الآخران فقد استطاع كل منهما أن يؤسس سلطنته في القطر ، و هما تشبهان الى حد كبير السلطنات التي تعاقبت على الـوادي فيمـا مـضى ، مـن راشـدية و يمانيـة و كثيرية ، و لم تستطع أي منهما أن تبسط نفوذها على القطر كله فتتم الوحدة بـن بنيـه و تشمل جميع أراضيه ، و سأتكلم عنهما مبتدئا بالسلطنة القعيطية لأنها أقـوى و أغنـى و أوسع من السلطنة الكثيرية ، و إن تأخر تأسيسها عنها بقليل .

السلطنة القعيطية

آل القعيطي بطن من يافع ، و قد نزحوا من جبل يافع الى حضرموت ضمن بطون القبائل اليافعية التي جلب طلائعها بادئ ذي بدء الى حضرموت السلطان بدر أحد أحفاد ابي طويرق كما مر آنفا ، و استوطن آل القعيطي قرية ((لحروم)) – وادي عمد و بها ولد و نشأ عمر بن عوض القعيطي الأول ثم انتقا منها – و هو يتيم فقير – الى شبام ثم هاجر الى الهند و هو يافع حيث انتظم في سلك الجندية ، بناكبور ، ثم حيدر أباد ، و باغ أعلى زينتها بالنسبة الى ابناء جنسه فكان له ثراء واسع و جاه عريض و كاتبه بنو جلدته اليافعيون الحضارمة الذين أصبح وجودهم بها مهدد من قبل الكثيريين و أعدائهم التقليديين ، و الفتن و الحروب ناشبة بين الطرفين لإحياء السلطنة الكثيرية التليدة ، و سحق يافع المعترضين طريقها و و لاة الحكم على أنقاضها حتى صلي بنارها اقارب و محارم للقعيطي نفسه ، و وفد اليه بعض الوفود اليافعية الى الهند معربين له بأنهم يجدون فيه زعيمهم المنقذ حتى لم يجد بدا من الدخول فيما دخل فيه قومه و انشد بلسان حاله ما أنشده الحارث بن عباد الشيباني فارس النعامة الشهير لأنه في موقف شبيه بموقفه:

قربا مربط النعامة مني	لقحت حرب وائل بحيالي
لم اكن من جناتها علم الله	و اني لحرها اليوم صالي

و لكن كل هذه الأسباب بالنسبة له – و جزى الله الأسباب خيرا – كما يقول المثل – أثارت ما يجيش في صدر هذا الرجل البعيد الهمة ، و القوي الشكيمة من النزوع الى الملك ، و احياء الوطن و نشر العدل و الأمن فأسس السلطنة القعيطية التي هو أول ولاتها ، ودوره دور التأسيس و تمهيد و قذف الى الميدان بالرجال و المال ، و دبر الخطط معهم و هو بحيدر أباد كما سيأتي و توفي و قد أقام له سلطنة منسوبة اليه و لكنه لم يزرها ، و لم يشهد شيئا منها بأم عينه فقد توفي بلهند بحيدر أباد سنه ١٢٨٢ هـ عن عمر ناف عن

الثمانين خريفا أمضي معظمه فيها ،و مدة حكمه حوالي ربع قرن ، ثم تولى السلطنة بعده ابنه عوض بن عمر بن عوض القعيطي ، و هو لا يقل عن أبيه في صفاته النبيلة ، وإذا كان ابوه هو الرأس المفكربالهند فإنه هو اليد العاملة و الرأس الفكر معا في حضرموت ، و كان هو المبرز بين أخوانه و مواليه , و زعماء قومه في إدارة و قيادة المعارك الناشبة لتأسيس هذه السلطنة ، و امتدادها على حضرموت كلها ، و قد كاد يتم له ذلك في وقعت المحايل و قسبل و غيرهما من المعارك المتفرعة عن الحشد الكبير الذي قام به هذا السلطان و يتألف من جيش يبلغ حوالي الثمانية آلاف مقاتل فيما يرويه كثير من الشيوخ الذين عاصروا معظم هذه الوقائع ، يتألف من يافع ، و من هنود ، و موالي — مماليك أفريقيين — و من قبائل أخرى للقضاء على السلطنة الناشئة التي أقامها السلطان غالب بن محسن الكثيري و أعوانه بسيؤن و تريم ، و ملحقاتها و لكن لم يتم له النصر حيث استمات آل كثير في الدفاع عن مواطنهم و سلطنتهم و حيث لم ينفذ معظم فرق هذا الجيش التعليمات العسكرية المعطاة له ، فتراجع هو ، و جيشه من حيث اتوا ، و تعد هذه اعظم و اخطر موقعة بين السلطنتين المتعاصرتين ، كما أن الكثيريي من الجهة الأخرى و على رأسهم السلطان غالب و عشيرته و مشتشاروه يحاولون مد سلطانهم على حضرموت دواخلها و سواحلها في وقائع تجري سجالا بينهم و بين القعيطي ، فلم يتم لهم ما أرادوا ، ولو تم لأحدى السلطنتين التغلب على الأخرى ، أو لو قدر لحضرموت أن تتوحد تحت لواء احدى السلطنتين لكان في صالحها و صالح شعبها الذي حرم منذ قرون عديدة وحدة الحكومة و بالتالي و حدة النظام في جميع مرافق و مجالات الحياة و الى اليوم ، و لكن السلطنة القعيطية استطاعت فيما بعد أن يكون لها نصيب الأسد بحيث أصبحت السلطنة الكثيرية بمثابة لواء من ألويتها السبعة ، و كان من حسن حظها انها حظيت بوزير محنك داهية ، هو السيد الحسين بن حامد المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الذي استوزره السلطان عوض بن عمر و ابناه عمر و غالب الآتي ذكرهما و قد أخلص لهذه السلطنة ، وتم لها بفضل دهائه و تخطيطاته

الاستيلاء على حجر بن دغار ، و ميفع و دوعن و جزء من بالحاف ، و ضم ريدة آل عبد الودود الكثيريين الى سواحل السلطنة , بحيث لم يبقى لسلطنة آل كثير منفذ بحري و كل محتاجاتها تمر عبر أراضي جارتها القعيطية ، و الى اليوم ، و قد قضى السلطان عوض على امارة الكسادي بالمكلا بمساعدة حكومة عدن البريطانية المستعمرة في محاكمة بينه و بين اميرها و يلقب بالنقيب ظهر فيها ميل بريطانيا الى السلطان القعيطي حيث أقلعت بالنقيب بارجة حربية من المكلا فعدن ثم زنجبار ، و مثلت بريطانيا نفس الدور مع ابني أخيه عبد الله – و هما منصر و حسين – لما نازعاه السلطة بحضرموت بعد وفاة أبيهما فنفتهما على بارجة الى الهند ، كما انتزع الشحر من الكثيريين الذين قضوا على امارة ابن بريك فيها ، و في عهده تمت معاهدة الحماية بينه ة بين بريطانيا الآتي ذكرها ليطمئن – في نظره – على بقاء سلطنته بواسطة الحماية البريطانية ، و هو أول من دعي من حكام هذه السلطنة بلقب سلطان ، و قد توفي بالهند سنة ١٣٢٥ هـ أو ٢٦ أو ٢٧ و مدة ولايته ثلث قرن من الزمن أمضى معظمها بحضرموت في حروب و نزاع مع سلاطين آل عبد الله و مع غيرهم من القبائل و الشيوخ ، و مع ابني أخيه عبد الله منصر و حسين ، و لكنه انتصر في النهاية على خصومه من الأمراء ، و مناوئيه ،و تولى بعده انه غالب المتوفي سنة ١٣٤٠ هـ و قد عرف بعطفه الشديد على البؤساء و المساكين و بالكرم و الاحسان ، و بتشيعه للعلويين أكثر من آبائه ، و في عهده ابرمت معاهدة صداقة و تعاون بينه و بين السلطانين ، منصور و محسن ابني غالب الكثيريين ، و بين هؤلاء و بين بريطانيا سنة ١٣٣٦ هـ و بمقتضاها كما سيأتي الكلام عنها و من تاريخها هدأت الفتن و توقفت الحروب بين السلطنتين الحضرميتين و حاولتا أن تدخلا بعض الأنظمة الادارية و المالية و العسكرية ، و القيام بحفظ الامن و لكن هذه المحولة لم يكتب لها النجاح المنتظر الذي كان يعلقه عليها المواطنون و المهاجرون من الحضارمة ، و ان كان في وجودها درءالكثير من الأخطار و الأتعاب التي كان يلاقيها الشعب في العهد القبلي ، و كان من المنتظر أيضا أن يشمل الأمن جميع القطر و لكنه أصبح على مدنهما و قراهما , و

على خطوط الطرق التي بنيت عليها المراكز و الثكنات العسكرية , و الطوابي ((الأكوات)) .

المدارس: و اما المدارس فمن أقدمها – في هذا العهد – مدرسة جمعية الحق بتريم و قذ تأسست سنة ١٣٣٤ هـ و درس فيها علماء من أقدر علماء الداخل و مشاهيرهم , و استقدم الأستاذ المرحوم محمد بن هاشم من الخارج سنة ١٣٤٦ هـ ليتولى نظارة التعليم فيها و توجيهه فمشى به أشواطا بعيدة , و زاد بعض مواده و توقفت بعد ١٧ عاما من تأسيسها لأسباب أكثرها اقتصادية و حلت محلها فيما بعد مدرسة الكاف.
اما مدرسة جمعية الأخوة و المعاونة بتريم فهي أول مدرسة أهلية أسست على الأنظمة الحديثة و أخذت بها مرحلتي التعليم الابتدئي للجنسين و المتوسط للبنين بحيث أصبح المتخرج منها يقبل في مدارس البلاد العربية الاخرى , و تعتبر شهادتها أيضا بالنسبة للمتوظف و غيره لمن أراد الحصول على عمل من طلبتها العديدين , و لا تزال مستمرة الى اليوم صامدة في وجه أعاصير الزمن تؤدي رسالتها التعليمية , و الثقافية و انضمت اليها مدرسة الكاف قبل سنوات , و لكن مع الأسف لم تلق التشجيع اللازم من الحكومة و لا من الأهالي [١].

و اليك آخر الاحصائيات عنهما في السلطنتين بالنسبة لكم و هو كم قليل يرجى أن يزيد ليفي بحاجة البلاد :

[١] كان الاعلان عن تأسيس هذه الجمعية سنة ١٣٥٢ هـ و لعلها أطول الهيئات الحضرمية الحاضرة عمرا و أوسعها خدمة في المجالات الثقافية و التوعية الاسلامية و الوطنية الى أعمال اقتصادية عامة , فقد قام رجالها و معظمهم من الشباب بفتح المدارس و تأسيس المناهج و الكتب المدرسية و اصدار

المرحلة	١٩٦٢\٦١				١٩٦٣\٦٢				١٩٦٤\٦٣				١٩٦٥\٦٤				١٩٦٦\٦٥			
	المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ	
	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ
الابتدائي الحكومي	٣	١٣	١٣٧	٥١١	٣	١٦	١٥٦	٦٧٢	٥	٢٤	١٦٨	٨٤٦	٥	٢٤	١٦٨	٨٧٨	٨	٣٨	٢٨٩	١٢١١
الابتدائي المعان	–	٥٣	٣٦٢	١٣٥٥	–	٥٣	٣٨٠	١٤١٠	–	٦١	٣٤٩	١٨٤٥	–	٦٥	٣٦٠	٢٠٣٣	٤	٦٠	٣١٧	٢٠٣٥
المجموع	٣	٦٦	٤٩٩	١٨٦٦	٣	٦٩	٥٣٦	٢٠٨٢	٥	٨٥	٥١٧	٢٦٩١	٥	٨٩	٤٢٨	٢٩١١	١٢	٩٨	٦٠٦	٣٢٤٦
المتوسط الحكومي	–	٧	–	١٧٦	–	٦	–	٢١٢	–	١٠	–	٢٣٤	–	١٦	–	٣٣٥	–	٢١	–	٤٣٩
المتوسط المعان	–	–	–	–	–	١	–	٢٧	–	٣	–	٦٤	–	٣	–	٥١	–	٥	–	٩٣
المجموع	–	٧	–	١٧٦	–	٧	–	٢٣٩	–	١٣	–	٢٩٨	–	١٩	–	٣٨٦	–	٢٦	–	٥٣٢
التعليم الثانوي	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٣	–	٤٠
المجموع العام	٣	٧٣	٤٩٩	٢٠٤٢	٣	٧٦	٥٣٦	٢٣٢١	٥	٩٨	٥١٧	٢٩٨٩	٥	١٠٨	٤٢٨	٣٢٩٧	١٢	١٢٧	٦٠٦	٣٨١٨

إحصاء بعدد التلاميذ و المدرسين بحسب الجنس في كل المراحل التعليمية بالمنطقة الكثيرية

